الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر باتنة

كليـة الآداب واللغات   قسم اللغة العربية وآدابها

الفكر اللساني عند إبراهيم أنيس من خلال مصنّفيه (الأصوات اللغوية، دلالة الألفاظ) دراسة وصفية تحليلية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

فرع: اللغة والأدب العربي   شعبة:اللسانيات

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذ:

سليمة بلعزوي   الجودي مرداسي

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور: بلقاسم دفة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	رئيسا
الدكتور: الجودي مرداسي	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	مشرفا ومقررا
الدكتورة: زغدودة ذياب	أستاذة محاضرة	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
الأستاذ الدكتور: عمار شلواي	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2015/2014م

مقدمـــــــــة

من الطبيعي أن يكون تطور اللغات مقترنا بتطور المجتمعات، ومرتبطا بنهضة الشعوب وحضارتها، ولهذا فإنّ من الطبيعي أيضا أن يتذبذب وضع اللغات في مسيرتها التاريخية بين تطور وتدهور، واللغة العربية لغة طبيعية حالها حال مختلف اللغات، شهدت في عصورها الأولى تطورا كبيرا اقترن بتطور فكري وحضاري كبير للأمة العربية والإسلامية، كما شهدت في عصورها اللاحقة ركودا وجمودا، ارتبط هو الآخر بتدهور كبير في الحالة الحضارية والفكرية دام قرابة الثمانية قرون.

حلّ عصر النهضة وشهد الفكر العربي انفتاحا على الثقافات الأخرى، وخاصة الغربية منها، فعاد اهتمام الدارسين باللغة العربية، وظهرت نظريات وأفكار جديدة في مختلف المجالات اللغوية. في خضم هذه التطورات بدأت تتشكل ملامح اللسانيات العربية، وذلك بعد عودة العديد من الدارسين العرب من الجامعات الغربية، وعلى رأسهم 'إبراهيم أنيس'.

كنت كلما أسمع عن الدكتور 'إبراهيم أنيس' وعن أفكاره ذات التوجه التراثي والحداثي في الوقت نفسه، –لكنني لم أطلع على أي من مؤلفاته بالتفصيل– يخطر ببالي التساؤل التالي:

–ما طبيعة الأفكار التي جاء بها الدكتور 'إبراهيم أنيس' بالتحديد؟ وكيف جمع بين التوجه التراثي والحداثي في الوقت نفسه؟

بعد اختمار هذا التساؤل في ذهني تولّدت لدي فكرة هذا البحث الموسوم بـ"**الفكر اللساني عند 'إبراهيم أنيس' من خلال مصنفيه 'الأصوات اللغوية ودلالة الألفاظ' دراسة وصفية تحليلية**."

ومما زادني في التركيز على الدكتور 'إبراهيم أنيس' ليكون أنموذجا للبحث عدة اعتبارات منها:

- 'إبراهيم أنيس' رائد من رواد الدراسات اللسانية العربية الحديثة في مجالي البحث؛ الصوت والدلالة.

- من حقه أن تُتَلقى آراؤه بكل الاهتمام والجد تأييدا وبسطا واستكمالا لصحيحها، وتمحيصا لما يمكن أن يكون طغيان فكر أو خطأ اجتهاد.
- رغبتي في مناقشة فكر 'إبراهيم أنيس' تحديداً، بسبب تضارب الآراء حول مكانته وقيمة انجازاته من رافض ومتنكر لها، إلى مرحب بها. منها وصف محمد محمد حسين له "بالرائد الأول للتغريب في فقه اللغة العربية،"(1) بالمقابل يقول محمد حماسة عبد اللطيف "إذا كان العالم السويسري 'فرديناند دي سوسير' هو رائد علم اللغة الحديث في العالم المعاصر منذ مطالع القرن العشرين فإن 'إبراهيم أنيس' هو رائد الدرس اللغويّ الحديث في العربية .. "(2)

إن الهدف الأساسيَّ من هذه الدراسة يكمن في محاولة حصر اتجاهات البحث اللساني العربي وعلاقتها بالتراث اللغوي العربي، ولعل هذا التشخيص يفرض علينا تحديد أنموذج والسعي للكشف عن فكره واتجاهه في البحث اللساني وبيان مدى نجاحه في الجمع بين اتجاهين مختلفين-تراثي، حداثي- في البحث اللساني العربي الحديث، ولم يكن هدف البحث تتبع جزئيات النقد الموجه إلى أعمال 'إبراهيم أنيس' بقدر ما كانت غايته الوقوف على الركائز الأساسية لهذه النقائص ومحاولة الوصول إلى عتباتها للاستفادة والإفادة.

لقد حاول البحث أن يسير وفق منهج متدرج، فجاءت مادة الدراسة في مدخل وثلاثة فصول وخاتمة وملحق مخصص لحياة 'إبراهيم أنيس'.

بسط البحث في المدخل مفهوم اللسانيات العربية ونشأتها والعوائق التي تتعرض لها.

---

(1)-محمد محمد حسين، مقالات في الأدب واللغة، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط2، 1988، ص: 78

(2)-محمد حماسة عبد اللطيف، إبراهيم أنيس والدرس اللغوي، إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص:15، الموقع الالكتروني: http://www.shamela.ws

والفصل الأول، فصل نظري يتضمن اتجاهات ومضامين الفكر اللساني العربي الحديث، تعرض أولا للمواقف من اللسانيات في الفكر العربي الحديث ويمكن تلخيصها في اتجاهين رئيسين:الأول ضد اللسانيات ككل، أما الثاني مع وجودها وهو التيار الأغلب، وينقسم بدوره إلى ثلاثة اتجاهات: اتجاه تراثي، اتجاه حداثي واتجاه توفيقي يحاول التوفيق بين المتناقضين.

أما الفصل الثاني فهو فصل تطبيقي بعنوان 'الأصوات اللغوية' دراسة وصفية تحليلية، حاول البحث فيه الوصول إلى مدى نجاح 'إبراهيم أنيس' في مزج الاتجاهين، التراثي والحداثي في مصنفه، مع ترجيح الجانب التراثي لأن دراسته في هذا الجانب تمثَّلت بشكل رئيس في البرهنة على صحة دراسة القدماء للأصوات، وإثبات ذلك بالطرق العلمية الحديثة.

أما الفصل الثالث والأخير فهو فصل تطبيقي أيضا بعنوان 'دلالة الألفاظ' دراسة وصفية تحليلية، حاول البحث بيان ترجيح الجانب الحداثي في فكر 'إبراهيم أنيس' عن الجانب التراثي؛ لإغفاله أمور تراثية في المجال الدلالي، وقد كان للعرب فيها شرف السبق؛ منها مسألة الحقول الدلالية. واعتماده على آراء الغربيين، وعلى رأسهم 'بلومفيلد' (Bloomfield) و'فندريس' (Vendis)...

وخُتم البحث بخلاصة لأهم النتائج والملاحظات المتحصل عليها.

وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي؛ لملاءمته وطبيعة البحث والهدف منه؛ وهو تحديد أشكال الفكر اللساني العربي الحديث، ثم تحديد أنموذج ودراسته دراسة وصفية تحليلية.

من المعوقات التي اصطدم بها البحث، عامل الزمن الذي كان يدفع في بعض الأحيان إلى التسارع السلبي في عرض بعض المسائل، والعائق الأساس الذي تعرض البحث هو تعدد طبعات كتاب 'الأصوات اللغوية' وتغير المضمون أحياناً، بالإضافة إلى نقص المراجع التي تحمل الطابع النقدي اللساني، التي لازالت لم تحظ بالاهتمام الواسع من قبل الدارسين العرب، ومع هذا فقد كانت بعض الكتب

المتفرقة سراجا نيرا اهتدى بها البحث، أذكر منها اللسانيات العربية الحديثة لمصطفى غلفان، واللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة لحافظ إسماعيلي علوي، واتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر لعبد الرحمن حسن العارف، ونشأة الدرس اللساني العربي الحديث لفاطمة الهاشمي بكوش.

إن البحث لا يدعي أنه أحاط بالموضوع إحاطة كاملة، بل هو مساهمة بسيطة في التعريف بجانب من جوانب الفكر اللساني للدكتور 'إبراهيم أنيس'، وآمل أن يتيسر لي مرة قادمة معالجة المزيد من الجوانب التي غابت عن هذا البحث.

وفي الختام أتقدم بالشكر الوافر، والتقدير الخالص إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث، وأخص بالشكر والتقدير أستاذي الفاضل؛ الأستاذ الدكتور الجودي مرداسي، الذي كان نِعْمَّ المشرف، فله مني فائق التقدير والاحترام، وجزيل الشكر والعرفان، والشكر للأستاذ الدكتور محمد بوعمامة لكونه رئيس المشروع –'اللسانيات العربية'– الذي أتاح لنا فرصة دخول مجال البحث العلمي. كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل للسادة الدكاترة أعضاء لجنة المناقشة، على المجهودات التي سيبذلونها في تصويب هذا البحث.

مدخل: اللسانيات العربية، المفهوم والنشأة والآفاق

1- مفهوم اللسانيات
2- أهمية اللسانيات
3- هل هناك لسانيات عربية قديمة؟
4- نشأة اللسانيات العربية الحديثة
5- الفرق بين اللسانيات العربية ولسانيات العربية
6- إشكالية المصطلح في اللسانيات العربية
7- حوصلة المدخل

شهد مطلع القرن العشرين تحولا مهما في تاريخ الفكر اللساني الحديث، وخاصة مع أعمال 'فريديناند دوسوسير'[1] (Ferdinand de Saussure)، التي ظهرت في محاضراته الشهيرة: 'محاضرات في اللسانيات العامة' (Cours de linguistique générale) "إذ شكلت أفكاره فاصلا حاسما في تأريخ البحث اللساني الغربي الحديث"[2]، وهي تُعُد تأسيسًا لمرحلة جديدة مغايرة لتصورات اللغويين السابقين.

لكن هذا لا يلغي كون الفكر اللساني الحديث ما هو إلا تطور للدرس اللغوي القديم، لذلك يُقسم تاريخ الدراسات اللغوية التي ظهرت منذ القديم إلى يومنا هذا إلى ثلاث مراحل:

"النحو التقليدي، اللسانيات التاريخية والمقارنة، اللسانيات الآنية(الوصفية)."[3]

إنّ "صلة القربى ليست فقط بين التراث اللغوي العربي واللسانيات، وإنما هي موجودة أصلاً بين التراث اللغوي العالمي واللسانيات. هذه الحقيقة هي قانون علمي للظواهر الحضارية، ذلك لأن اللسانيات لم تنشأ من فراغ لتخدم في فراغ، وإنما هي شيء لاحق لشيء سابق. فعملية التأثير والتأثر موجودة، ليس بين اللسانيات وبين الدراسات التي سبقتها، وإنما بين الظواهر الحضارية كلها."[4]

فاللسانيات الحديثة هي امتداد للدراسات اللغوية القديمة، لأنها نتيجة لتطور تاريخي داخل العلم الذي يشتغل على الظاهرة اللغوية، وبالمقابل هناك من يرى "أن اللسانيات الحديثة نظرية تختلف في منطلقها الفلسفي تماما عن منطق النظرية اللغوية القديمة بمناهجها المتعددة، ذلك أن اللسانيات انطلقت

(1)- دوسوسير(1857-1913) أول من دعا إلى دراسة اللغة في ذاتها دراسة وصفية تبحث في نظامها وقوانينها. دونما الاهتمام بجوانبها التاريخية التطورية الزمانية، أنظر فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة: صالح القرمادي/محمد الشاوش/محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، 1985، وينظر شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2004، ص:9

(2)- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص:12

(3)- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط4، 2008، ص:VIII،IX التوطئة

(4)- مازن الوعر، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، مجلة التراث العربي، دمشق، سوريا، العدد48، السنة12، 1413هـ، ص:4

من علوم دقيقة صارمة لتبني مبادءها وأنظمتها وقوانينها."[1] فاللسانيات "مدينة بعلة وجودها للمنهج أكثر مما هي مدينة للموضوع؛"[2] لأن المنهج العلمي مستحدث أما الموضوع وهو اللغة فقد سبق البحث فيه من قبل القدماء. فاللسانيات معرفة قديمة وعلم حديث قائم بذاته في الآن نفسه.

وفي الحالتين هناك جديد في الدرس اللساني الحديث فما هو هذا الجديد الذي جاءت به اللسانيات؟ وبماذا تختلف عن الدراسات اللغوية القديمة عامة، والعربية منها خاصةً؟

1- **مفهوم اللسانيات**:

عرفها معجم اللسانيات[3] أنها؛ "الدراسة العلمية للغة، قد تحقق بعد نشر محاضرات في اللسانيات العامة لفرديناند دوسوسير في 1916م. وابتداءً من هذا التاريخ، فإن كلَّ دراسة لسانية ستُعرف اعتدادًا بما وضعه دوسوسير."[4]

فاللسانيات هي:"الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري،... وتطمح هذه الدراسة أن تكون دراسة وصفية علمية بعيدة عن الاعتبارات المعيارية التي طبعت الدراسات اللغوية والنحوية"[5] القديمة، وتعرف أيضا وباختصار "أنها الدراسة العلمية للغة."[6]

ومصطلح اللسانيات "أتى من اللسان، واللسان يعني اللغة فأضفنا الياء والألف والتاء، فأصبح علما يبحث في اللسان أي في اللغة. فإذن اللسانيات هي الدراسة العلمية للغات البشرية من خلال لغة كل قوم من الأقوام، وعندما نقول 'علمية' فإننا نعني بها الملاحظة، ووضع الفرضيات وفحصها، والتجريب

(1)- مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، ص:36 نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص:385

(2)- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1986، ص:109

(3)- ترجمة: الأستاذ عمار زرقين، مقياس الترجمة السنة الأولى ماجستير تخصص اللسانيات العربية 2013/2012

(4) -Jean Dubois et autre, Dictionnaire de linguistique Larousse, Paris, France,1988, p: 285

(5)- خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006، ص:9

(6)- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص:9

والدقة والشمولية والموضوعية، وهذه الخصائص هي التي تميز الدراسة اللغوية الحديثة عن الدراسة اللغوية القديمة."(1)

وليس هناك فرق بين التعاريف السابقة للسانيات؛ لأن الهدف الأساس من هذا العلم هو إقامة الدراسة اللغوية على أسس علمية وموضوعية، تنأى بها عن "الجهود الفردية والخواطر والملاحظات التي كان يقوم بها المهتمون باللغة عبر العصور،"(2) ولا مكان للذوق وللانطباعات الشخصية؛ "لأن دراسة اللغة علمياً لم تعد مسألة اعتباطية أو رغبة ذاتية ينزع الباحث إلى تحقيقها."(3)

ويعرف 'فريديناند دوسوسير' (Ferdinand de Saussure) اللسانيات في كتابه دروس في الألسنية العامة (Cours de linguistique générale) "أنها تتكون بادئ ذي بدء من جميع مظاهر الكلام البشري سواء تعلق الأمر بكلام الشعوب المتوحشة أو الأمم المتحضرة، في العصور العتيقة أو الكلاسيكية أو في عصور الانحطاط، والمعتبر في كل عصر من هذه العصور ليس الكلام الصحيح و'الكلام الأدبي' فقط، ولكن جميع أشكال التعبير."(4) إنّ منهج اللسانيات كما يوضح دوسوسير غير منهج الدراسة اللغوية القديمة.

وقد اختلف الباحثون في أول من استعمل مصطلح اللسانيات (Linguistique) في الثقافة الغربية، فذهب 'جورج مونان' (George Mounin) إلى أن أول من استعمله هو 'فرنسوا رينيوار' (François raynouard) سنة 1816م، في كتابه 'Des troubadour chois des poesies'

(1)- مازن الوعر، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، مطابع الدار العربية للعلوم/منشورات الاختلاف/دار الأمان، لبنان/الجزائر/المغرب، ط1، 2009، ص:109

(2)- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص :9

(3)- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، منشورات كلية الآداب عين الشق، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص:154

(4)- فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص:24

(مختارات من أشعار الجوالة)[1] فيما يعتقد كل من 'نعمان بوقرة' و'عبده الراجحي' أنّ 'فرونز بوب' (Franz Popp) هو أول من استعمل هذا المصطلح سنة 1816م، كما كان أسبق من 'دوسوسير' في دعوته إلى استقلالية العلم اللساني[2].

أما 'نور الهدى لوشن' فترى أن أول استعمال للسانيات (Linguistique) كان "أول مرة في المناطق الناطقة بالألمانية، ثم انتقل إلى الدراسات اللغوية الفرنسية حوالي 1826م، ومنها إلى بريطانيا ابتداء من سنة 1855م."[3]

2- أهمية اللسانيات:

لا يمكن حصر فوائد اللسانيات "فهناك فوائد تتعلق بدور علم اللغة[4] في الدراسات الأدبية وفوائد تتعلق بصنع المعاجم، وأخرى تتعلق بصنع النطق أو الكلام وتقويم ما اعوج من اللفظ،... ومنها ما يتعلق بتحسين التفاهم بين البشر إجمالا."[5]

إن علمية اللسانيات جعلها "تحتل صدارة العلوم الإنسانية لا من حيث كونها علما يتوفر على مقومات وشروط المعرفة العلمية ولكن أيضا من حيث كونها غدت أنموذجا يحتذى به في كثير من العلوم

(1) –regarde George Mounin, histoire de linguistique des origines au XXe siècle, Presses Universitaires de France, France, 1972, p:1

وينظر أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص:V

(2)– ينظر نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، د.ط، 2003، ص:60 وينظر عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص:14

(3)– نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص:19، نقلا عن نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث/ جدارا للكتاب العالمي، إربد/عمان، ط1، 2009، ص:7

(4)– استخدم البحث مصطلح اللسانيات لأسباب سيفصل فيها فيما بعد، لكن في نقل النصوص نتركها كما هي للأمانة العلمية

(5)– نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص:69

الإنسانية."[1] ولتطبيقها المنهج العلمي"أضحت اللسانيات قطب الرحى في التفكير الإنساني الحديث من حيث بلورة المناهج والممارسات وأصبحت بذلك مفتاح كل حداثة،"[2] ولذلك أيضاً غدت اللسانيات "علماً كونياً ذا مضمون معرفي يتجاوز الأقوام وضفاف الربوع."[3]

تنبأ "الأنثروبولوجي[4] الفرنسي 'كلود ليفي تروس' (Claude Levi trauss) بأن اللسانيات بحكم توجهها العلمي، ستصبح جسرا تعبره جميع العلوم الإنسانية (علم اجتماع وتاريخ وفلسفة وأدب...) في محاولة لتحصين واقعها ونتائجها"[5]، لقد أضحت اللسانيات علماً بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، ولذلك "أربكت اللسانيات حسابات وافتراضات الرافضين لعِلمية العلوم الإنسانية، بل وأعادت النظر في الكثير من المفاهيم المتداولة ومن ذلك مفهوم العلم وشروط تحققه."[6] ومن هنا لاحظ "المختصون في العلوم النجاح الباهر الذي كللت به جهود زملائهم في اللسانيات بعد أن أعاد هؤلاء النظر في كل المعلومات والمناهج التي تركها لهم الباحثون السابقون، وما كانت في الحقيقة إعادة نظر فحسب بل ثورة على المفاهيم والأساليب المسلمة التي ما كان يجرؤ أحد قديماً على جدالها وإنزالها من مستوى التقديس الأعمى إلى مستوى النظر والتمحيص."[7]

---

(1)- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:50

(2)- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1983، ص:11

(3)- عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2010، ص:31-32

(4)- الأنثروبولوجيا:علم دراسة الإنسان، أصلها إغريقي أنثروبوس: إنسان، لوجوس: كلمة، موضوع، دراسة.

(5)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ص:55

(6)- المرجع نفسه، ص:55

(7)- عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2007، ص:5

و لما صارت اللسانيات علما وجب أن يطبق عليها شروط العلم؛ وأولها التنظيم لأن" من واجب العالم أن ينظم، إننا نصنع العلم باستخدام الوقائع كما نبني البيت باستخدام الأحجار، ولكن تجميع الوقائع ليس علماً، كما أن تراكم الأحجار ليس بيتاً."[1]

3- هل هناك لسانيات عربية قديمة؟

إن الاختلاف الجوهري بين الدرس اللغوي القديم واللسانيات الحديثة "كنسبة ما بين علم الأخلاق وعلم الاجتماع في شجرة الفلسفة، النحو قائم على **'ما يجب أن يكون'** واللسانيات قائمة على **'ما هو كائن.'**"[2] هذا الاختلاف بين أساس الدرس اللغوي القديم المتمثل في النحو واللسانيات الحديثة، يتطابق بعلاقة الدرس اللغوي العربي القديم باللسانيات الحديثة.

يتميز النحو عن اللسانيات بأنه "مقاربة معيارية أو ممارسة معيارية من حيث إنّه لا يهتمّ بما هو كائن في لسان ما، وإنّما يهتم بما ينبغي أن يكون عليه هذا اللسان من حسن التركيب وضبط القواعد كتابة واستعمالاً. بعبارة أوضح النحوي لا يهتم باللسان كواقع، وإنما باللسان النموذج أو المعيار الذي يراد له أن يسود ويستمّر،"[3] أما اللسانيات فتتناول ما يُقال فعلا لا ما يجب أن يقال، "فتقف عند حدود الوصف والتفسير، تعاين وتلاحظ ثمّ تصف ما هو كائن من بنيات لغويّة."[4]

استعمل كثير من اللسانيين العرب مصطلح اللسانيات في سياق الدراسة اللغوية القديمة، رغم الاختلاف الجذري بين الدراستين في الأسس والمناهج وكيفية تناول اللغة. منها "إمام اللسانيات العربية

---

(1)- La Science et l'hypothése، Poincaré، ص:159 نقلا عن منذر عياشي، قضايا لسانية وحضارية، دار طلاس، دمشق، سوريا، ط1، 1991، ص:13

(2)- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص:41

(3)- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة تاريخها طبيعتها موضوعها مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2010، ص:191

(4)- المرجع نفسه، ص:192

سيبويه(ت180هـ)[1]، وتستعمل التسمية الحديثة نفسها أي اللسانيات للإحالة على أعمال اللغويين العرب أمثال الفارسي(ت377هـ) وابن جني(ت392هـ) والجرجاني(ت471هـ)."[2]

مما سبق لا يمكن إطلاق مصطلح اللسانيات العربية القديمة على الموروث اللغوي العربي لاختلاف الرؤية والمنهج والغاية من كل درس.

4- نشأة اللسانيات العربية الحديثة:

لم تأخذ اللسانيات مكانتها في الدرس اللغوي العربي الحديث بسهولة، إذ كان الاعتقاد السائد "أن مشكل المعطيات بالنسبة للغة العربية قد حُل بالنحو التقليدي، وأنه يكفي جرد أمهات كتب النحو واللغة القديمة للاهتداء إلى الضالة المنشودة."[3]

ويرى بعض الدارسين العرب[4] أن اللغة العربية "لغة متميزة تنفرد بخصائص لا توجد في لغات أخرى، ومن ثمّ لا يمكن وصفها بالاعتماد على النظريات الغربية التي بنيت لوصف لغات أوروبية."[5]

وبعد أن كشف الإطلاع على الجهود اللسانية الغربية آفاقا جديدة في النظرة إلى اللغة العربية، وأدرك كثير من الدارسين العرب أن اللغة العربية "بصفتها لغة تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية

(1)- أطلق هذه التسمية المنصف عاشور في مقاله المعاني النحوية في اللسانيات العربية، ص:95، الموقف الأدبي، عددان 135 و136، دمشق، 1982، ينظر محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، العربية للعلوم ناشرون/ منشورات الاختلاف/دار الأمان، لبنان/الجزائر/الرباط، ط1، 2010، ص:24-37

(2)- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية حفريات النشأة والتكوين، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص:153

(3)- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص:53-54

(4)- منهم عبد الرحمن أحمد البوريني في كتابه اللغة العربية أصل اللغات كلها، دار الحسن للتوزيع والنشر، عمان، ط1، 1997 ومحمد محمد حسين في كتابه مقالات في الأدب واللغة.

(5)- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، ص:56

وتشترك معها في عدد من الخصائص (الصوتية والتركيبية والدلالية)، وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات."[1]

وبالمقابل تضافرت عوامل عدة ساعدت على انبعاث وتطوير اللسانيات في الوطن العربي منها: إرسال البعثات إلى الجامعات الغربية، وكتابة الطلاب العرب أطروحات ودراسات في جامعات غربية، وإنشاء كراسي خاصة بهذا العلم في الجامعات العربية فضلا عن تنامي حركة الترجمة العربية للمؤلفات الغربية المتعلقة بالألسنية العامة.[2]

فانحصرت نظرة الريبة من اللسانيات بعد أن تأكد كثير من الباحثين العرب من أهميتها والمكانة التي اكتسبتها بفضل توجهها العلمي حتى أصبح من يتحدث عن مكانتها "كمن ينوه بالرياضيات الحديثة بين أهل العلوم الدقيقة أو شأن من يمتدح قيمة التحاليل العضوية وكشوف الأشعة في حقل العلوم الطبية."[3] ولم تعد في نظر كثير من الدارسين كما كانت في السابق "علمًا كماليًا أو ترفًا فكريًا."[4]

5- الفرق بين اللسانيات العربية ولسانيات العربية:

يوجد فرق بين اللسانيات العربية ولسانيات العربية ولا يكمن هذا الفرق في الجانب التركيبي فقط وإنما في ضبط المفهومين فالهدف من لسانيات العربية هو "في الاشتغال باللغة العربية موضوعًا وهدفًا في مختلف مستوياتها. أما اللسانيات العربية فهي كل ما يكتب في اللسانيات باللغة العربية سواء تعلق الأمر باللسانيات العامة أو لسانيات العربية أو لسانيات أية لغة من اللغات."[5] إنّ اللسانيات العربية أشمل من لسانيات العربية.

(1)- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، ص:56

(2)- ينظر مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية حفريات النشأة والتكوين، ص:146

(3)- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص:6

(4)- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية حفريات النشأة والتكوين، ص:144

(5)- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:34

لكن هناك من يرى أن إطلاق مصطلح اللسانيات العربية "تكريس للإقليمية الضيقة في البحث، ولعدم جدوى هذا النوع من التمييز، إذ من غير المعقول أن نتحدث عن 'لسانيات فرنسية' و'لسانيات أمريكية'...نظرا إلى أن اللسانيات علم كوني، شأنه في ذلك شأن كل العلوم، ومعلوم أنه من غير المقبول أن نتحدث عن 'فزياء فرنسية' أو 'فزياء ألمانية' أو..."(1) والبديل عن 'اللسانيات العربية' هو 'اللسانيات في الثقافة العربية'(2).

6- إشكالية المصطلح في اللسانيات العربية:

إن اللسانيات علم حديث نسبيا في الوطن العربي، لذلك عانت عدم استقرار المصطلح، فمن مظاهره "تعدد الألفاظ للدلالة على المعنى الواحد، وعدم التقيد بمبادئ وضوابط مطردة في وضع الألفاظ الفنية، والخلط بين المصطلح القديم والمصطلح الجديد، والمفهوم القديم والمفهوم الجديد،"(3) وأبلغ مثال على ذلك مصطلح اللسانيات نفسه فقد بلغت المصطلحات المعربة والمترجمة له ثلاثة وعشرين مصطلحا وهي:"اللانغويستيك، فقه اللغة، علم اللغة، علم اللغة الحديث، علم اللغة العام، علم اللغة العام الحديث، علم فقه اللغة، علم اللغات، علم اللغات العام، علوم اللغة، علم اللسان، علم اللسان البشري، علم اللسانة، الدراسات اللغوية الحديثة، الدراسات اللغوية المعاصرة، النظر اللغوي الحديث، علم اللغويات الحديث،

---

(1)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ص:412

(2)- تسمية أطلقها مصطفى غلفان في مصنفه 'اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية' وحافظ إسماعيلي علوي في مصنفه 'اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته'

(3)- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق، ضمن ندوة أعمال: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص:15

اللغويات الجديدة، اللغويات، الألسنية، الألسنيات، اللسنيات، اللّسانيات."[1] وإذا كان هذا حال العنوان فما بالنا بالمضمون.

6-أ- <u>بين فقه اللغة وعلم اللغة</u>: مصطلح علم اللغة قديم في التفكير اللغوي العربي، "ولكن دلالته مختلفة...، كان يعبر عن جمع الألفاظ اللغوية وتبويبها في معاجم خاصة، وقريب منه مصطلح فقه اللغة الذي استعمل أول مرة في كتابين مهمين هما: 'الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها' لابن فارس[2]، والثاني كتاب 'فقه اللغة وأسرار العربية' لأبي منصور الثعالبي'"[3]

<u>فقه اللغة</u>[4]: "موضوع فقه اللغة لا يختص بدراسة اللغات فقط. ولكن يجمع إلى ذلك دراسات تشمل الثقافة والتاريخ والتقاليد والنتاج الأدبي للغات موضوع الدراسة."[5] ومصطلح فقه اللغة "مصطلح غير ثابت أو واضح من حيث الدلالة على تخصص علمي معين، بل هو مجال للتفكير في قضايا اللغة في جميع تمظهراتها الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية والأسلوبية والتداولية،"[6] ففقه اللغة "بحث نظري

(1)- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، د.ط، 1984، ص:144

(2)- ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي (ت395هـ/1005م) له كتاب الصاحبي في فقه اللغة العربية، وقد قدمه إلى الصاحب بن عباد، أنظر ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها علق عليه أحمد حسن بسج، دار الكتب العربية، لبنان، ط1، 1997، ص:6-7

(3)- نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث/ جدارا للكتاب العالمي، إربد/عمان، ط1، 2009، ص:7، الثعالبي:(350-430هـ) هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي النيسابوري، لقب بالثعالبي لأنه كان يخيط جلود الثعالب، وكان يؤدِّب الصِّبيان في الكُتَّاب، أنظر الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، تحقيق: مصطفى السقا وآخران، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ط3، 1954، ص:2-3

(4)- الفقه هو العلم بالشيء والفهم له ... والفقه في الأصل الفهم، ابن منظور، لسان العرب، تحقيق:عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، مادة (فقه)، 646/13

(5)- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1998، ص:35

(6)- نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص:7

لا يبحث في اللغة من حيث الصحة أو عدمها بل يشرح أطوار الحياة اللغوية، وميدان فقه اللغة أوسع من ميدان البحث النحوي إذ كان النحو لا يقنع إلا بما اصطُلِحَ عليه بالصحيح."(1)

علم اللغة: أما علم اللغة "فيركز على اللغة نفسها ولكن مع إشارات عابرة –أحيانا– إلى قيم ثقافية، وتاريخية، ويولي علم اللغة معظم اهتمامه للغة المتكلمة، وإن كان يوجه كذلك للغة المكتوبة شيئا من الاهتمام."(2) فعلم اللغة يدل "عند الكثيرين على دراسة اللغة دراسة عامة بغض النظر عن نوعها، وذلك بوصف بنياتها وخصائصها وعلاقتها باللغات والنظم التبليغة الأخرى، وبعبارة أبسط سيصبح علم اللغة مرادفا للسانيات في المستوى الاصطلاحي، إلا أن المشكلة التي تمنع التسوية بينهما متأتية في استعمال العرب القدماء لعلم اللغة بالمعنى الخاص المتعلق بمتن العربية ومفرداتها."(3)

أما من الناحية التاريخية مصطلح 'فقه اللغة' أسبق من مصطلح 'علم اللغة'، لأن كتاب "ابن فارس 'الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها' وهو أول كتاب وصل إلينا يحمل في عنوانه مصطلح فقه اللغة."(4) أما عن بداية ظهور مصطلح 'علم اللغة' فلم يظهر إلا بصورة ضئيلة في كتب تصنيف العلوم وعند بعض المؤلفين في القرون المتأخرة مثل السيوطي(ت911هـ) وطاش كبرى زادة(ت968هـ)."(5)

أما في الفكر العربي الحديث كانت البداية الفعلية مع "كتاب علي عبد الواحد وافي 'علم اللغة' في بداية الأربعينيات –من القرن الماضي–، و هذا ما تجمع عليه كل الدراسات اللغوية العربية."(6)

---

(1)– التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2008، ص:16

(2)– ماريو باي، أسس علم اللغة، ص:35

(3)– نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص:9–10

(4)– إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص:29

(5)– نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص:202

(6)– مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص: 18، علي عبد الواحد وافي:1901–1991 مصري الجنسية ولد في أم درمان، بالسودان، الموقع الالكتروني: http://www.marefa.org/index.php

والسبب في ذلك يعود إلى ما قام به المستشرقون؛ حيث أدخل "المستشرقون الألمان نمط التفكير الفيلولوجي[1] إلى البلاد العربية، ... ويمكن أن نعدّ سلسة التأليف اللغوية العربية التي اتخذت من فقه اللغة عنواناً لها أنموذجاً لهذا التأثير، بدءا بكتاب د.علي عبد الواحد وافي فقه اللغة."[2]

ومن أهم الفروق بينهما أن "منهجية فقه اللغة تختلف عن منهجية علم اللغة، بحيث أن الأولى تدرس اللغة كوسيلة لدراسة الحضارة أو الأدب من خلال اللغة، بينما تدرس الثانية اللغة لذاتها،"[3] فقه اللغة تخص بالدراسة، لغة معينة من جوانب مختلفة ومستويات متعددة، في حين لا يُعنى علم اللغة بخصوصية كل لغة، وهدفه اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، لذا فهو يحاول أن يصل إلى فهم الحقائق والخصائص التي تجمع بين اللغات الإنسانية كلها في إطار واحد.

مما سبق نجد "فرقاً كبيراً بين مفهوم المصطلحين في الثقافة القديمة. وهو فرق ينبغي أن يُراعى عند استعمال أيّهما؛... اعتبار الأوَّل خاصاً بدراسة العربية وخصائصها، على حين يستخدم الثاني استخداماً شاملاً في كلّ ما يتَّصل بالعربية وغيرها من اللُّغات."[4] فموضوع فقه اللغة هو لغة بعينها، وموضوع علم اللغة مجموع اللغات البشرية، ومن أمثلة الخلط بين 'فقه اللغة' و'علم اللغة' تصنيف كتب إبراهيم أنيس من "مراجع فقه اللغة"[5]، رغم تطبيقه للنظريات اللسانية الحديثة.

فمن مظاهر إشكالية المصطلح اللساني الخلط بين دراستين هما اللسانيات (علم اللغة)، وفقه اللغة "فمادة فقه اللغة وعلم اللسان واحدة هي الظاهرة اللغوية، لكن المنهج بينهما مختلف بل متقابل، فكان لزاما

(1)- الفيلولوجيا (Philologie): كلمة يونانية متكونة من الجذرين فيلوس (Philos) بمعنى حب و لوغوس (Logos) بمعنى كلمة أو دراسة فيكون المعنى اللغوي للفظة حب الكلمة أو الدراسة، ثم استخدمت اللفظة في القرن 14م في الثقافة الانجليزية؛ بمعنى دراسة الوثائق القديمة، ثم انتقلت إلى العرب غداة تأسيس الجامعة المصرية واستقدام المستشرقين للتدريس بها، نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص:8 الهامش

(2)- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص:13

(3)- إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ص: 33

(4)- عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط6، 1993، ص:8

(5)- عبد القادر محمد مايو، الوجيز في فقه اللغة العربية، دار القلم العربي، سوريا، ط1، 1998، ص:194

أن تتباين المواضيع وتتخالف التصنيفات فيفترق المضمون المعرفي وتتنوع النتائج."(1) لقد اتّحدت المادة وافترقت المناهج بين العلمين.

6-ب- مصطلح اللسانيات: كان اللبس "والخلط بين مفهومي 'علم اللغة' و'فقه اللغة' سببا في تفضيل كثير من الباحثين مصطلح 'اللسانيات' على مصطلح 'علم اللغة'... تجنبا لإشكال تداخل المفهومين لتقارب اسميهما."(2)

وكذلك "التمسك بالعبارة الثنائية 'علم اللغة' للدلالة على اختصاص معرفي ليس من الوجاهة في شيء، وليس مما جرت به الأعراف إذ لو كان الأمر مستساغاً لظللنا نقول 'علم المادة' بدل الكيمياء أو 'علم الحركة' بدل الفيزياء، أو 'علم الأرض' بدل الجغرافيا، وقد آثر الناس – في ذلك كله – اللفظ الدخيل على العبارة المزدوجة، فمن باب أولى وأحرى عندما يتيسر لنا العثور على لفظ عربي فصيح لا تتسرب إليه ذرة واحدة من اللبس."(3)

أما مصطلح 'علم اللسان' فهو مصطلح من "المصطلحات النادرة الاستخدام في الدلالة على دراسة اللغة في التراث اللغوي العربي، ويعد 'الفرابي' أقدم من استخدمه في كتابه' إحصاء العلوم'"(4) للدلالة على كل العلوم اللغوية.

(1)- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط5، 2006، ص:9

(2)- ظاهر كاظم عبد الرزاق، الجملة العربية في ضوء الدراسات اللسانية، إشراف مجيد عبد الحليم الماشطة/نوري حساني علوان، جامعة البصرة، العراق،2011، ص:19

(3)- عبد السلام المسدي، علم اللغة أم اللسانيات، جريدة الرياض، السعودية، العدد: 13457، الموقع الالكتروني: http://www.alriyadh.com/2005/04/28/article60162.html

(4)- ينظر أبو نصر الفرابي، إحصاء العلوم، قدم له وشرحه وبوبه علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص:24، أنظر نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص:10، الفرابي: أبو نصر هو محمد بن محمد بن طَرْخَان الفارابي الفيلسوف، وسمي الفارابي نسبة إلى مدينة فاراب من حواضر مدن الترك. وكان مولده في فاراب حوالي سنة 259هـ، توفي الفارابي بمدينة دمشق سنة 339هـ نقلا عن :
http://www.majma.org.jo/majma/index.php/2009-02-10-09-36-00/860-mag34-8.html

وإذا وضعنا مصطلح 'اللسان' في ميزان المعاجم العربية، "فإنّنا سنجد له مكانة رفيعة ووجودًا مكثفا، في جميع المعاجم التراثية والحديثة، عكس مصطلح اللغة، الذي لا وجود له في المعاجم العربية غير ما قيل أنّه جاء من اللغو واللغي وهذا غير واف للاحتجاج به."(1)

وأوّل من استعمل مصطلح 'علم اللسان' في الفكر العربي الحديث، 'محمد مندور' في كتابه 'النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة'،(2) أما مصطلح اللسانيات فقد أستعمل "بداية السبعينيات –من القرن الماضي– في الجزائر حين أصدر معهد الدراسات الصوتية واللسانية بمدينة الجزائر مجلة 'اللسانيات'،... وتم الاتفاق في الدورة الرابعة للسانيات سنة 1978 على استعمال مصطلح اللسانيات والتخلي عن غيره من المصطلحات التي تثير كثيرا من الغموض والالتباس."(3) إلا أن هذا لم يمنع عددا من الباحثين من "استخدام مصطلح 'علم اللغة' وحتى 'فقه اللغة' في بعض الأحيان على هذا العلم ولا سيما في مصر وسوريا والعراق."(4)

لتجنب هذه الفوضى في استخدام المصطلح اللساني الحديث يستوجب "توحيد المصطلح وضبطه... لتحقيق الدقة المنهجية في الكتابة اللسانية العربية الحديثة... إن الممارسة العلمية الجادة تتطلب مصطلحية مضبوطة بدءا من تسمية العلم وانتهاء بتحديد مصطلحاته الأخرى."(5) وهذا ما تحاول اللسانيات العربية أن تؤسس له.

---

(1)– عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، دار المعارف، الجزائر،2001، ص:18

(2)– ينظر محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، 2004، ص:429

(3)– مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية حفريات النشأة والتكوين، ص:151، الندوة انعقدت في تونس، واقتراح التسمية تقدم به 'عبد الرحمن الحاج صالح' اللساني الجزائري؛ ضمن الوثيقة التي أرسلت إلى المؤتمر لأنه لم يحضر المؤتمر شخصياً، ينظر نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص:9

(4)– ظاهر كاظم عبد الرزاق، الجملة العربية في ضوء الدراسات اللسانية، ص:20

(5)– مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية حفريات النشأة والتكوين، ص:157

7- حوصلة المدخل:

1- الطابع العلمي للسانيات جعلها تحتل مكانة مرموقة بين العلوم الإنسانية وأصبحت أنموذجا يحتذى به.

2- هناك اختلاف جذري بين الموروث اللغوي العربي القديم واللسانيات الوافد الغربي الجديد، لاختلاف المنطلق والمنهج والغاية من كل علم.

3- الفكر اللساني المعاصر أكثر شمولية من نظيره القديم؛ لأنه لا ينفصل عنه ولكنه يحتويه ما دام يعمل على تطويره وتدقيقه.

4- دخلت اللسانيات الدرس العربي الحديث وفرضت نفسها، بسبب نجاحها في الغرب بفضل منهجها العلمي في البحث.

5- من عوائق البحث اللساني العربي إشكالية المصطلح، فهناك خلط في المصطلحات أدى إلى خلط في المفاهيم.

6- علاقة فقه اللغة بعلم اللغة علاقة خصوص بعموم؛ لأن لكل لغة فقهها، وكل اللغات تُدرس بعلم واحد؛ وهو اللسانيات، ففقه اللغة "بمفهومه القديم أو الحديث لا يعدو أن يكون حلقة من حلقات الدرس في علم اللغة، وبهذا يمكن الاستغناء عنه والاكتفاء بهذا المصطلح العام 'علم اللغة'.... فالعلاقة بينهما علاقة العموم والخصوص، وليست علاقة ترادف."(1)

7- اللسانيات مصطلح ظهر أول مرة في الجزائر، وأُتفق عليه بديلًا عن مصطلحات عدة، لكن للأسف مازالت مشكلة المصطلح اللساني العربي على حالها.

(1)- كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط9، 1986، ص:44

الفصل الأول: اتجاهات ومضامين الفكر اللساني العربي الحديث

1- الموقف من اللسانيات في الفكر العربي الحديث

2- اتجاهات ومضامين اللسانيات العربية

2-1 الاتجاه التراثي

2-2 الاتجاه الحداثي

2-3 الاتجاه التوفيقي

3- حوصلة الفصل الأول

شكل القرن التاسع عشر منعطفاً حاسماً في تكوين الفكر اللساني العربي الحديث، وظهر وعي بضرورة التغيير لتحسين الأوضاع. وبهذا برز"أنموذجان حضاريان؛ هما أنموذج الحضارة الغربية الذي استوعب بنفوذه كلّ مظاهر العصر، وأنموذج عربي إسلامي، شكّل، ولا يزال، تعبيرا عن الذات وتراثاً يحفظ الهوية."(1)

1-الموقف من اللسانيات في الفكر العربي الحديث:

يتمثل الموقف من اللسانيات في الفكر العربي الحديث في تيارين كبيرين:

الأول ضد اللسانيات في البحث اللغوي العربي الحديث لأسباب عديدة، أما التيار الثاني مع وجود اللسانيات في البحث اللغوي.

1-1-ضد اللسانيات:

لأسباب عديدة ظهر هذا التيار، منها أسباب وجيهة ومنطقية وأخرى فيها مبالغة وغلوّ، ومن أهم هذه الأسباب:

1-1-1 الأسباب الوجيهة:

التشريف الذي حظيت به اللغة العربية لارتباطها بالقرآن الكريم، جعل قدسيتها من قدسيته ومكانتها من مكانته.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ﴾ [الرعد: 37]

(1)- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص:14

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: 113]

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: 28]

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: 3]

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7]

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: 3]

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاق: 12]

ولا يمكن إغفال مكانة الإرث اللغوي العربي عند العرب، لأننا "نستجمع إرثا لغويّا هو من أغزر ما تخلّفه الأحقاب الحضارية لمن بعدها،"(1) فلا يمكن التفريط فيه بسهولة وإتباع الوافد الغربي. وبالمقابل تغافل الغرب عنه –عن الموروث اللغوي العربي–، وعدم إعطائه المكانة التي يستحقها أدى إلى رد فعل عكسي للوقوف ضد اللسانيات في البحث اللغوي العربي الحديث، منهم "'جورج مونان'(G Mounin) في كتابه 'تاريخ علم اللغة إلى نهاية القرن العشرين' و'بلومفيلد' (L Bloomfield) في كتابه اللغة، فلم يكن نصيب الفكر اللغوي العربي القديم سوى سطرين، وكتاب 'ميلكا إيفيتش' 'اتجاهات البحث اللساني' .. لم يخرج عن سابقيه."(2)

---

(1)– عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص:13

(2)– مصطفى غلفان، أفق اللسانيات العربية، حاوره محمد الداهي، الموقع الالكتروني: http://aslimnet.free.fr/div/2005/ghelfane.htm

والكلام نفسه ينطبق على"روبنز '[1] (R.H Robins) الذي لم يخصص سوى صفحتين فقط لاستعراض الفكر اللغوي العربي، وأن 'جوليا كريستفا' لم تخصص سوى خمس صفحات للفكر اللغوي العربي،"[2] بل وصل الأمر إلى تجاهل الموروث اللغوي العربي كلية "ومن ذلك ما يقوله 'ج. س. جرين': 'من اللافت للنظر أنه يبدو أن العرب لم يسهموا بشيء في دراسة اللغة يمكن أن يقارن بدراساتهم التي أدت إلى إغناء الرياضيات، والفلك، والطبيعة، والطب، والتاريخ الطبيعي وتطويرها.'"[3] هذا التغافل ومحاولة تقزيم الموروث اللغوي العربي سبب وجيه لرد الفعل العكسي على اللسانيات ككل. بل هو "قطيعة في تسلسل التاريخ الإنساني."[4]

ثم إن اللسانيات انطلقت من دراسة اللغات الأوروبية ولهذا خلصت إلى نتائج لا ينطبق أغلبها على اللغة العربية، ولأن اللسانيات "بحث أوجدته ظروف اللغات الأوروبية التي تختلف في انتمائها وتكوينها وبيئاتها وشعوبها المتكلمة بها وتأريخها عن العربية وظروفها اختلافًا كبيرًا."[5] واللغة العربية لا توصف إلا بواسطة النحو العربي، فاللسانيات إنتاج غربي، ولا بد أن تكون ثمرتها لخدمته، لا لخدمة اللغة العربية. أي سوء تقويم الوافد الغربي علينا.

---

(1)- ينظر ر.هـ.روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب (A short history of linguistics)، مجلة عالم المعرفة رقم 227، ترجمة أحمد عوض، الكويت، نوفمبر 1997، ص:150-152

(2)- حسام البهنساوي، التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص:2-3

(3)- نقلا عن حمزة بن قبلان المزيني، مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 53، 1997، ص:124

(4)- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص:22

(5)- رشيد عبد الرحمن العبيدي، الألسنية المعاصرة والعربية، مجلة الذخائر، العدد1، 2000، ص:31

وبسبب الدعوة التي تزامنت مع ظهور اللسانيات في الوطن العربي وهي "إهمال الفصحى، والاشتغال باللهجات، وهذا ما سيؤدي إلى هوة معرفية بين العنصر العربي والنص القرآني."[(1)] وهذه الدعوة جاء بها دوسوسير وتتلخص في مضمون العمل اللساني الذي يتمحور في ما يتكلمه الناس فعلاً لا ما يجب أن يتكلمه.

وهناك توجه يتمثل في "سيطرة التوجه العرقي على الدراسات اللغوية في القرن التاسع عشر، فقد كان هدف كثير من الدراسات التي تتناول لغات غير أوروبية أن تصل إلى نتيجة مفادها أن تلك اللغات أقل تطورًا من اللغات التي تنتمي إلى فصيلة اللغات الهندية الأوروبية،"[(2)] وولَّد هذا الموقف غير العلمي شعورًا لدى الباحثين اللغويين العرب بأن الدراسات الأوروبية كلها تصب في هذا الاتجاه. منهم "'أندري مارتيني' الذي عدّها غير قادرة على التأقلم الاجتماعي مع متطلبات العصر،"[(3)] في قوله "ربما تكون اللغة قبل كل شيء، لغة تقليدية، أدبية، أو مقدسة، ثم تكون سيئة التأقلم، بحيث لا تلبي مجموع الحاجات المنوعة للأمة، كما هو الحال بالنسبة للغة العربية 'الكلاسيكية' في البلدان الإسلامية."[(4)]

---

(1)– محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، ص:56

(2)– حمزة بن قبلان المزيني، مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة، ص:106، André Martinet: ولد سنة 1908 بمقاطعة السافوا بفرنسا، وهو صاحب النظرية الفونولوجية، نقلا عن أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص:151

(3)– نعمان بوقرة، الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية دراسة وصفية تأصيلية في ضوء التلقي العربي للمناهج اللسانية الحديثة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011، ص:27 الهامش

(4)– منذر عياشي، قضايا لسانية وحضارية، ص:24 نقلا عن André Martinet, Elément de Linguistique générale, p:155

1-1-2 الأسباب المبالغ فيها:

ربط اللغة العربية بالمقدس إلى درجة إعطائها أبعاداً ضبابية ومن ذلك "أخرج ابن عساكر في التاريخ عن ابن عباس أن آدم عليه السلام كانت لغته في الجنة العربية، فلما عصى سلبه الله العربية فتكلم بالسريانية، فلما تاب رد الله عليه العربية،"[1] فهل اللغة العربية وحي من السماء تذهب بمعصية وتَعود بتوبة ؟!

ولا نغفل عن ضخامة التراث اللغوي العربي القديم وارتباطه في الأذهان باللغة العربية إلى درجة التعصب لها، واتخاذ مبدأ تقليد الأسلاف أفضل من تقليد الغربيين "فتقليد القريب ثقافيا أولى من الغريب حضاريا."[2] ولماذا نأخذ باللسانيات وفي تراثنا ما يكفي لوصف اللغة العربية ودراستها، فمادامت "اللغة العربية –بحمد الله– غنية بهذه الدراسات عريقة فيها، وقياسُها على الدراسات اللغوية في أوروبا، التي لا يزيد عمرها عن ثلاثة قرون، والتي ليس لها مثلُ هذا التراث العريق الممعن في العراقة طولاً وعرضاً خطأ فادح لا يكون إلا عن جهل أو سوء قصْد."[3]

ربط اللسانيات بالاستعمار لأنها من صنيع الغرب، فصورة اللسانيات من صورة الغرب في الفكر العربي، "ولقد شكلت هذه المعطيات أسبابا كافية للحد من أهمية كل منتوج ثقافي غربي فكري أو مادي، ومقاومته مقاومة غريزية."[4]

---

(1)– السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط3، 30/1

(2)– محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، ص:57

(3)– محمد محمد حسين، مقالات في الأدب واللغة، ص: 48

(4)– حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:67

بالإضافة إلى "الحساسيات القومية التي يظهر مفعولها في الموضوع اللغوي ويختفي مع الموضوعات الأخرى،"[(1)] لأن اللغة جزء مهم من هوية الأمة، فالعرب استسلموا أمام الغرب "بعد أن انهزموا أمام علمه المادي، فنسوا طبيعيات ابن سينا(ت428هـ) وغيره، وانهزموا أمام علم اجتماعه، فأصبح ابن خلدون(ت808هـ) وغيره في ذمة الدين التاريخي، وانهزموا أمام علم نفسه، فنسوا علم النفس لابن باجه(ت533هـ)، ولكن جزءًا كبيراً منهم لم ينهزم أمام علم اللغة الغربي،"[(2)] أي الرفض من أجل الرفض.

وقد وصل الأمر لدرجة أن الجمع بين تطبيق اللسانيات على اللغة العربية وبين مخالفة سنن الله في الكون، لأن "الدعوى التي ينادي بها دعاة التطوير على نمط الدراسات اللغوية الحديثة عند الغربيين باطلة... لأنها تتجاهل سنة الله حين خلق الناس شعوبا وقبائل، وكان من آياته وسننه فيهم اختلاف ألسنتهم، وطبيعي حين تختلف الألسنة أن تختلف قواعدها."[(3)]

وحتى القول إن اللسانيات من مخططات الصهيونية "لأن محاولة توحيد القواعد والنظم في اللغات... فرع من محاولات متعددة تتجه كلها إلى هدف واحد هو طمس الفوارق المميزة بين الأجناس والجماعات البشرية... مما تسعى إليه الصهيونية العالمية، حتى تنحل الروابط التي تقوم عليها المجتمعات البشرية المختلفة فلا يبقى على وجه الأرض مجتمع متماسك غير المجتمع الإسرائيلي."[(4)]

---

(1)- لطيفة حليم، الاتجاه البرغماتي، ص:243 نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:78

(2)- المرجع نفسه، ص:243

(3)- محمد محمد حسين، مقالات في الأدب واللغة، ص: 43-44

(4)- المرجع نفسه، ص: 44

والمضي في تقبل قواعد اللسانيات سيؤدي إلى لغة غريبة عن اللغة العربية "لأن توظيف نحو تشومسكي من أجل إنتاج عبارات من العربية أو وصفها سيخلق لغة غريبة عن عربية سيبويه وما وصف،"[1] وهذا ما لا يقبله العقل العربي.

وحصر فائدة اللسانيات في دراسة اللهجات فقط ومن ذلك قول "محمد النجيمي في حوار صحفي:'إن وجدت لها فائدة فهي قليلة، فالألسنية مثلا هي دراسة اللهجات ومقارنتها بالفصحى، والقرآن نزل بالفصحى، وبالتالي فلا فائدة للألسنية.'"[2]

و في الأخير "قد يتضمن القديم من الإمكانات ويفتح من الآفاق ما يجعل فائدته تمتد إلى بعيد الأزمان حتى يبدو كأنه شيء حديث في كل واحد من هذه الأزمان البعيدة كما أن الحديث، على العكس من ذلك، قد تقل إمكاناته وتضيق آفاقه حتى كأنه أشبه بالماضي الميت منه بالحاضر الحي."[3]

إن اللسانيات نتاج غربي محض، "فلم يكن من المستساغ، ولا من المقبول أن يسلم العربي أموره اللغوية إلى هذا العلم الغربي، بعدما ظل تراثه اللغوي صامدا قائما لقرون عديدة

(1)- محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية أفول اللسانيات النسبية ، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2001، ص:9، Avram Noam Chomsky: ولد أفرام نعوم تشومسكي في السابع من ديسمبر 1928م،... في مدينة فيلادلفيا الأمريكية، من عائلة روسية يهودية نزحت عام 1913م إلى أمريكا، نقلا من نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ترجمة:حمزة بن قبلان المزيني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص:8

(2)- محمد النجيمي، الجزيرة -مجلة سعودية-، العدد13203، 21 نوفمبر 2008، ص:39، نقلا عن نعمان بوقرة، الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية دراسة وصفية تأصيلية في ضوء التلقي العربي للمناهج اللسانية الحديثة، ص:26

(3)- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص:24

حتى بلغ درجة النضج والاكتمال، وكل تفريط في هذا الإرث الزاخر يعد طمسا لمقوماته الحضارية، وتفريطا في نصيبه من تركة العلوم بعد تقسيم الاختصاصات بين الأمم." [1]

2-1 مع اللسانيات:

صحيح أن لا أحد يمكن أن يجادل في المكانة التي تحظى بها اللغة العربية، لاعتبارات دينية وقومية. لكن "الآيات القرآنية التي يتم الاستناد إليها، والتي تؤكد عربية القرآن لم تُشر أيٌّ واحدة منها إلى أفضلية اللغة العربية على اللغات الأخرى، كيف يمكن أن يكون ذلك والقرآن الكريم يعتبر اختلاف الألسنة من آيات الله."[2] لقوله تعالى:﴿**وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ**﴾ [الروم:22]

ثم لا بد من التمييز بين "دراسة اللغة بوصفها نموذجا معينا،... ودراسة اللغة من حيث هي معطى بشري وظاهرة كونية، وهو منطلق البحث الأساسي فيما يسمى باللسانيات النظرية أو العامة."[3] والفرق واسع بين الدراستين.

صحيح؛ منشأ اللسانيات منشأ غربي، لكن من الصعب أن نقول إن الغرب هو من أوجد هذا العلم بشكل مطلق، لأن ترسخ العلم مبني على تراكمات، وعليه فإن النظرة اللسانية الحديثة

---

(1)- حافظ إسماعيلي علوي، اللغة العربية وعوائق التحديث اللساني، ص:20، الموقع الإلكتروني: http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/Adad43partie9.htm

(2)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:91

(3)- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص:13

"نظرية غربية ولكن منطلقها الفلسفي وهدفها النفعي البراغماتي لا ينتميان إلى الغرب، وإنما هما ملك حضارة الإنسان المعاصر الخارج عن نطاق الجنس والهوية والعرق."[1]

ثم تغير النظرة إلى الدراسة اللغوية بين القديم والحديث، "إذ لم يكن همّ علماء العرب القدامى، دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، وإنما كان همّهم دراسة اللغة العربية وحدها بما لها من صلة بالقرآن الكريم."[2] والظاهر أن الفرق في دراسة اللغة بين علماء العربية القدماء واللغويين المحدثين ناجم من الغاية التي من أجلها درس كل واحد منهما اللغة؛ لأن القدماء نظروا إليها نظرة قدسية لارتباطها بالقرآن الكريم، في حين أن المحدثين درسوها على أنها ظاهرة اجتماعية؛ يسري عليها ما يسري على الكائن الحي من تغيرات وتطورات، "فالدراسات اللغوية القديمة هي دراسات إنسانية '**علاقة اللغة بالإنسان الذي يتكلمها**'. أما الدراسات اللغوية الحديثة 'اللسانيات' هي دراسة علمية '**علاقة اللغة بعضها ببعض.**'"[3]، وبعبارة أخرى؛ "إن اللسانيات الحديثة هي استمرار للخط الحضاري الحديث ذي الطابع العلمي التكنولوجي الذي يجعلها مرتبطة بالعلوم الطبيعية والتقنية الصارمة كالفيزياء والبيولوجيا والحاسبات الإلكترونية والرياضيات، أما الدراسات اللغوية القديمة فإنها استمرار للخط الحضاري القديم ذي الطابع الإنساني الذي يجعلها تدور في فلك العلوم الإنسانية كالأدب والنقد والفلسفة والتاريخ."[4] يترتب عن هذا أن منطلق الدرس

---

(1)– مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، ص:39، نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:89

(2)– نعمان بوقرة، الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية دراسة وصفية تأصيلية في ضوء التلقي العربي للمناهج اللسانية الحديثة، ص:24

(3)– مازن الوعر، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، ص:14

(4)– المرجع نفسه، ص:14

اللساني الحديث علمي تكنولوجي، أما في التراث اللغوي العربي فالمنطلق إنساني حضاري، فشتان بين المنطلقين والمنهجين والغايتين.

ورغم التأليف الغزير في مادة النحو العربي الذي دام قرونا عديدة إلا أن "قصور النحو العربي القديم عن الاضطلاع بوظيفته الرئيسة التي نشأ من أجلها؛ وهي صون اللسان من اللحن في القرآن، وتعليم قواعد اللغة العربية لأصحابها ولغيرهم من المسلمين الناطقين أصلا بلغات أخرى."(1) أدى إلى البحث عن الجديد وقبول أسسه ومبادئه؛ "لأن فائدة كتب اللغة العربية التقليدية محدودة، ولأن آراء الفلاسفة وعلماء الكلام والمنطق تشوبها، ولأنه مضى على وضعها زمن طويل أحلّ فيها السقم والعقم. فتقدم العلوم عامة والعلوم الألسنية خاصة أتاح للباحثين فرصة إتباع طرق علمية جديدة لوضع الكتب والمؤلفات القيمة."(2)

هناك تخوف على النحو والصرف العربيين من اللسانيات، لكن "النحو شيء واللغة شيء آخر، والصرف شيء واللغة شيء آخر، لأن اللغة العربية حقيقة لكن النحو والصرف علمان بآليات وصف هذه الحقيقة وتقنينها وتفسيرها وتعليمها، إذا أخذنا بهذه الحقيقة فسنعرف بأن اللسانيات تحمل وعداً صادقا بإعادة وصف اللغة العربية نحواً وصرفاً وصوتاً ومعجماً لا إعادة اللغة نفسها فلغتنا باقية ببقاء مركزها اللغوي وهو القرآن الكريم، فلا خوف عليها من منهج يقنّنها أو يفسّرها ما دام لا يلغي وجودها."(3) واللسانيات تقوم أساسا على اللغات فكيف تلغي اللغة العربية؟ فاللسانيات علم مساعد في مستويات اللغة، وليست ضد اللغة في حدها.

(1)- محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، ص:63

(2)- ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1972، 1/11-12

(3)- حسن خميس الملخ، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، ص:322

ثم إن الغربيين لم يهملوا التراث اللغوي العربي بشكل مطلق، فالعديد "من العلماء الغربيين قد أولوا تراثنا العربي اهتماماً واعتباراً، و جاءت جلّ أعمالهم من العمق والتحليل والدراسة بالقدر الذي يجعلنا نؤكد أنهم استطاعوا الإجابة عن كثير من القضايا والمشاكل اللغوية، في لغتنا العربية."(1) خاصة منهم أعمال المستشرقين، و"مَكنهم من الوصول إلى هذه الإجابات؛ إحاطتهم الواسعة باللغات السامية الأخرى."(2)

وفي الأخير تغير اللغة العربية عبر الزمن لأن "اللغة التي وصفها 'سيبويه' ليست هي اللغة الموجودة حاليا."(3) ومن هنا وجب التعايش بين "نسقين اثنين للغة العربية؛ الأول قديم وهو الذي وصفه 'سيبويه'، والآخر حديث وصْفُهُ لا يحتاج إلى نحو القدماء وإلا أدّى ذلك إلى خلطٍ بين نسقين مختلفين."(4)

مما سبق يتضح أن"اللسانيات علم صديق لكل الدراسات اللغويّة على مختلف لغاتها؛ لأنها علمُ شكلٍ ومنهجٍ وأسلوبٍ وطريقةِ معالجةِ وبحثٍ، وليستْ بالضرورة الحتميّةِ فكراً جديداً، فهي كأيّ أداة حضاريّة يستعملها البشر من غير التفكير بفكر صانعها؛ مثل السيارة أو أي آلة أخرى، وهذا يعني أنّ اللسانيات ليست بديلاً عن النحو العتيد ولا الصرف التليد ولا المعجم المجيد، فهي إن دخلت هذه العلوم أعادت تنسيقها وتحديثها؛ لتخرج بثوب جديد لكنه لا يلغي الأصول الصحيحة،"(5) التي بُنيَّ عليها التراث اللغوي العربي.

---

(1)- حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث في مجالي مفهوم اللغة والدراسات النحوية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د.ط، 1994، ص:3

(2)- المرجع نفسه، ص:3

(3)- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، ص:53

(4)- محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، ص:72 الهامش

(5)- حسن خميس الملخ، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، ص:321

<u>حوصلة عامة</u>: انطلاقا مما سبق فالمغالاة في أي اتجاه سيؤدي إلى التعصب لا محالة، لأن من كان ضد اللسانيات حتى لأسباب منطقية حينا لكنها ليست قرآنا يتلى؛ لأنه يمكن مناقشتها ونقدها وتقديم الحجة أحيانا ضدها. أما من كان مع وجود اللسانيات فلا يمكن إغفال أن هذه النماذج المقدمة "محكومة بمنطق النسبية العلمية واللسانية التي يبقى كل شيء فيها تجاوزاً، وهذا يُحتم القبول بالاختلاف طالما أن الآلة الواصفة متجددة أبداً."[1]

وتبقى اللغة العربية "بوصفها حقيقةً استعماليةً قائمةً ما دام أهلُها يتحدثون بها ويكتبونَ بها، لكن علومها ليست من قبيل الحقائق بل من قبيل آليات وصف الحقائق، وهذه الآليات قابلة للتغيّر لأسباب مختلفة، وقديماً مارس البصريون والكوفيون الاختلاف في آليات وصف الحقائق وتقنينها من غير تغيير الحقائق،"[2] وهذا ما تصبو إليه اللسانيات.

2-<u>اتجاهات ومضامين اللسانيات العربية</u>:

يمكن إجمال اتجاهات البحث اللساني العربي الحديث في قطبين مختلفين، الأول اتجاه تراثي يحاول إعادة إنتاج الموروث اللغوي العربي، بصيغته القديمة نفسها، والثاني حداثي يحاول أن يتبنّى المسار اللساني الغربي بكل تفصيلاته، ويعلن القطيعة مع الاتجاه الأول، ويتوسط الاتجاهين اتجاه توفيقي وسطي، يحاول التوفيق بين المتنافرين.

(1)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:403
(2)- المرجع نفسه، ص:321

فالمتتبع للبحث اللساني العربي الحديث يلاحظ اختلاف الاتجاهات وتعدُّدها بخصوص أوجه العلاقة الممكنة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات، في هذا الصدد يُميز أحمد المتوكل[1] بين ثلاثة اتجاهات أساسية:

"- فريق ولى وجهه شطر الغرب، يمتدح منه آراء لغوييه ومناهج منظريه، يبلور مقدرتها الوصفية والتفسيرية على اللغة العربية.

-واستمر فريق يرتل قواعد النحو العربي وخاصة ما وضع منها في عصور الجمود اللغوي متعاميا متصاما عما يُكتب أو يقال في ميدان الدرس اللغوي الحديث.

-وارتأى فريق ثالث إلى إيجاد نظريات ونماذج لغوية صالحة لوصف اللغة العربية انطلاقا من النظريات اللغوية العربية وترميما لها على ضوء الدراسات اللسانية الحديثة."[2]

الاتجاهان كلاهما؛ التراثي والحداثي "يشكلان مظهرين لاتجاه واحد خاطئ، ألا وهو اتجاه التعصب في حياتنا الفكرية، سواء كان هذا التعصب لتراثنا الفكري أو لفكر الغرب ونظرياته."[3]

2-1- <u>الاتجاه التراثي</u>: اتخذ الاتجاه التراثي مبدأ "التشبث بالتراث تشبثًا بالأصالة وارتباطًا بالتاريخ. إن التراث يشكل عروة وثقى تربط الحاضر بالماضي. إنها مسلمة غير قابلة للبرهنة وهو مبدأ لا

(1)-أحمد المتوكل: لساني مغربي تأثر بوظيفية سمون ديك الهولندي، يهدف إلى تأسيس نحو وظيفي للغة العربية، نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:345-348

(2)- أحمد المتوكل، نحو قراءة جديدة لنظرية النظم عند الجرجاني، مجلة كلية الآداب الرباط، العدد1، ص:91، نقلا عن عبد الله الجهاد، نهاد الموسى والمنهج المعاصر نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث نموذجا، آفاق اللسانيات دراسات مراجعات شهادات تكريما للأستاذ الدكتور نهاد الموسى، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2011، ص:422-423

(3)- محمد ياسر سليمان، التراث اللغوي العربي والدراسات اللغوية الحديثة، مجلة اللسان العربي، المجلد21، 1982-1983، ص31

يمكن لأحد أن يتنكر له؛"[1] لأنه لا تجديد ولا تحديث يبدأ من الصفر، "فلا غرابة أن تُعدّ قراءة التراث تأسيسا للمستقبل على أصول الماضي بما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب."[2]

وهناك مقولة "يرددها المؤرخون كثيرا مفادها أن ماضي الأمة يضيء حاضرها،"[3] لكن التراث اللغوي العربي، "كما وضعه اللغويون العرب القدماء، بحاجة ماسة إلى دراسة جادة، من وجهة النظر اللغوية الحديثة."[4] والغاية من قراءة التراث اللغوي العربي في ضوء اللسانيات هي "استرداد هذا التراث لبريقه بحمله على المنظور الجديد في محاولة جادة لتأسيس الحاضر والمستقبل على أصول الماضي."[5] أي إبراز منزلة التراث اللغوي العربي التي تأخذ بعداً حضارياً ليصبح التراث معاصرًا لنا، لأنه لا يمكن "جعل من النظريات والمفاهيم اللغوية الغربية الحديثة المرجع الوحيد والمطلق في اللسانيات بالنسبة إلى دراسة التراث اللغوي بوجه الحداثة فقط، فيكون هو الأصل الذي يجوز أن يّرد إليه كل تحليل وما تركه لنا العلماء العرب فرع عليه."[6] بل لا بدّ من "محاولة الرجوع إلى القديم لإعادة قراءته؛ فهو مشروع مستمر لا يمكن أن يوصم باللاجدوى أو العبثية."[7] ولا نغفل عن "الفائدة الكبرى التي يمكن أن نتوصل إليها من خلال هذا الربط، والذي بلا شك سيظهر مدى استمرارية الفكر اللغوي عبر الزمان."[8]

---

(1)– مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية حفريات النشأة و التكوين، ص:133

(2)– عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص:25

(3)– محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، ص:11

(4)– محمد ياسر سليمان، التراث اللغوي العربي والدراسات اللغوية الحديثة، ص31

(5)– حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:131

(6)– عبد الرحمن الحاج صالح، أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي، مجلة الممارسات اللغوية، تيزي وزو، الجزائر، العدد 2، 2011، ص:15

(7)– جمعان بن عبد الكريم، التطور الإبستمولوجي للخطاب اللساني غموض الأولويات، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص:44

(8)– حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث في مجالي مفهوم اللغة والدراسات النحوية، ص:2

يتخذ هذا الصنف من الكتابة اللسانية "التراث اللغوي العربي القديم في شموليته موضوعا لدراسته المتنوعة، أما المنهج الذي يتبعه أصحاب هذه الكتابة فهو ما يعرف عادة بمنهج القراءة أو إعادة القراءة. ومن غايات لسانيات التراث[1] وأهدافها قراءة التصورات اللغوية القديمة وتأويلها وفق ما وصل إليه البحث اللساني الحديث والتوفيق بين نتائج الفكر اللغوي والنظريات اللسانية الحديثة، وبالتالي إخراجها في حلة جديدة تبين قيمتها التاريخية والحضارية."[2]

ويهدف التقريب والمماثلة بين التراث اللغوي واللسانيات "إلى الكشف عن الصلة بين علوم العربية في تراثنا العربي، ودورها في الدرس اللغوي من جهة، وعقد الصلة بين تراثنا اللغوي القديم، ومعطيات علم اللغة الحديث في محاولة لتأصيل هذا التراث من جهة أخرى."[3]

وكذلك التقريب والمماثلة بين القديم والحديث فرصة لإظهار إسهام العرب في بناء الحضارة الإنسانية؛ ولأن "فهم تراثنا العربي وشرحه في ضوء منجزات العلم الحديثة هو السبيل لانتزاع اعتراف العالم بمدى المساهمة الإيجابية للأمة العربية في الحضارة الإنسانية."[4]

فالغاية من الاتجاه التراثي هي "إعطاء النظرية اللسانية العربية القديمة مكانتها اللائقة بها في إطار مراحل الفكر اللغوي الإنساني لخلق نوع من التفاعل بين الفكر اللغوي العربي القديم، والنظريات

---

(1)–لسانيات التراث: تسمية أطلقها مصطفى غلفان تجاوزاً في مصنفه اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:91، 131–167

(2)– مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:92

(3)– كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، ص:7، نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:138–139

(4)– جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز، نظرية الإمام الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة الحديث، ص:7، نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:140

اللسانية الحديثة القائمة على الأخذ والعطاء والقرض والاقتراض بينهما؛"[1] لأن "العرب بحكم مميزات حضارتهم وبحكم اندراج نصهم الديني في صلب هذه المميزات قد دُعوا إلى تفكرِ اللغة في نظامها وقُدسيتها ومراتب إعجازها فأفضى بهم النّظر، لا إلى درس شمولي كوني للغة فحسب؛ بل قادهم النّظر أيضا إلى الكشف عن كثير من أسرار الظّاهرة اللسانية ممّا لم تهتد إليه البشريّة إلا مؤخرا بفضل ازدهار علوم اللسان منذ مطلع القرن العشرين."[2] والهدف الأساس من لسانيات التراث هو "الكشف عن القيمة العلمية لتراثنا في مجال علوم اللغة ... لنفهم أولا تراثنا بشكل علمي صحيح، وبعد أن نفهمه نستطيع أن ندافع عنه أمام أولئك الذين يتهجمون عليه وينتقصون من قيمته العلمية."[3]

لكن تحديد الغاية سلفًا من دراسة التراث اللغوي العربي التي تتلخص في كون "البحث اللغوي الحديث يضارع البحث اللغوي عند العرب،"[4] سيؤدي حتماً إلى استنطاق التراث بشكل "غير مضبوط من الناحية النظرية أو المنهجية."[5] لأن "السمة الغالبة على لسانيات التراث هي اعتمادها تأويل النصوص واستنطاقها، منطلقا مع عزلها عن سياقاتها، فهي قراءة لا تنظر إلى المقروء كما هو في شموليته وكلّيته ولحظاته التاريخية. إنها –لسانيات التراث– لا تهتم بالتراث إلا في إطار ما تستهدفه من

(1)– مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:137

(2)– عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص:26

(3)– جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز، نظرية الإمام الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة الحديث، ص:145، نقلا عن مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:165

(4)– نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 1980، ص:19

(5)– مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:149

وراء عملها ممارسة نوع من الانتخاب والانتقاء ونزع النصوص من سياقها التاريخي، ثم إعادة زرعها في سياق جديد."(1)

ثم محاولة "إثبات السبق على اللسانيين المعاصرين في كل ما جاءوا به، حتى أصبح الفكر اللساني المعاصر... من قبيل تحصيل الحاصل، أو قل إنه حاشية محدثة على متن قديم،"(2) أدى هذا كلّه إلى إسقاطات ظرفية تسيء للتراث اللغوي العربي أكثر مما تخدمه.

فالنحو العربي صُنف على أنه وصفي تارة؛ لأن "كتب النحو العربي حافلة بمادة صالحة جدا عن العربية ... وهي طريقة لا تبتعد –في جوهرها– عن كثير مما يقره الوصفيون."(3) وأن النحو العربي توليدي تحويلي تارة أخرى؛ لأن "نظرة مقارنة دقيقة بين الأسس التي اعتمدت عليها المدرسة التوليدية التحويلية، وبين القواعد النحوية التي أرساها العلماء العرب، لَتؤكد لنا أن النحو العربي لم يكن بعيدا عن هذه الأسس والأفكار."(4)

لكن "النحو العربي بناء متماسك،"(5) وهو "نسق فكري وضع في فترة تاريخية معينة...غير أن

(1)– حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية نحو مقاربة إبستمولوجية، مجلة اللسانيات واللغة العربية، عنابة، الجزائر، العدد2، ديسمبر 2006، ص:13، الموقع الإلكتروني:
http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=28111

(2)– سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ط1، ص:30

(3)– عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، 1979، ص:53

(4)– حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث في مجالي مفهوم اللغة والدراسات النحوية، ص:30

(5)– حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:406

تعدد القراءات يفقده خصوصيته الحضارية"[1] التي تأسس فيها، فلا يمكن أن يكون النحو العربي ماهيتين أو أكثر في الوقت ذاته.

لأننا عندما نقول إن "النحو العربي وصفي وتحويلي"[2] في الوقت نفسه؛ أي أن "النحو العربي بنيوي في أسسه المنهجية والنظرية ثم نعود ونبين بأنه توليدي تحويلي في أصوله ومصطلحاته نقع دون شك في مفارقة منهجية ومغالطة إبستمولوجية[3]. إن ما يكون بنيويا تصنيفيا لا يمكنه أن يكون في الوقت ذاته توليديًا تحويليًا نظرًا لاختلاف الأسس النظرية والمنهجية بين التصورين."[4]

ولكن ماذا نعني بالتراث اللغوي العربي؟ هل التراث اللغوي العربي هو النحو العربي فقط؟ "إن ما نعنيه بالتراث اللغوي العربي هو كل هذا الركام المعرفي المتناثر في تاريخ الفكر العربي والذي وجد من أجل خدمة النص القرآني. ونحن لا نستطيع معرفة النظرية اللغوية العربية بأبعادها الكاملة إلا إذا أعدنا تركيب هذا الفكر اللغوي العربي المتناثر بعد سبر دقيق وعميق لكل ما قاله العرب حول المسألة اللغوية."[5] وهذا يعني أنه "إذا أردنا إعادة تركيب التراث اللغوي العربي فإنه ينبغي أن نبحث في المصادر التالية:

- كتب النحو والشروح التي تناولته (نحويات أو علم التراكيب).

- كتب التجويد وفق قراءة القرآن الكريم (صوتيات أو علم الصوت).

(1)- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:157

(2)- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، ص:143

(3)- الإبستمولوجية: لغة: الدراسة النقدية للعلوم، اصطلاحا:الدراسة النقدية للمبادئ والفرضيات والنتائج العلمية، نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية نحو مقاربة إبستمولوجية، ص:1-2

(4)- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:158

(5)- مازن الوعر، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، ص:4

– كتب البلاغة والفلسفة والمنطق (دلاليات أو علم المعنى).

– كتب التفاسير القرآنية والنبوية.

– دواوين العرب الشعرية والنثرية والشروح التي تناولتها.

– كتب الموسوعات المعرفية المختلفة التي كتبها عظماء الكتّاب العرب، أمثال الجاحظ (ت 255هـ) وابن عبد ربه (ت 328هـ) وابن حزم الأندلسي (ت 456هـ) وغيرهم.

– كتب المعاجم واللغة، كما عند الأصمعي (ت213 هـ) والقالي (ت356هـ)، وابن فارس (ت395هـ)، وابن منظور (ت711هـ)، وغيرهم.

– كتب التاريخ كما عند الطبري (ت310هـ) وياقوت الحموي (ت626هـ) وغيرهما.."[1]

فهل يمكن جمع هذا التراث اللغوي العربي كله أولاً ثم إسقاط النظريات اللسانية الغربية عليه ثانياً؟

أما إذا كان الهدف من هذه الدراسة –لسانيات التراث– هو بيان "أصالة الفكر اللغوي العربي؛"[2] فإن "اللسانيات الحديثة ليست مقياسا لتقويم أصالة التفكير اللغوي العربي القديم، إن أصالة هذا الفكر مرتبطة بالإطار الحضاري العربي الإسلامي وبالشروط التاريخية التي وجهت التفكير اللغوي العربي في المسار الذي سار فيه بكل الملابسات والأبعاد المعروفة."[3] إن "ما تقدمه لسانيات التراث يجعل أصالة التراث العربي مرتبطة أساسا بهذا الشكل من المقارنة، وهذا يعني أنه لا وجود للتراث اللغوي

(1)– مازن الوعر، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، ص:3-4

(2)– مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:153

(3)– المرجع نفسه، ص:154

العربي ولا لأصالته إلا بالارتباط المباشر بالنظريات اللسانية الحديثة."[1] ليست اللسانيات معيارا يُحتكم لها التراث اللغوي العربي.

إن توظيف اللسانيات الحديثة "في دراسة الفكر العربي القديم في جميع جوانبه مسألة مستحبة. كما أن البحث في الفكر اللغوي القديم أمر لا مفر منه بل إنه ضروري لوضع تاريخ يليق بمكانة هذا الفكر... إن لسانيات التراث تعيد بأسلوب حديث ما قاله القدامى من لغويين ونحاة وبلاغيين دون أن يساهم ذلك في دراسة اللغة العربية دراسة علمية في مستوى ما تحقق في الدرس اللساني الحديث."[2]

وبالمقابل "الفكر اللساني الغربي قد اتجّه أخيرا إلى إعادة قراءة تراثه اللاتيني نافذا من خلاله إلى التراث اليوناني أحيانا، وهذا المنهج ... بمثابة البحث في خبايا التراث اللغوي بغية إدراك أسرار العلم اللّساني الحديث من جهة. وتقييم التفكير التّاريخيّ في الظاهرة اللّغوية بمنظور حديث من جهة أخرى."[3]

ولإعادة قراءة التراث اللغوي العربي لا بدّ من التمييز بين موقفين هما:

"موقف حضاري : تكون فيه القراءة فعلاً وسيلة تكفل لنا التعرف على ذواتنا حضارياً وتسمح لنا بإبراز خصوصيتنا أمام تحديات العصر المتعددة، وفي هذا الاتجاه تعتبر القراءة وسيلة ناجحة للتعريف بالتراث اللغوي العربي لا باعتباره جزءا من تاريخ الفكر العربي فحسب وإنما باعتباره أيضاً محطة تاريخية في مسار الفكر اللغوي الإنساني لا يمكن تجاهلها."[4]

---

(1)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية نحو مقاربة إبستمولوجية، ص:16

(2)- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:156

(3)- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص:14

(4)- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:164

أما الموقف الآخر فهو"موقف علمي: حيث ينبغي أن ينظر للتراث على أنه إنتاج معرفي محدد بإطار تاريخي وثقافي يوضح مصادره الفكرية،... إن الموقف العلمي السليم يقتضي منا أن ننظر للتراث اللغوي العربي باعتباره نتاج مرحلة من مراحل الفكر الإنساني التي تفاعلت مع مراحل أخرى."[1]

ومن هنا فلابدّ من التفريق بين "طبيعة العمل اللساني باعتباره ممارسة وبين البحث اللغوي بصفته مساهمة حضارية،"[2] لكي لا تختلط النزعة الدينية والرغبة القومية والتحمس العاطفي بخصوصيات العلم.

ولتقديم صورة مشرقة عن تراثنا اللغوي و"إغناء الثقافة العالمية بالتراث اللغوي العربي يجب أن لا يتم في إطار قراءة تمجيدية تنويهية شعارها أنه **"ليس بالإمكان أبدع مما كان"** وإنما من خلال تقديم أعمال لسانية تنطلق من اللغة العربية موضوعًا لها على غرار ما هو معمول به في ثقافات أخرى."[3]

ثم "إن الأصالة الحقة هي الإبداع داخل تراثنا بتوظيف ما يمكن توظيفه من قضايا أو من مناهج أو من أفكار قد تأتينا من مناحٍ أخرى،"[4] و بالتالي" إقامة حوار مثمر بينها وبين تراثنا اللغوي."[5]

2-2- <u>الاتجاه الحداثي</u> : يمارس هذا الاتجاه "فعل القطيعة مع التراث –المنجز الفكري العربي القديم– ويعتبره بنية مغايرة تاريخيا وثقافيا ومعرفيا مقارنةً"[6] باللسانيات الحديثة، أي "نقد هذا التراث إلى

---

(1)– مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:164

(2)– حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية نحو مقاربة إبستمولوجية، ص:16

(3)– مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:165

(4)– محمد عابد الجابري، مداخلة في البحث اللساني والسميائي، ص:186، نقلا عن مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:167

(5)– أحمد المتوكل، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، ص:45

(6)– يوسف منصر، الخطاب اللساني المغاربي اتجاهاته ومضامينه، التواصل، عدد 18جوان 2007، ص:8، الموقع الإلكتروني: http://www.aljabriabed.net/n96_08mansar.htm

حد الاستهجان والدعوة إلى الحداثة والتجديد، ويضم هذا الاتجاه معظم الوصفيين وبعض التوليديين"[(1)] من اللسانيين العرب.

2-2-1- اللسانيات الوصفية العربية: ظهرت اللسانيات الوصفية العربية بسب "النتائج الإيجابية التي حققتها اللسانيات الوصفية"[(2)] في الغرب ومع شروع "بعض أفراد البعثات الطلابية إلى الجامعات الأوروبية في العودة إلى أوطانهم ... والذين تتلمذوا خصوصا على يد فيرث[(3)] في مدرسة لندن."[(4)] وما أن ظهر الاتجاه الوصفي حتى "انبهر العديد من اللغويين العرب بالانجازات التي حققتها الوصفية في الغرب، فكان ذلك حافزًا على تطبيق هذا المنهج على اللغة العربية."[(5)]

تحمل الوصفية شعار "التفكير اللساني في العصر الحديث تفكير وصفي واتسمت الوصفية بموضوعية البحث لأن اللسانيين اقتنعوا بأن يكونوا وصّافيين للظواهر اللغوية لا مفلسفين لها... والموضوعية، في تصور اللسانيين العرب، هي سمة العلم المضبوط، وهي تعني ارتباط التفكير بسلوك الظواهر الخاضعة للملاحظة، بحيث أن طبيعة الموضوع المدروس هي التي تتحكم في الدراسة من دون اعتماد على ميول الذات الباحثة ولا عواطفها وآرائها الشخصية ومعتقداتها."[(6)]

لكن يُعاب على الكتابة الوصفية العربية ادعاء المنهجية والعلمية وربطها بالوصفية وحدها، ونفي ذلك عن سائر المناهج وترى الوصفية أنّ المنهج العلمي "يُعنى أولا وآخرا بالإجابة عن (كيف) تتم

---

(1)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:404

(2)- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:175

(3)- فيرث Firth (1890-1960) هو أول من جعل من اللسانيات دراسة علمية متميزة ومعترفا بها في بريطانيا. ولقد صبت نظرياته على الصوتيات الوظيفية وعلم الدلالة بشكل أساسي، نقلا عن: جيفيري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة:محمد زياد كبة، النشر والمطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، د.ط، 1996، ص:227-228

(4)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:44

(5)- المرجع نفسه، ص:226

(6)- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص:86

هذه الظاهرة أو تلك، فإذا تعدى هذا النوع من الإجابة إلى محاولة الإجابة عن (لماذا) تتم هذه الظاهرة أو تلك، لم يعد منهجاً علمياً ... لكن إن النظرية العلمية يجب أن ترقى إلى مستوى تفسيري، ولا تكتفي بالملاحظة الخارجية في جميع الأحوال، بل تبحث في الكيف وفيما وراء الكيف."[1] إذا كانت الغاية من اللسانيات هي الوصف فقط فلأي علم ينسب تفسير الظواهر اللسانية؟[2]

أما عن علاقة الوصفية العربية بالتراث اللغوي العربي فقد أَوْلَى الوصفيون العرب[3] التراث اللغوي العربي اهتماما خاصاً، وهو اهتمام كانت له أسبابه منها هذا القول: "لقد حرصنا قدر الإمكان في هذا العمل على ربط الصلة بين الماضي والحاضر والقديم والحديث إيمانا منا بأن لا حديث بلا قديم ولا فضل لقديم يقنع بنفسه ولا يتطور ولا يتجدد مع الزمن."[4]

لكن "وسيراً على نهج الوصفيين الغربيين في نقدهم للنحو التقليدي، وجد الوصفيون العرب في ما صح من نقد الأوروبيين لتراثهم النحوي ينسحب أيضاً على التراث النحوي العربي،"[5] أي أن التراث اللغوي العربي تضمن العيوب نفسها التي تضمنها النحو الأوروبي القديم.

ومن أهم المآخذ التي أسقطها الوصفيون العرب على النحو العربي، على غرار الوصفيين الغربيين هي:

---

(1)- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، ص:58

(2)- مثال توضيحي: يرى عالم طبيعة تفاحة تسقط من شجرة، فيصف الظاهرة بقوله:"إذا سقطت التفاحة من الشجرة فإنها تسقط عموديا وإلى الأسفل"، أما تفسير ما حدث –في نطاق قوانين الطبيعة– لماذا سقطت التفاحة عموديا وإلى أسفل ولم تتّجه أفقيا أو إلى أعلى، هذا ما يصبو إليه العلم، ينظر داود عبده، دراسات في علم أصوات العربية، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010، 17/1

(3)–الوصفيون العرب: من أبرزهم إبراهيم أنيس ومحمود السعران وتمام حسان وعبد الرحمن أيوب...، ينظر حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:226، ينظر أيضا مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:175

(4)- الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، المطبعة العربية، تونس، ط3، 1992، ص:27

(5)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:206

1-تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي[1] "منذ مراحله الأولى، وأن هذا التأثر صار طاغيا في القرون المتأخرة، وقد أدى ذلك إلى أن يكون النحو العربي 'صوريا' وليس 'واقعياً'، ومن ثم اهتم بالتعليل والتقدير والتأويل، ولم يركز درسه على الاستعمال اللغوي 'كما هو'."[2]

2- "أن النحو العربي لم يقعد للعربية كما يتحدثها أصحابها، وإنما قعد لعربية مخصوصة تتمثل في مستوى معين من الكلام هو في الأغلب شعر أو أمثال أو نص قرآني؛ أي أنه لم يوسع درسه ليشمل اللغة التي يستعملها الناس في شؤون الحياة، وإنما قصره على درس اللغة الأدبية."[3]

3-مع تحديد النحو العربي لمستوى اللغة التي يقعّد لها، "حدد أيضا بيئة مكانية وزمانية لهذه اللغة، فهو لم يسمح بالتقعيد إلا على اللغة المستعملة في بوادي نجد، والحجاز، وتهامة، ومن قبائل مخصوصة لم تتأثر بحياة الحضر أو بالاتصال ببيئات لغوية أخرى... وهذا التحديد للمكان صحبه تحديد آخر للزمان."[4]

4-لم يميز النحو العربي "حدودًا واضحة لمستويات التحليل اللغوي، وإنما اختلطت فيه هذه المستويات اختلاطا شديداً."[5]

تكشف هذه الجوانب من نقد الوصفيين العرب للنحو العربي عن "تأثر واضح بنقد الوصفيين الغربيين للنحو التقليدي، وهي انتقادات الهدف منها تجاوز هذا النحو والاستعاضة عنه بالمنهج

(1)-منطق أرسطو: يهتم بالصورة أكثر من المادة، ودرس اللغة ينبغي أن يركز على المادة لا على الصورة، وتأثير المنطق على النحو يبعده عن درس الواقع اللغوي كما هو، نقلا عن عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، ص:61

(2)- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، ص:48

(3)- المرجع نفسه، ص:48-49

(4)- المرجع نفسه، ص:50

(5)- المرجع نفسه، ص:52

الوصفي. وهو المنهج الذي سلكه الوصفيون العرب الذين دعوا إلى تبني هذا المنهج بديلاً عن النحو العربي."[(1)]

ولعل ما طبع النحو التقليدي "وجوانب النقص التي تخللت أعمال النحاة"[(2)] العرب القدماء؛ منها تأثر النحو العربي بالفلسفة والمنطق الذي "اعتبر في نظر الوصفيين حشرا لقضايا غير لغوية في دراسة اللغة، وهذا يتعارض مع استقلالية الدرس اللغوي،"[(3)] لذلك "تبدو الحاجة ملحة، في أيامنا هذه، إلى بناء الدراسات اللغوية على منهج له فلسفته و تجاربه."[(4)]

هذا الذي دفع بالوصفيين إلى البحث عن أسس جديدة، وجدوها في المنهج الوصفي، لأن "الدراسات اللغوية الحديثة تجعل اللغة موضوعًا للوصف، وتستخدم الموضوعية التامة لهذا الوصف."[(5)]

ومن جهة أخرى "فالوصفيون الذين انتقدوا النحاة القدامى أشد ما يكون الانتقاد وعابوا عليهم إفسادهم للنحو بإدخال أدوات ومفاهيم منطقية فيه، وانتصارهم للقياس، واصطناع أمثلة وتراكيب كثيرة لم تكن موجودة في اللغة، ولم تُسمع عن العرب، وإنما أوردوها لتزكية أصولهم، حتى هؤلاء اكتفوا بالاحتفاظ بما أتى به القدماء من معطيات ولم يحاولوا وصف لغة أخرى بالاعتماد على جرد مواد جديدة انطلاقا من نصوص شفوية أو مكتوبة."[(6)] لأن الوصفيين العرب "لم يحددوا أي مادة لغوية

---

(1)– حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:228

(2)– المرجع نفسه، ص:42

(3)– المرجع نفسه، ص:250

(4)– تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، د.ط، 1990، ص:5

(5)– تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط4، 2000، ص:31

(6)– عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، ص:52

جديدة مكتفين بالمعطيات التي تم جمعها في العصور الأولى لبداية التفكير اللغوي العربي، وبالتالي فإنهم لم يكلفوا أنفسهم هذا العناء الذي تكبده القدماء للقيام بمهمة الجمع."[1]

ثم إذا كانت الكتابة الوصفية العربية تتخذ من المنهج الوصفي منطلقا؛ "فإن الملاحظ أنها لم تتقيد بخطوات هذا المنهج، فمن المعروف أن التحليل الوصفي يبدأ بتحديد ما اصطلح على تسميته بالمتن Corpus* باعتباره مادة البحث اللساني، ويتعلق الأمر بجمع النصوص المنطوقة أو المكتوبة أو هما معاً، ويشترط فيه نوعا من التجانس والتمثيلية والتحديد الزماني والمكاني للغة الموضوعة للوصف."[2]

فالكتابة اللسانية الوصفية العربية "لا تعكس أي انشغال بمسألة اللغة العربية باعتبارها موضوعاً للوصف اللساني، وقد نتج عن هذه الوضعية أن دراسة اللغة العربية وصفيا لم تواكب مظاهر التطور التي عرفتها العربية منذ عصور طويلة."[3]

ورغم الرجوع المستمر للتراث اللغوي العربي من طرف الوصفيين العرب لاستلهام "المفاهيم والمصطلحات وطرق التحليل،"[4] إلا أن هناك "موقفاً متناقضاً إزاء هذا التراث لاسيما النحوي منه."[5] وخلاصة القول إن نقد الوصفيين العرب للتراث اللغوي العربي لم يكن "نقداً موضوعيًا، بقدر ما كان دفاعا عن المنهج الوصفي ووسيلة لتبرير اللجوء إليه."[6]

(1)- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:195

* Corpus: تدعى المدونة اللغوية وهي مجموعة محدودة 'ليس معنى هذا أنها قليلة' أي متناهية من النصوص مسجلة أو منسوخة جمعت في مكان معين وزمان معين، التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، ص:112

(2)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية نحو مقاربة إبستمولوجية، ص:18

(3)- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:196

(4)- المرجع نفسه، ص:197

(5)- المرجع نفسه، ص:197

(6)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية نحو مقاربة إبستمولوجية، ص:18

وفي الأخير يتبين أن "الزاوية المنهجية التي نظر من خلالها الوصفيون العرب إلى النحو العربي تعرضت بدورها لكثير من النقد لاسيما بعد ظهور نظرية النحو التوليدي*؛"[(1)] لأن "المنهج الوصفي التقريري ليس المنهج الأمثل في اللغة، وأن قدماء اللغويين العرب لم يجانبوا الصواب في كثير مما اعتبره الوصفيون المحدثون انحرافاً عن المنهج اللغوي السليم."[(2)]

فاللسانيات الوصفية العربية "لم تكن منهجاً لمحاولة بناء نموذج جديد للغة العربية وإنما كانت منهجا نقدياً تتخذ من الدراسات اللغوية التقليدية موضوعاً لها. أما من الناحية التطبيقية فلم تستطع زحزحة النموذج التقليدي عن مجال تعليم اللغة العربية سواء في المدارس أو الجامعات وإنما ظلت حبيسة في دراسات جامعية أكاديمية"[(3)]، وبالتالي فاللسانيات الوصفية العربية لم تتمكن من تقديم البديل الكفيل بتجاوز التحليل اللغوي القديم.

لكن الكتابة اللسانية الوصفية العربية "شكلت رافداً أساسياً في الحركة اللغوية العربية الحديثة مساهمة بنصيب وافر في التعريف باللسانيات الوصفية كما استطاعت هذه الكتابة... أن تقنع المهتمين والمنشغلين باللغة العربية بضرورة إعادة النظر في دراسة اللغة العربية في ضوء مستجدات البحث اللساني العام."[(4)] أي لها شرف السبق لطرق الدرس اللساني العربي الحديث.

---

* النحو التوليدي: مجموعة من القواعد الكامنة في ذهن المتكلم، الراسخة فيه والمكتسبة من محيطه الاجتماعي منذ طفولته، والتي تمكنه فيما بعد من اكتساب لغات أخرى، كما تمكنه من إنتاج جمل جديدة لم يسمعها بعد، شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص:40

(1)– مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:198

(2)– داود عبده، أبحاث في اللغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1973، ص:26، نقلا عن مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:198

(3)– حلمي خليل، اللغة العربية والبنيوية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص:240، نقلا عن مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:282

(4)– مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:281

2-2-2 <u>اللسانيات التوليدية العربية</u>: نشأ المنهج "التوليدي التحويلي على أنقاض البنيوية... فانصبّ اهتمام التوليديين على صياغة قواعد عامة يمكن أن تشمل سائر اللغات. وصياغة مثل تلك القواعد يفرض الاستناد إلى نماذج مُفترضة مُستنبطة وفقاً لمعايير منطقية ورياضية."(1)

ظهرت اللسانيات التوليدية العربية "في بداية السبعينيات من القرن العشرين،"(2) نظرا للنجاح الذي حققه المنهج التوليدي التحويلي في الغرب، وهذا المنهج "لم يكن طفرة، بل كان حصيلة تطور طبيعي وتلقائي أفضت إليه تراكمات أعمال فلسفية ومنطقية ولسانية يغطي قسم منها ما يقارب ثلاثة قرون؛ شكّلت أعمال نحاة القرون الوسطى، والنحو العام المعقلن لبور رويال*، واللسانيات الديكارتية واللسانيات المقارنة، واللسانيات البنيوية، أهم سماتها البارزة."(3)

هذه أهم المصادر التاريخية للنظرية التوليدية، "ولا يعني هذا أنْ تشومسكي Chomsky ظلَّ أسير ذلك 'الرأسمال الفكري'، بل إنه سعى إلى وضع أهداف محددة لنظرية تستلهم وتستثمر من مبادئ التوجهات السابقة ما ينسجم مع تصوره الجديد."(4)

لكن الحديث عن المنهج التوليدي عند العرب "يبقى مفتقدا إلى الشروط الحضارية والتاريخية –التراكم– التي على أساسها ظهر الاتجاه التوليدي في الغرب. وبذلك يمكن أن نقول إنَّ ظهور اللسانيات التوليدية في الثقافة العربية كان طفرة، مما يجعله مفتقدا إلى الأسس التي يفرضها تطور

---

(1)– حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:261

(2)– مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:201

* بور رويال: من أشهر المدارس النحوية التي ظهرت في عصر النهضة، وذاع صيتها كثيراً في فرنسا وخارجها، وقد أسست في 1637، وحُلَّت في 1661 نتيجة الصراعات الدينية والسياسية في فرنسا آنذاك. وقد نشر أول عمل لأصحابها عام 1660 تحت عنوان: النحو العام والعقلي 'Grammaire générale et raisonnée'، ينظر أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص:49

(3)– حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:316

(4)– المرجع نفسه، ص:317

الاتجاهات اللسانية."[1] أي أنه لم يسبقها فترة لتراكم المعطيات كما هو الشأن عند الغرب، ولهذا يمكن القول إن الكتابة اللسانية التوليدية العربية "لا تتوفر على التراكمات اللازمة في تحليل اللغة العربية توليدياً."[2]

يوجد اختلاف بين التوليديين العرب[3] بخصوص التراث اللغوي العربي "هناك موقف يرى أصحابه أنَّ معطيات التراث النحوي العربي ناقصة، ولا تصلح لوصف اللغة العربية الحالية،"[4] منها هذا القول:"لا نفع بعد الآن، في أن نردد، بصورة متواصلة الدراسات التي قامت بها الأجيال السابقة، والمفاهيم التي تبنوها في المجالات اللغوية، وإن أضفنا عليها بعض التعديلات السطحية من حيث الشكلُ والعرضُ."[5] وهي دعوة صريحة بالتخلي عن النحو العربي واستبداله بالنظريات اللسانية الحديثة وبالتحديد اللسانيات التوليدية، ويندرج هذا الموقف بالتأكيد في الاتجاه الحداثي. أما الموقف الآخر للتوليديين يندرج ضمن الاتجاه التوفيقي الذي سيفصل فيه البحث فيما بعد.

لاحظ كثير من التوليديين "أن لا فائدة من الاستمرار في تحليل نفس المعطيات التي اشتغل بها النحاة القدماء نظراً:

(1)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:317

(2)- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:233

(3)- التوليديون العرب: تسمية أطلقها مصطفى غلفان وعدّ منهم: ميشال زكريا ومحمد علي الخولي وداود عبده وعبد القادر الفاسي الفهري وخليل أحمد عمايرة الذين ينتمون للاتجاه الحداثي ومازن الوعر الذي ينتمي للاتجاه التوفيقي الذي سيفصل فيه البحث فيما يلي، ينظر مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:202-203 الهامش، وينظر حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:259-333

(4)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:320

(5)- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، لبنان، 1986، ص:5

أولا: لطبيعة هذه المعطيات نفسها من حيث الكيفية التي تمت بها عملية التدوين وما لابسها من شروط وظروف التحقق منها.

وثانياً: لما أصاب بنيات اللغة العربية من تطورات متفاوتة الأهمية.

وثالثاً: لأن تحليلاً جديداً لبنيات العربية يقتضي حتماً معطيات جديدة نظراً للعلاقة الوطيدة بين المعطيات والمنهج المعتمد لتحليل هذه المعطيات، 'إن طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج.'"[1]

ومن النتائج السلبية "للاشتغال بنفس المعطيات في مجال اللغة والنحو الدوران في الحلقة نفسها أي إعادة اجترار الأصول والمبادئ التي انطلق منها القدماء، كما أن استحضار نفس المعطيات لا يسمح بفهم جديد للغة العربية في وضعها الراهن لأنه يلغي دفعة واحدة ما حصل من تطور في بنيتها."[2]

تغيرت النظرة للتراث اللغوي العربي من طرف بعض التوليديين[3] لأن "منطلقات الوصفيين كانت من محاورتهم للتراث النحوي العربي. غير أن التوليديين رأوا في هذا الشكل من المحاورة اجترارا لأصول ومبادئ النحاة، ولذلك حاولوا تجاوزه من خلال اقتراح حلول وتصورات أخرى؛"[4] منها أن "النحو التوليدي يعتمد مفهوم الحدس اللغوي مصدراً للمعطيات اللغوية التي تتم دراستها؛ ومعنى هذا أن النحو التوليدي يرفض كل رجوع للمتن بمفهومه البنيوي لأن في ذلك تعارضاً واضحاً مع طبيعة النشاط اللغوي عند المتكلمين بلغة معينة ... إن موضوع اللسانيات التوليدية هو المتكلم السامع المثالي الذي يعرف لغته جيداً ويعيش في عشيرة لسانية متجانسة كلياً."[5]

---

(1)- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:236

(2)- المرجع نفسه، ص:236

(3)- منهم عبد القادر الفاسي الفهري، ينظر اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، ص:52-53

(4)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية نحو مقاربة إبستمولوجية، ص:20

(5)- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:238

الواقع اللساني العربي يبيّن أن هناك غياباً للانسجام بين البحوث التوليدية العربية أدى إلى "العجز عن تطوير أي نموذج من النماذج التوليدية، وأي ملمح إضافي لا يتجاوز اقتراح تعميمات جديدة لا تخرج عن إطار النظرية التوليدية العام،"[(1)] لكن ربما هذا التعدد "في حدّ ذاته أمر إيجابي، إنه يثري البحث اللساني العربي لأنه يقدم تحاليل لسانية توليدية متنوعة للظواهر المدروسة وأحيانا للظاهرة الواحدة."[(2)]

لقد حققت اللسانيات التوليدية العربية "قفزة جديدة في الدرس اللساني العربي سواء من حيث نظرتها للقضايا المطروحة أم من حيث المفاهيم والمصطلحات،"[(3)] لكنها "ما تزال في بداية الطريق. ولم تقدم بعد أي بحث توليدي متكامل للغة العربية."[(4)] لأن فيما يخص الموضوعات والقضايا التي يقترحها التوليديون، فهم "يكتفون بتقديم اللبنات الأولى، وهي لبنات أشبه ما تكون بتقارير عامة عن برامج العمل التي يرومون البحث فيها مستقبلا. لكنهم سرعان ما يتحولون إلى موضوعات جديدة مطبقين ما ظهر من افتراضات جديدة في البحث اللساني التوليدي دون أن يعودوا –إلا نادرا– لتعميق البحث والتحليل فيما تم وضعه من لبنات أولى والدفع بها نحو صياغة، لا نقول نهائية، ولكن شاملة وعامة تأخذ بعين الاعتبار الظواهر المدروسة في تكاملها."[(5)]

والسبب هو بروز تطورات متلاحقة للنماذج التوليدية، "فرضت على كل باحث في إطار البحث اللساني التوليدي مواكبة المستجدات والمتغيرات الطارئة، فقد أصبحت دراسة اللغة العربية محكومة بجملة من الأصول والمفاهيم النظرية والمنهجية المضبوطة، فدون معرفة الإطار الذي تتدرج فيه هذه

(1)– حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:326

(2)– مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:222

(3)– المرجع نفسه، ص:226

(4)– المرجع نفسه، ص:231

(5)– حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية نحو مقاربة إبستمولوجية، ص:20

الكتابة أو تلك، لا يمكن بأي حال من الأحوال إدراك طبيعة تحليل المقدمة ونتائجها النظرية. فلم يعد ينظر للغة العربية نظرة حرة اعتباطية قائمة على التأمل والانطباع، وإنما تتقيد المقاربة بالإطار النظري للنموذج الذي تشتغل فيه وتحاول تطبيقه على اللغة العربية مستعملة مجموعة من وسائل الاستدلال والبرهنة على ما تقوم به."[1]

وفي الأخير يمكن القول أن اللسانيات التوليدية العربية تمكنت من "تقديم جملة من الاقتراحات الجديدة المتعلقة بطبيعة البنيات العربية صوتاً وصرفاً وتركيباً ودلالةً ومعجماَ"[2]، لكنها ما زالت في بداية الطريق.

3-2 الاتجاه التوفيقي :

الصراع بين الأصالة والمعاصرة؛ بين "التراثي المتمسك بفكر اللغويين العرب القدماء ميزته في نظر الحداثي الجدل العقيم وهو يُدافع عن إحياء ما ولَّى وانتهى. كما أن الحداثي في تصور المحلي لا يعدو أن يكون منتحلاً للمعرفة باللسانيات الغربية لأغراض غير لغوية... وما عمله إلا تعقيد وصف اللغة العربية وخلطها بلهجاتها."[3] هكذا نشأ بين الاتجاهين "صراع فكري يقوم على التجاهل والنكران بدل التفاعل والحوار، وصار كلا الاتجاهين عائقا لنمو المعرفة اللغوية وتطوير البحث في العربية... الشيء الذي حتَّم إيجاد اتجاه ثالث يكفل تجاوزهما معا تجاوزاً علومياً."[4]

الموروث اللغويّ العربيّ "برجٌ شامخٌ قديم يحتاج إلى كهرباء تضيءُ بداخله، ولونٍ يزهو به، وتغييرِ بعض النوافذ، وتحويرِ بعض المرافقِ والغرف؛ لكي يبقى صامداً قائماً بعمله، وهذا يعني أن

---

(1)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية نحو مقاربة إبستمولوجية، ص:19

(2)- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:223

(3)- محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، ص:65

(4)- المرجع نفسه، ص:65

اندماج اللسانيات بالعلوم اللغويّة العربيّة سيعيد إنتاجَها من جديد، وهذه الإعادة تحديث لا بدَّ منه عاجلاً أو آجلاً، ولا سيما في علم الأصوات والمعجم والموازين الصرفيّة."(1) لكن "لا شيء يُبرر الانخراط المسبق في إحداهما –أحد الاتجاهين التراثي والحداثي– والإصرار على الانسلاخ من الأخرى سوى الكسل الفكري."(2) فلابدّ من سلك سبيل ثالث يجمع الاتجاهين المتنافرين.

فبسبب تشعب "المسالك أمام الشعب...، فوجد أمامه طريقاً في الماضي يقوده إلى التراث العربي الخصيب، ... ووجد أمامه طريقاً في المستقبل... ثم رأى أنه لو سلك الطريق الأول فحسب لانقطع به التاريخ عن الحياة، ولو سلك الثاني فحسب لانقطعت به الحياة عن التاريخ، ففضل أن يأخذ بنصيب من التراث العربي يوحي إليه بالاعتزاز ونصيب من الثقافة المعاصرة يمنحه العزة."(3) وهذا هو مبدأ الاتجاه التوفيقي.

والهدف الأساس من هذا الاتجاه هو "محاولة التوفيق بين القديم (التراث اللغوي العربي) والجديد (البحث اللساني)."(4) في إطار ما يسمى بإعادة قراءة التراث اللغوي العربي وفق المناهج اللسانية المعاصرة. لأن الطابع الإشكالي الذي اتخذته اللسانيات العربية قادها إلى أن تتوجه نحو التراث اللغوي العربي ونحو اللسانيات الحديثة، وأن تميل إلى التوفيق بين هاتين المنظومتين، لإنتاج نموذج لساني "يمزج بين المقولات النظرية الغربية الحديثة بمقولات نظرية النحو العربي، وكان هذا الموقف هو الموقف الأساس في اللسانيات العربية."(5) والقاضي "بإمكان إقامة 'حوار' مثمر بين الفكر اللغوي العربي القديم

---

(1)– حسن خميس الملخ، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، ص:321

(2)– محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، ص:57

(3)– تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص: 2–3 من المقدمة

(4)– حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:404

(5)– فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص:15

والفكر اللساني الحديث على أساس القرض والاقتراض رغم انتماء الفكرين إلى 'حقلين نظريين متباينين،"[1] لأن "تلاقح النظريات الشرقية بالنظريات الغربية أو العكس سيطور المعرفة البشرية،"[2] بغية التوصل "إلى إدخال مفاهيم اللسانيات مع مفاهيم التراث في جدل خصيب يُخرج لنا ثماراً مفهومية جديدة وحصيلة معرفية ليست صورة مشوهة للتراث ولا هي صورة منسلخة من اللسانيات، وإنما هي عطاء نوعي بلا قداح."[3] ويضم هذا الاتجاه "جزء من الكتابة اللسانية التوليدية العربية واللسانيات الوظيفية العربية."[4]

2-3-1 <u>جزء من الكتابة اللسانية التوليدية العربية</u>: موقفها يسعى إلى "التوفيق بين فرضيات ومبادئ الدرس التوليدي، ومعطيات النحو العربي، وهو الموقف الذي يتبناه مازن الوعر* في كتاباته مؤكّدا أهمية وضرورة انفتاح البحث اللساني العربي الحديث على البحوث اللغوية التراثية، إن هو أراد أن يتجاوز كل المجادلات العقيمة التي تُعَوقُ تقدّمه."[5] يقول:"إن أية نظرية لسانية عربية حديثة، تطمح لأن تكون علمية فاعلة ومتفاعلة في حقل التكوين اللساني المعاصر، لا بدّ لها من أن تتجاوز

---

(1)- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص:183

(2)- مازن الوعر، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، ص:125

(3)- عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص:28

(4)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:404

* مازن الوعر: ولد في حمص بسوريا عام 1952، له دكتوراه دولة في اللسانيات الحديثة بدرجة شرف من جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة الأمريكية صيف 1983 عن أطروحته 'نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية'، والأطروحة في الأصل باللغة الإنجليزية، لكنه ترجمها إلى اللغة العربية في كتاب يحمل العنوان نفسه، علق عليه تشومسكي بقوله:"من الواضح أن هذا البحث هو دراسة جيدة ورائعة ومهمة، ...لقد دُهِشتُ بشكلٍ خاص بتلك التعليقات اللغوية التي وردت في ثنايا هذه الدراسة، والتي قالها اللغويون العرب القدماء، ينظر مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1987، ص:9، وينظر الموقع الإلكتروني: http://www.ta5atub.com/t800-topic#ixzz2oNWiwzWx

(5)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:319

المشكلات والمجادلات الزائفة التي تعوق البحث اللساني في الثقافة العربية المعاصرة، تلك المشكلات الناتجة عن الصراع الذي مازال مستمرا بين أنصار القديم وأنصار الحديث، بين أنصار القديم المتعلق بالبحوث اللغوية العربية التي وضعها العرب القدماء، وبين أنصار الحديث المتعلق بالبحوث اللسانية الغربية التي وضعها علماء الغرب المحدثون، وأسسوا من خلالها علما قائما برأسه دعوه علم اللسانيات."[1]

حاولت بعض الكتابات اللسانية التوليدية العربية الوقوف على "نتاج النحويين العرب، فهذا النتاج عند العودة إليه بإمكانه أن يوضح لنا المعطيات اللغوية ويفسرها، ذلك لأن القضايا التي تناولها هذا النتاج هي القضايا نفسها التي لا تزال تعترض الباحث المعاصر في هذا المجال."[2]

أما عن مادة الدراسة في الكتابة اللسانية التوليدية العربية فهي "الشكل المتعلق باللغة العربية الفصحى الذي هو ليس رفيعاً ولا متدنياً من الوجهة الأسلوبية، وإنّما هو الشكل الأدبي الموحّد الذي يستعمل في البلدان العربية كافة،"[3] ورغم أن "مجموعة أخرى من الدارسين التوليديين العرب لم تهتم بتحديد 'اللغة العربية' مادة الدراسة، فإن تتبع طبيعة المعطيات التي اشتغلت بها يبين أن الكتابة التوليدية العربية لم تحصر مجال اهتمامها في اللغة العربية الفصحى القديمة."[4] بل تعدته إلى اللغة

(1)– مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص:514، نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:319

(2)– مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:237

(3)– مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ص:18

(4)– مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:238

التي "تستعمل في المدارس والجامعات وكتابة الكتب والمحاضرات والصحف والإذاعة والتلفاز والرسائل وفي بعض الأحيان بين المثقفين العرب عندما يتكلمون."(1)

2-3-2 <u>اللسانيات الوظيفية العربية</u>: شكلت اللسانيات الوظيفية "أحد أشكال التطورات المتلاحقة التي عرفتها المدرسة البنيوية مُمثَّلةً بالأب الروحي 'سوسير' الذي ركَّز على وظيفة اللغة باعتبارها وسيلة من وسائل التواصل، إنْ لم تكن أهمها على الإطلاق."(2)

لقد تَعَرَّفَ كثير من اللسانيين العرب "الذين درسوا اللسانيات في الجامعات البريطانية إلى الآراء الوظيفية التي قال بها عالم اللسانيات الإنجليزي 'فيرث' (Firth)، و قد انعكست بعض آراء هذا اللساني في كتابات"(3) اللسانيين المصريين خاصة 'إبراهيم أنيس' و'تمام حسان' و'عبد الرحمن أيوب' وأولى "كثير من اللسانيين العرب –لا سيما في تونس– عناية خاصة لوظيفة 'مارتيني'"(4) (Martinet)، غير أن كل هذه الكتابات "لم تستطع أن تثمر اتجاها يحمل كل مقومات اتجاه وظيفي عربي."(5)

من المبادئ الأساسية للنحو الوظيفي:

"–وظيفة اللغات الطبيعية الأساس؛ هي التواصل.

–موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم المخاطب.

---

(1)– مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ص:18

(2)– حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:343

(3)– مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:243

(4)– المرجع نفسه، ص:244

(5)– حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:345

-النحو الوظيفي نظرية للتركيب والدلالة منظور إليهما من وجهة نظر تداولية."[1]

إن أبرز كتابة في "الاتجاه الوظيفي بمعناه اللساني المعاصر أي النحو الوظيفي*-التداولي تجسدها مؤلفات أحمد المتوكل"[2] لأسباب عديدة من أهمها "تكامل الدراسات والأبحاث التي قدمها، بحيث تم اتخاذ الوظيفية عامة والنحو الوظيفي بصفة خاصة إطاراً نظرياً ومنهجياً لتحليل اللغة العربية تحليلا شمولياً ومتكاملاً."[3]

إذا تقصينا مؤلفات 'أحمد المتوكل' منذ "بداية الثمانينيات وحاولنا البحث في الظروف التي تمَّت فيها صياغة مفاهيمه وتصوراته، سنجد أنه في البداية حاول وضع لَبِنَة أولى لإعادة قراءة التراث العربي القديم، في محاولة جادَّة لإبراز أصالة هذا التراث مع تبنّي فكرة إمكانية استغلاله وترجمته، في نماذج حديثة لا رفضه تماماً."[4]

"تتسم كتابات 'أحمد المتوكل' بوحدة الرؤية النظرية والمنهجية المحددة بأصول اللسانيات الوظيفية وتكييفها مع معطيات اللغة العربية، وترتب عن هذه الوحدة في الأسس النظرية النظرة الشمولية لظواهر اللغة العربية المدروسة والتكامل فيما بينها."[5]

اهتم 'أحمد المتوكل' بالتراث اللغوي العربي في كتاباته الوظيفية، ويمكن تقسيم هذا الاهتمام إلى مرحلتين هما:

---

(1)- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:258

* النحو الوظيفي: هو ذلك النحو الذي يبحث في تجاور الكلمات مع بعضها البعض بغرض تأدية المعنى النحوي والمعنوي معاً في رسالة كلامية معينة (الجملة) نقلا عن الصالح بلعيد، النحو الوظيفي، ص:06

(2)- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:244-245

(3)- المرجع نفسه، ص: 245

(4)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:382

(5)- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:276

المرحلة الأولى: "استشفاف النظرية الثاوية خلف ما ورد في التراث، نحواً وبلاغةً وأصولاً ومنطقاً وتفسيراَ، في باب الدلالة بأنماطها، فحاول إعادة تنظيم ما توصل إليه، وإعادة صياغته صياغةً تقرِّبه مما يقابله في الفكر اللساني الحديث... أما في المرحلة الثانية، فقد مدَّ بين الفكر اللغوي العربي القديم ونموذج النحو الوظيفي جسراً مكنه، وهو بصدد معالجة قضايا تداولية في اللغة العربية، أن يستعير من مؤلفات اللغويين القدماء ما مسّت الحاجة إليه و ما رآه وارداً ومناسباً."[(1)]

لما كانت اللسانيات الوظيفية تالية للسانيات التوليدية، يمكن القول "أن الاتجاه الوظيفي كان ظهوره طفرياً أيضاً ويزيد من تعزيز هذا الطرح:

1)كون الثقافة العربية لم تعرف بعدُ رسوخ اتجاه توليدي عربي له من المقومات ما لنظيره في الغرب على الرغم من بعض المحاولات الجادة.

2)إننا نجد من اللسانيين من يعتبر الاتجاه الوظيفي استمراراً للاتجاه التوليدي."[(2)]

وما نسجله من اختلاف بين الاتجاهين –الوظيفي والتوليدي– هو "أنَّ إشكال التراث والحداثة اللسانية غير مطروح بالنظر إلى طبيعة المقاربة الوظيفية التي تعتمدها المقاربة الوظيفية مُمثلة بأعمال 'أحمد المتوكل'، وهي مقاربة تقوم على التوفيق بين القديم والحديث...عكس ما نجده عند التوليديين"[(3)] العرب.

يهدف 'أحمد المتوكل' من محاولة وضع نموذج وظيفي للغة العربية من:

"– صوغ النظريات القديمة في قالب جديد يتيح المقارنة بينها وبين الحديث من النظريات.

(1)– حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:353

(2)– المرجع نفسه، ص:381–382

(3)– المرجع نفسه، ص:381–382

- تطعيم النظرية اللسانية الحديثة والعامة بروافد نظرية جديدة قد تثبت ما اتفق عليه في الغرب، وقد تدحضه.

- خلق نموذج لغوي عربي (أو نماذج عدة) يضطلع بوصف اللغة العربية انطلاقا من النظريات اللغوية القديمة بعد أن تقولب وأن تمحص في إطار النظريات الحديثة اللسانية، وأن تحتك بما تفرع، وما يتفرع عنها من نماذج لغوية."[1]

إن تحقيق هذه الأهداف هو الكفيل بخلق حوار علمي جاد بين التراث اللغوي العربي واللسانيات، وبهذا نتجاوز "كل نظرة مذهبية تعطي التراث اللغوي العربي قَدْراً فوق قَدْره، أو تبخسه حقه ومكانته."[2] وبهذا يكون "دمج البحث اللساني العربي القديم في البحث اللساني العربي الحديث، مع الإبقاء على هوية البحث اللساني العربي القديم وكيانه كبحث يمثل نظرية لسانية ذات خصائص متميزة."[3]

المسلك المنهجي الذي نهجه 'المتوكل'، مؤسس على تصور "ينطلق من موقف إبستيمولوجي مفاده إن الخطاب العلمي يتصف بتوحده وكونيته، فهو خطاب يتجاوز السياق التاريخي ليدخل في علاقة تواصل وتفاعل مع الخطاب العلمي الحديث. ولذلك فإن الخطاب اللساني العربي القديم جزء من الخطاب العلمي حول اللغة وأشكال الدلالة وليس علماً منغلقا بتاريخيته منقطعا عن الفكر الألسني الحديث. وهذه

(1)- أحمد المتوكل، نحو قراءة جديدة لنظرية النظم عند الجرجاني، ص:92، نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:383

(2)- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:383

(3)- مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسان الحديث، ص:516، نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:383

الخصائص التي يتصف بها الخطاب العلمي ناتجة عن اتصاف الكائن المبدع للعلم وهو العقل البشري بالوحدانية والكونية."[1]

لكن ماهي مشروعية المقارنة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات، لأنهما "يمثلان خطابيّن مختلفين موضوعا ومنهجاً وغايةً؛"[2] لأنه "إذا كان موضوع اللسانيات الوظيفية هو 'القدرة التواصلية' فإنَّ موضوع النظرية اللغوية العربية هو اللغة في مظهرها الكلي. ولما كانت طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج أمكن القول إنَّ منهج اللسانيات مختلف عن مناهج النحاة. كما أنْ الاختلاف قائم بين التفكيرَيْن من جهة الغاية؛ فإذا كانت غاية الوظيفيين هي التوصل إلى بناء نموذج حاسوبي يحاكي قدرة المتكلم المستمع على استعمال اللغة، فإنَّ هدف النحاة هو فهم كتاب الله وخدمته،"[3] فالغايتان متباينتان.

لأن كل "مقاربة للغة العربية يجب أن تراعي خصوصيات هذه اللغة وتميُّزها وأن تقوم على اختيار ملاءمة النموذج المتبنَّي لمعطيات اللغة لا العكس؛ فمن غير المقبول اعتماد آليات ومبادئ مستحدثة في نموذج من النماذج واختيار مدى ملاءمة معطيات اللغة لها، بل ما يجب أن يكون هو العكس؛ أي أن تكون معطيات اللغة هي الأساس لاختبار نجاح أو فشل هذا النموذج أو ذاك."[4]

---

(1)– علي العشي، مفهوم القراءة الجديدة للتراث اللساني العربي وما تعلق به من قضايا منهجية من خلال بعض النماذج، ص:137، نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:383–384

(2)– حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:384

(3)– المرجع نفسه، ص:384

(4)– المرجع نفسه، ص:386

لهذا يدعو مازن الوعر إلى "التفكير العربي اللساني وليس التفكير اللساني العربي؛ لأنه ينبغي أن نُكوّن و نُشكل فكرا عربيا في اللسانيات وليس فكرا لسانيا نفرضه على اللغة العربية."(1)

على الرغم من هذا تمكنت الكتابة اللسانية الوظيفية من "وضع اللبنات الأولى لنحو عربي علمي يستمد مصادره وأسسه النظرية والمنهجية من أحدث النماذج اللسانية متجاوزة مرحلة النقد الموجه للنحو العربي القديم."(2)

ومن نتائج هذه الدراسات خاصة منها "التوليدية والوظيفية، أن تغيرت النظرة إلى اللغة العربية التي أصبح ينظر إليها في ضوء الدراسات اللسانية على أنها لغة طبيعية لا تختلف في شيء عن باقي اللغات العالمية... بل إن بعض الكتابات اللسانية –الفاسي الفهري والمتوكل– ساهمت بشكل ملحوظ في إغناء بعض النماذج الغربية نفسها، وبالتالي تبين أن الممارسة اللسانية العربية لم تعد مجرد تطبيق حرفي أعمى كما يدعي البعض ذلك."(3)

حوصلة الفصل الأول: "لا يمكن لشعب أن يثبت وجوده متغنيا بحضارته الماضية مهما عظمت، ولا بترديد أفكار أقرانه المعاصرين مهما ارتقى في الإحاطة بعلمهم. إن اللساني التقليدي سواءٌ كان تراثياً أو حداثياً لا يعدو إنتاجه الثقافي أن يكون صدىً يُجيب فكر عربي قديم أو غربي حديث إذا أتقنهما."(4)

(1)–حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص:3

(2)– مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:282

(3)– المرجع نفسه، ص:282

(4)– محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، ص:81

وبهذا يبقى الباحث اللساني العربي "إما ناقل لفكر غربي وإما ناشر لفكر عربي قديم، فلا النقل في الحالة الأولى ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكرا عربيا معاصرا. لأننا في الحالة الأولى سنفقد عنصر 'العربي' وفي الحالة الثانية سنفقد عنصر 'المعاصرة'."(1)

ثم إن "الأصالة في المعارف المتصلة بالعلوم الإنسانية لا يمكن أن تعني الاكتفاء بنفسها والانغلاق على الذات دونما سعي من أجل التطور، كما غدا مقرراً أن الحداثة لا يمكن أن تعني الانسلاخ عن التراث وإهدار ما بناه الأقدمون."(2) فلا بدّ من الجمع بين المتناقضين، وهو هدف الاتجاه التوفيقي.

(1)- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص:12

(2)- محمد بوعمامة، التراث اللغوي بين سندان الأصالة ومطرقة المعاصرة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة، الجزائر، العددان 2-3، 2008، ص:207

الفصل الثاني: 'الأصوات اللغوية' دراسة وصفية تحليلية

1- مفهوم الصوت
2- بدايات الدراسات الصوتية العربية
3- 'إبراهيم أنيس' والتراث اللغوي العربي من خلال مصنفه
4- التوجه الحداثي عند 'إبراهيم أنيس' في مصنفه
5- حوصلة الفصل الثاني

1- مفهوم الصوت:

1-1 الصوت لغة واصطلاحا: جاء في العين في مادة (صوت):"صَوَّتَ فلانٌ 'بفلان' تصويتاً أي دَعاه. وصاتَ يصُوتُ صوتًا فهو صائت بمعنى صائح. وكل ضَربٍ من الأغنيات صَوتٌ من الأصوات. ورجل صائت؛ حَسَن الصوت شديدُه. ورجل صَيِّتٌ؛ حَسَنُ الصَّوتِ، وفلان حَسَن الصِّيت؛ له صيتٌ وذِكْرٌ في الناس حَسَنٌ."[1] وفي معجم مقاييس اللغة في مادة (صوت):"الصّاد والواو والتاء أصل صحيح، وهو الصّوت، وهو جنس لكّل ما وقَرَ في أذن السّامع. يقال هذا صوتُ زيد، ورجل صيِّت إذا كان شديدَ الصّوت، وصائتٌ إذا صاحَ ."[2]

وفي لسان العرب:" الجرس ...وقد صاتَ يَصُوتُ ويَصاتُ صَوْتًا، وأصاتَ، وصوّتَ به :كلُّه نادى".[3]

أما في الاصطلاح فيقول إبن جني(ت392ھ):"اعلم أن الصوت عَرَض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً. وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها."[4]

وجاء في رسالة أسباب حدوث الحروف أن"الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة وبقوة وبسرعة من أي سبب كان."[5]

---

(1)- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، ط1، 1988، 146/7، مادة (صوت)

(2)- ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سوريا، د.ط، 1979، 318/3-319

(3)- ابن منظور، لسان العرب، 64/2-65، مادة (صوت)

(4)- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق:حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1993، 6/1

(5)- ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، مطبعة المؤيد، القاهرة، مصر، د.ط، 1332ھ، ص:3

وفي الاصطلاح العلمي أيضا، الصوت هو "الأثر السمعي الذي تُحدثه موجات ناشئة عن اهتزاز جسم ما؛ طبيعيا كان أو صناعيا، عن قصد أو غير قصد."[1]

1-2 <u>الصوت عند 'إبراهيم أنيس'</u>[2]:

الصوت "ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها... كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز؛ على أن تلك الهزات قد لا تدرك بالعين في بعض الحالات؛... وتنتقل في وسط غازي أو صلب حتى يصل إلى الأذن الإنسانية."[3]

1-3 <u>الصوت اللغوي عند 'إبراهيم أنيس':</u>

الصوت اللغوي "ككل الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها عند الإنسان الحنجرة. فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيحدث تلك الإهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف، تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن."[4]

1-4 <u>تنقيح 'الأصوات اللغوية':</u>

أضاف 'إبراهيم أنيس' إلى كتابه 'الأصوات اللغوية' مجموعة من المقالات نشرت أغلبها في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وفي ذلك يقول: "ولما هممنا بالقيام بهذه الطبعة الرابعة توفرت على تنقيح بعض نصوص الكتاب وإضافة كثير مما هدانا إليه البحث في مجمع اللغة العربية بوصفي

(1)- يوسف خياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، ص:391

(2)- إبراهيم أنيس(1906-1978) لساني مصري، تحصل على شهادة الدكتوراه من لندن، له سبعة كتب رائدة هي: الأصوات اللغوية، في اللهجات العربية، موسيقى الشعر، من أسرار اللغة، دلالة الألفاظ، محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة، اللغة بين القومية والعالمية، أنظر ملحق البحث.

(3)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، مصر، د.ط، د.ت، ص:5

(4)- المصدر نفسه، ص:7

عضواً فيه، من مقالاتي التي نشرت في مجلته أو بحوثي التي ألقيتها في مؤتمراته السنوية."(1) ولم يخص التنقيح الطبعة الرابعة فقط بل كل الطبعات المتتابعة للكتاب، وهذا ما سبب اعتماد البحث على كل النسخات المتوفرة للكتاب، خاصة الطبعة الأولى –التي صدرت دون طبعة–، والطبعة الثالثة، والطبعة الخامسة؛ لتضمنهن لمحات تراثية مهمة للبحث.

وربما السبب في هذا التنقيح ما تعرض له الكتاب من نقد، ومن ذلك ما قاله صبحي الصالح(2): "إنني على إجلالي للدكتور 'إبراهيم أنيس'، وتطلعي إلى الإفادة من كتبه،... أرى في جل مباحثه عيبا لا أطيق الإغضاء عنه أو السكوت عليه، وأرجو مخلصاً أن يتداركه بنفسه في الطبعات المقبلة، وإن هذا العيب ليتمثل في تهاونه بأقوال المتقدمين، وندرة عزوه الآراء إلى أصحابها، واستخفافه بردّ الشواهد إلى مراجعها ومظانها، كأن كتبه محاضرات عجلي لا مباحث مدروسة، أو كأنها مجموعة ملاحظات، ليس فيها تحقيق للنصوص، ونقد للوثائق..."(3) ويختم كلامه بالقول "فما من شك من انطواء بحوثه على آراء أصيلة إن فاتها الصواب أحيانا لم تفتها الجرأة وإن أهملت فيها النصوص غالبا، عوض إهمالَها صلاح المنهج الذي أشهد بحرارة أنه دفع الدراسات اللغوية العربية إلى الأمام قروناً وأجيالاً."(4)

---

(1)– ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط4، ص: 1

(2)– صبحي الصالح(1926–1986) مفكر وباحث لبناني، ولد في طرابلس، واغتيل في بيروت. حاز شهادة الدكتوراه في الآداب من جامعة السوربون في باريس عام 1954، من آثاره 'مباحث في علوم القرآن'، 'علوم الحديث ومصطلحاته'، 'النظم الإسلامية نشأتها وتطورها'، 'دراسات في فقه اللغة العربية'.

(3)– صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة العربية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط16، 2004، ص:8–9

(4)– المرجع نفسه، ص: 9

2 بدايات الدراسات الصوتية العربية:

لعله من المفيد الإشارة إلى أبرز الجهود العربية القديمة منها والحديثة في الدراسات الصوتية.

2-1 الدرس الصوتي العربي القديم:

لم تحظ الأصوات العربية بمعالجة منفردة خاصة من طرف اللغويين القدماء، بل كانت معالجتهم لهذا ضمن قضايا لغوية أخرى، فأخذت اتجاهات متعددة عند أصحاب المعاجم والنحاة والبلاغيين والمهتمين بالإعجاز القرآني والقراءات القرآنية. فلم يكن البحث الصوتي مُستقلاً بذاته منذ نشأته الأولى بل كان "في بدايته جزءاً من أجزاء النَّحو، ثمَّ استعاره أهل الأداء والمقرئون وزادوا فيه تفصيلات كثيرة، مأخوذة من القرآن الكريم."[1]

فلقد بنى العرب دراستهم الصوتية على القراءات القرآنية، وهذا ما جعل النتائج المتوصل إليها أقرب إلى المنهج العلمي، لأنه "من الحقائق المقررة أن الدرس الصوتي عند العرب من آصل الجوانب التي تناولوا فيها دراسة اللغة، ومن أقربها إلى المنهج العلمي؛ ذلك أن أساس هذا الدرس مبني على القراءات القرآنية، وهو علم وإن كان متأخراً –من حيث الوضع النظري– عن بقية العلوم العربية الأخرى كالنحو، فإنه أسبق منها من حيث الواقع العملي."[2] مما سبق نستنتج اعتناء العرب قديمًا بعلم الأصوات، وقد "أطلقوا عليه اسم تجويد القرآن أو علم التجويد."[3] ولقد تناولوا الأصوات اللغوية "من مبدأ صحيح، وهو دراستها دراسة وصفية واقعية قائمة على الملاحظة الذاتية وبعيدة عن الافتراض والتأويل."[4]

---

(1)– برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه وعلق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1994، ص:11

(2)– عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص:129

(3)– محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص:43

(4)– عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص:131

وليس هدف البحث تتبع كل ما كُتب في البحث الصوتي العربي القديم؛ لأن هذا يستحق بحثاً مفرداً لكل علم من هؤلاء الأعلام، لكنه –البحث– إكتفى بالإشارة إلى أهم ما أنجز كل علم من أبرز رواد البحث الصوتي العربي القديم وهم:

2-1-1 **الخليل بن أحمد الفراهيدي**(1): لقد أخذت دراسة الصوت اللغوي اتجاهات متعددة؛ فأصحاب المعاجم هم أقدم من تحدث عن الصوتيات من العرب، فالمتأمل لمعجم العين "للخليل بن أحمد الفراهيدي' يدرك أنه من أهم المصنفات في الدراسات الصوتية. يقول 'إبراهيم أنيس' عن هذا العالم الجليل "كان علما من أعلام اللغة، ضرب بسهم وافر في نواح عدة من الدراسات اللغوية، فهو كما يقولون مسؤول عن أول معجم عربي (العين)، وهو واضع علم العروض وأوزان الشعر وهو المؤلف في الموسيقى وصاحب الأبحاث المستفيضة التي جاءت في كتاب سيبويه،"(2) ولعل الإشارة إلى نسبة هذا المعجم للخليل وما يكتنفه من شك، فالواضح أن 'إبراهيم أنيس' من خلال قوله شك هو أيضا في نسبة هذا المعجم، لهذا يتحاشى الجزم بقوله: 'كما يقولون'.(3)

ولقد ارتبط اسم 'الخليل بن أحمد الفراهيدي' بمجال العروض، إلا أنَّ المتابعة الدقيقة لمؤلفاته تكشف عن عمق حسه اللساني، فقد كانت أفكاره "وتعليلاته وابتكاراته نبراسا وهديا لعلماء اللغة، والنحو، والصرف، والعروض، والعلوم اللسانية بصفة عامة"(4)؛ فعلى المستوى الصوتي،

---

(1)– أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي (100–175هـ) تُنسب له زعامة نُحاة البصرة، وهو مبتكر علم العروض، تتلمذ عليه الأصمعي وسيبويه. أشهر مصنّفاته 'كتاب العين' وهو أول معجم عربيّ، وقد دعاه بهذا الاسم لأنه بدأه بحرف العين، من آثاره أيضاً: 'كتاب النَّغَم' و'كتاب النَّقط والشّكل'.

(2)– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ، المكتبة الانجلو مصرية، ط4، 1971، ص:111

(3)– ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984، ص:235–238

(4)– عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ط3، 1989، ص:34

عرّف الخليل "قيمة الدراسات الصوتية، وصلتها باللغة، فرتّب الحروف الهجائية على نحو صوتي من الحلق والفم إلى الشفتين، وبيّن مواطن إخراج الحروف من حلقية، وشجرية، وأسنانية، ونطعية، وذلقية، وشفوية، وقد حدد مخرج كل حرف على وجه دقيق، ثم بيّن صفاتها، وخصائصها؛ وهو عمل لا ينهض له إلا المتخصص، والباحث الذي يرجو من وراء بحثه ثمرة في دراسة اللغة."(1) وبشيء من التفصيل تناولت مقدمة العين النقاط التالية:

1- ترتيب الحروف ترتيبا صوتيا من أقصى الحلق إلى الشفتين.(2)

2- تصنيف الراء واللام والنون بالحروف الذلاقة؛ لأنها تخرج من ذلق اللسان، وأضاف الخليل الحروف الشفوية الفاء والباء والميم لحروف الذلاقة.(3)

3- أشار الخليل إلى أن حروف الذلاقة أسهل من غيرها في النطق، ولذا فهي تكثر في أبنية الكلام، ولا يخلو بناء رباعي أو خماسي منها أو من بعضها، وإن وجدت كلمة تخلو من حروف الذلاقة فهي محدثة ومبتدعة، وغير عربية الأصل.(4)

4- صنف الخليل مخارج الحروف على النحو التالي: العين، والحاء، والهاء، والخاء، والغين: حروف حلقية، القاف والكاف: حرفان لهويان، الجيم، والشين، والضاد: حروف شجرية، الصاد، والسين، والزاي: حروف أسلية، الطاء، والدال، والتاء: حروف نطعية، الظاء، والذال، والثاء: حروف لثوية، الراء، واللام، والنون: حروف ذلقية، الفاء، والباء، والميم: حروف

(1)- عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ص:32-33

(2)- ينظر الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، 1/47-48

(3)- ينظر المصدر نفسه، 1/51

(4)- ينظر المصدر نفسه، 1/52

شفوية، الياء، والواو، والألف، والهمزة: حروف هوائية.[1] وفي موضع آخر قال "وأما الهمزة: فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة."[2]

إذن صنف الخليل الأصوات بحسب المكان الذي يتم فيه التحكم في الهواء الخارج من الرئتين، فلقد حصرها في ثمانية مخارج.

وفي الأخير "إن ملاحظات الخليل عن الأصوات تمثل المرحلة الأولى لتكوين علم الأصوات حيث أنها تحتوي على آراء دقيقة تدل على قوة في الملاحظة والاستقصاء؛ فآراء الخليل وملاحظاته كانت المنطلق الذي استوحى منه علماء القرون اللاحقة وضع المصطلحات الدقيقة لوصف الأصوات فزادوا وشرحوا وفسروا وتداركوا ما فات على الخليل."[3]

2-1-2 سيبويه[4]: تحدث عن عدد أصوات العربية وأحصاها بأنها تسعة وعشرون. يقول في باب الإدغام:"هذا باب عدد الحروف العربية، ومخارجها، ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها، واختلافها. فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا."[5]

وانتقد "المستشرق الألماني 'شاده'[6] استخدام سيبويه لفظ حرف لأن الحرف يدل على الرمز

---

(1)- ينظر الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، 1/57-58

(2)- ينظر المصدر نفسه، 1/52

(3)- عليان بن محمد الحازمي، الأصوات العربية بين الخليل وسيبويه، بحوث كلية اللغة العربية، العدد:2، السنة الثانية، جامعة أم القرى، السعودية، 1404-1405هـ، ص:353

(4)- سيبويه: أبو بِشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت180هـ)، عالم نحوي عربي، فارسي الأصل، يُعد أوسع النُّحاة العرب شهرةً، برغم أنه توفي في ريعان الشباب. وُلد في 'البيضاء' من أعمال شيراز، ونشأ في البصرة حيث أخذ العلم عن الخليل بن أحمد الفراهيدي.

(5)- سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988، 4/431

(6)- آرثور شاده:1883-1952، تخرج من اللغات السامية على أوغست فيشر في لايبزغ، وعُين أستاذا في هامبورخ، وحاضر في الجامعة المصرية، ثم أصبح مديرا لدار الكتب المصرية، وأشهر أعماله رسالته للدكتوراه في :الدراسات الصوتية في كتاب سيبويه1911، وله بعض المواد التي حررها في دائرة المعارف الإسلامية.

المكتوب وليس المنطوق، وكان الأجدر بسيبويه أن يستعمل لفظ صوت."[1] لكن تمام حسان ردّ عليه بقوله:"ولكن سيبويه وأصحابه حين تصدوا لتحليل الأصوات العربية كان بين أيديهم نظام صوتي كامل معروف ومشهور للغة العربية، وكانت الحروف التي يشتمل عليها هذا النظام قد جرى تطويعها للكتابة منذ زمن طويل فكان لكل حرف منها رمز كتابي يدل على الحرف في عمومه دون النظر إلى ما يندرج تحته من أصوات."[2]

وذكر سيبويه "لحروف العربية ستة عشر مُخْرَجا"[3] وهي تفصيل لما ذكره 'الخليل'.

لقد عمد "سيبويه الوصف عند تحديد المخرج عن المصطلح؛ لأن الوصف يمكنه من تعيين مخرج الصوت بدقة فائقة، أمّا المصطلح حين تسند له هذه المهمة فلن يستطيع تحقيقها بالشكل الذي يؤديه الوصف، مهما بلغت دقتُه وقوته التعبيرية."[4] ولوحظ على سيبويه الوصف الدقيق العلمي لمخارج الحروف، فلا يكتفي بالوصف المقتضب مثل الخليل في قوله 'لهوية، أو شجرية'، وإنما يحاول أن يبين لنا الأعضاء التي تشترك في تكوين الصوت[5] فعلى سبيل المثال يقول "ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مُخرج القاف."[6]

أما في ترتيب مخارج الحروف لقد خالف سيبويه أستاذه مخالفات جوهرية، إذ رتب الحروف على النحو التالي: "الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم،

(1)– عليان بن محمد الحازمي، الأصوات العربية بين الخليل وسيبويه، ص:354

(2)– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص:51

(3)– سيبويه، الكتاب، 433/4

(4)– المهدي بوروبة، أثر مصطلحات الخليل الصوتية ومنهجه في دراسات معاصريه، مجلة الأثر، العدد:5، ورقلة، الجزائر، مارس 2006، ص:27

(5)– ينظر عليان بن محمد الحازمي، الأصوات العربية بين الخليل وسيبويه، ص:356

(6)– سيبويه، الكتاب، 433/4

والشّين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو."[1]

2-1-3 ابن جني[2] أخذت الدراسة الصوتية العربية "طابعها الاستقلالي من خلال مؤلفه 'سر صناعة الإعراب.'"[3] وهو يؤكد ذلك بقوله:"وما علمت أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا الفنّ هذا الخوض، ولا أشبعه هذا الإشباع،"[4] وأبسط دليل على ذلك "أنه كان أول من استعمل مصطلحا لغويا للدلالة على هذا العلم مازلنا نستعمله حتى الآن وهو 'علم الأصوات'."[5]

أما ترتيبه للحروف فقد جاء موافقا -في معظمه- لترتيب 'سيبويه'، فيما عدا وضعه القاف قبل الكاف، وتأخيره الضاد إلى ما بعد الياء، وهو كالتالي: "الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والقاف، والكاف، والجيم، والشّين، والياء، والضاد، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو."[6]

أما عن مخارج الأصوات فلقد حددّها بصفة أدق فوصل إلى ستة عشر مخرجاً. [7]

ولابن جني في هذا الكتاب لمحات منها تشبيهه مجرى الهواء في الحلق والفم بالناي، قائلا:"فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراوَحَ بين عَمَله، اختلفت الأصوات، وسُمع لكل خرق

---

(1)- سيبويه، الكتاب، 431/4

(2)-ابن جني (329-392هـ): أبو الفتح عثمان بن جني، من مواليد الموصل، درس العربية فترة في بغداد. أشهر آثاره 'الخصائص' و'سر صناعة الإعراب' و'المحتسب'.

(3)- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص:100

(4)- ابن جني، سر صناعة الإعراب، 56/1

(5)- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص:101

(6)- ابن جني، سر صناعة الإعراب، 45/1

(7)- ينظر المصدر نفسه، 46/1-48

منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قُطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة."(1)

بنى 'ابن جني' تمييزه بين الصوامت والصوائت على أساس مجرى الهواء عند النطق، وهذا يساير وجهة نظر الدرس الصوتي الحديث الذي يقسم الأصوات هذا التقسيم على هذا الأساس أيضا.(2)

2-1-4 **ابن سينا**(3) الطبيب الفيلسوف الذي ألف رسالة عنوانها 'أسباب حدوث الحروف' تعرَّض فيها إلى قضايا جوهريَّة، تتعلق بالجانب الفيزيولوجي والفيزيائي للأصوات وذلك لاستعانته بعلم التَّشريح، فتميزت أبحاثه بمصطلحات لم يذكرها من سبقه من اللُّغويّين والنُّحاة، وكان حديثه أشبه بحديث علماء وظائف الأعضاء."(4)

فقد تناول 'ابن سينا' طبيعة الصوت وتوصل إلى أن العملية الصوتية تتضمن عناصر ثلاثة هي:

1- "وجود جسم في حالة تذبذب.

2- وجود وسط تنتقل فيه الذبذبة الصادرة عن الجسم المتذبذب.

3- وجود جسم يستقبل هذه الذبذبات.

(1)- ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/8-9

(2)- ينظر عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص:137

(3)- ابن سينا: أبو علي الحسين Avicenna (370-428هـ) فيلسوف وطبيب ولغوي عربي يُعرف 'بالشيخ الرئيس'، يُعد مُنظِّم الفلسفة والعلم في الإسلام كما كان أرسطو في اليونان. تجاوزت مصنّفاته المئة، من أشهرها كتاب 'القانون' في الطب، وقد نُقل إلى اللاتينية، وطُبع بها طبعات متعددة ابتداءً من الثلث الأخير من القرن الخامس عشر، وظلَّ يُدَرَّس في معاهد الطب الأوروبية حتى القرن السابع عشر، وقد برع ابن سينا في الشعر أيضاً وله قصيدة في 'النفس' مشهورة، وله رسالة أطلق عليها 'أسباب حدوث الحروف'.

(4)- هشام خالدي، صناعة المصطلح الصوتي في اللّسان العربيّ الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص:188، وينظر أيضا رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1997، ص:17-18

وهو ما انتهى إليه المحدثون من علماء الأصوات،"[1] فنجد 'ابن سينا' "يتميز بوصفه التفصيلي المعتمد على تحديد ما يلحق الأعضاء المشاركة في النطق من تعديلات."[2]

إذن لقد بدأ 'ابن سينا' رسالته بكيفية حدوث الصوت عامةً، "خلاف سابقيه الذين لم يبحثوا عن حدوث الصوت والحروف بشكل العام كما عالجها هو،... فلهذا هو أول عالم بحث عن كلية الصوت، الصوت الإنساني أو الصوت الطبيعي والحيواني. ثم دخل في طريقة حدوث الحروف. إن الشيخ يبين لنا عملية حدوث الصوت خطوة بعد خطوة وخلال هذا يأتي بتعريف الحرف وهو في هذا الفصل كعالم طبيعي يشرح فيزياء الصوت، خلافاً للقدماء 'كسيبويه' و'ابن جني' الذين بدؤوا كلامهم بمخارج الحروف، يعني دخلوا في الفرع دون أن يأتوا بالكل."[3]

ويُعد 'ابن سينا' بحق "رائد علم إنتاج الأصوات الاصطناعية،... فهو يستخدم مظاهر الطبيعة وحالاتها وبعض الآليات، حتى يستنسخ بعض الأصوات والحروف،"[4] وجاء هذا في الفصل السادس من رسالته، الذي عنونه بـ 'في أن هذه الحروف من أي الحركات الغير النطقية تسمع'[5].

هذا ما يؤكد أن للعرب فضل تأصيل نظرية الصوت اللغوي واضطلاعهم بأعباء المصطلح الصوتي منذ القدم، "ولقد كان للقدماء من علماء العربية بحوث في الأصوات اللغوية شهد المحدثون أنها جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم، وقد أرادوا بها خدمة اللغة العربية والنطق العربي، ولاسيما في الترتيل

---

(1)- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص:103

(2)- المرجع نفسه، ص:113

(3)- اسحق رحماني، دراسة فسيولوجية الأصوات عند ابن سينا من خلال كتابه "أسباب حدوث الحروف"، مجلة اللغة العربية وآدابها، ع:10، جامعة شيراز/ سمانة قلاوند، ص:131

(4)- المرجع نفسه، ص:134

(5)- ينظر ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص:17

القرآني، ولقرب هؤلاء من عصور النهضة العربية، وإيصالهم بفصحاء العرب كانوا مرهفي الحس دقيقي الملاحظة، فوصفوا لنا الصوت العربي وصفاً أثار دهشة المستشرقين وإعجابهم."[1]

2-2 ملامح المنهج الصوتي عند العرب القدامى:

1- أدرك علماء العربية القدامى حقيقة الصوت اللغوي وخصائصه، وأثره السمعي، وأهميته في الدرس اللغوي، ووضعوا أبجدية صوتيّة للغة العربية، رتّبت أصواتها وفق أساس علمي دقيق، وهو الأساس الصوتي الذي ابتكره الخليل؛ فقد وضع أول أبجدية من هذا النوع عرفتها اللغة العربية.

2- إسهامهم الوافر في دراسة الأصوات اللغوية، وإن كانت لم تتخذ طابعاً منظماً، أو منهجيةً واضحة المعالم.

3- عدم اقتصارها على الجانب النظري فحسب، بل اقترنت بالجانب العلمي المتمثّل في التشريح، فعرفوا أعضاء النطق -جهاز النطق-، وعالجوا عيوب النطق وأمراض الكلام.

4- سارت الدراسات الصوتية القديمة في مسالك شتى، فجاء بعضها توطئة للعمل المعجمي، وبعضها لخدمة كتاب الله أداءً وتجويداً، وبعضها لقياس مستوى الفصاحة والبيان في الكلام العربي، وبعضها كان مقدمة لدراسة الظواهر اللغوية المختلفة، واعتمادها -في الأغلب الأعم- على المنهج الوصفي.[2] والحقيقة أنَّ العرب قد اتَّخذوا الدّرس الصّوتي واللّغوي عامّة، وسيلة وإن كان هذا الدَّرس قد انتهى بهم إلى أن يكون غاية في حَدِّ ذاته.

(1)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:4

(2)- ينظر عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر(1932-1985)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص:90

2-3 الدرس الصوتي العربي الحديث:

سبق الحديث عن بداية ظهور اللسانيات العربية وارتباطها بنقل نتائج البحث اللساني الغربي الحديث مع عودة البعثات الطلابية العربية –المصرية منها تحديداً– من الغرب، و"إذا ما افترضنا أن لحظة نشأة اللسانيات العربية هي تأريخ صدور أول كتاب تبنّى المناهج اللسانية الغربية... ما بين 1941 و1946* وهي المدة التي يُرجح فيها صدور كتاب الأصوات اللغوية للدكتور 'إبراهيم أنيس'، الذي يُعد أول كتاب عربي حاول تطبيق النظرية البنيوية في وصف أصوات اللغة العربية."[1]

وإثبات السبق 'لإبراهيم أنيس' في ريادة الدرس اللساني العربي الحديث ككل، والدرس الصوتي بالتحديد؛ تؤكده الأقوال التالية: "بدأت الدراسات الصوتية المعاصرة في العالم العربي، ومصر على وجه الخصوص، منذ فترة طويلة،... وكان أول مؤلَّف مستقل يطالعنا في هذا الجانب هو كتاب **'الأصوات اللغوية'** ... ويعدُّ هذا الكتاب الأول من نوعه في اللغة العربية تأثيراً بالفكر اللغوي الحديث، وتُمثِّل مباحثه –في أغلبها– اتجاهاً تجديدياً في البحث الصوتي المعاصر."[2]

ويمكن القول أن "'إبراهيم أنيس' من أول الدارسين العرب المختصين في مجال البحث اللغوي وكتابه 'الأصوات اللغوية' الصادر سنة 1947** أول كتاب مؤلف بالعربية يعرض الموضوع من وجهة نظر العلم الحديث،"[3] وهو "أول محاولة عربية لوصف أصوات العربية وصفا جديدا، أفاد فيها من جهود القدماء، والمحدثين كليهما."[4]

---

* التسليم بأسبقية الكتاب فيه إشكال؛ لأن طبعته الأولى دون تأريخ، ينظر الملحق ص:9-11

(1)– فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص:18

(2)– عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:83-84

** سنة صدور الكتاب فيه التباس كبير، راجع الملحق، ص:9-11

(3)– مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية حفريات النشأة والتكوين، ص:161

(4)– فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص:32

وفي بداية النصف الثاني من القرن العشرين، "لم يكن في الثقافة اللغوية العربية إلا محاولات 'إبراهيم أنيس' التي تجمع بين التقديم العام للفكر اللساني الحديث في مجال الأصوات والدلالة للتعريف به لدى القارئ العربي، ومحاولة التطبيق الجزئي على اللغة العربية."[(1)]

اعتمد 'إبراهيم أنيس' "على مصادر اللغة العربية القديمة، والمصادر الغربية الحديثة، في حين لم يعتمد على المصادر اللغوية العربية الحديثة في كتبه إلا بنسبة قليلة...، وهذا دليل على أنه أول من أدخل علم اللغة الحديث إلى الدول العربية، وأول لغوي عربي يُعتمد على كتبه في هذا المجال."[(2)]

بل وصل الأمر بالقول" لعلنا لا نتجاوز حدود الواقع إذا تراءى لنا أن ما قدمه الدكتور 'إبراهيم أنيس' للدراسات اللغوية العربية والسامية يعد الأبرز والأنضج بين كل المحاولات السابقة والمعاصرة له. فقد تناولت مؤلفاته كل مستويات الدراسة اللغوية من أصوات وصرف وتركيب ودلالة، ففي كتابه الأصوات اللغوية، قدمت لأول مرة دراسة متكاملة للأصوات العربية، اتُبعت فيها مناهج البحث الحديثة،"[(3)] وهو "أول كتاب متكامل باللغة العربية عن الدراسات الصوتية على المنهج اللغوي الحديث،"[(4)] والكتاب "أول مؤلف من نوعه في هذا المجال؛"[(5)] أراد فيه صاحبه الجمع بين آراء القدماء والمحدثين في مجال الدراسة الصوتية، وحاول "أن يؤسس للدرس اللساني العربي الحديث من خلال الوقوف على آراء علماء اللغة العربية في هذا المجال وتأكيد أسبقيتهم فيه."[(6)]

---

(1)– مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص:171-172

(2)– نادية توهامي، إبراهيم أنيس وآراؤه اللغوية من خلال كتبه –من أسرار اللغة، دلالة الألفاظ، الأصوات اللغوية–، إشراف سامي عبد الله أحمد الكناني، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2005، ص:47-48

(3)– أحمد عبد العزيز دراج، الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، د.ط، 2003، ص:142-143

(4)– رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص:19

(5)– عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:62

(6)– فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص:32

وهذا ما يقوله هو نفسه في مقدمة كتابه الأصوات اللغوية:" فهذا كتاب في دراسة قد تبدو حديثة في بلادنا؛ ولكنها ازدهرت وتأصلت بين من يعنون بالبحث اللغوي في أوربا."[(1)]

ويحدد الغاية من عمله هذا في نقطتين رئيسيتين: أولاهما رفع اللبس عن كثير من المفاهيم والآراء التي أتى بها المتقدمون من علماء اللغة، والتي تكررت عند المتأخرين دون فهم أو نظر فيها، وثانيهما ترتبط بمشروع تبناه اللسانيون العرب جميعهم، وهو نشر ثقافة لسانية في أوساط المشتغلين بالدراسات اللغوية.[(2)]

وقد أشار في مقدمة كتابه؛ إلى الانفتاح الذي عرفته الثقافة العربية على الثقافة الأوروبية، مشيرا إلى أثر أعضاء البعثات اللغوية الذين "يعنون بهذا الأمر ويحاولون الانتفاع به في خدمة اللغة العربية."[(3)]

2-3-1 **<u>الدراسة الفوناتيكية</u>**[(4)]: لقد تأثر اللسانيون العرب، بحكم دراسة أغلبهم في الجامعات الإنجليزية بتقاليد هذه الجامعات في دراسة الأصوات، دراسة وصفية تعتمد تقسيم الأصوات على عناصر مستقلة؛ من حيث المخارج والصفات، والنبر، والتنغيم...وغير ذلك.

و"الفوناتيك الإنجليزية، بهذا المفهوم، تلتقي مع التراث الصوتي العربي في طبيعة مباحثها، ولعل هذا ما أعان اللسانيين العرب على إعادة وصف أصوات العربية من خلال وصف نتائج الدراسات

---

(1)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:3

(2)- ينظر المصدر نفسه، ص:4

(3)- المصدر نفسه، ص:4

(4)- تجنب الاختلاف في المصطلحات، وظف البحث مصطلحي إبراهيم أنيس في مصنفه محل الدراسة وهما: 'الفوناتيك والفونولوجيا'.

الصوتية القديمة بنتائج البحث الصوتي الحديث والمقارنة بينهما. لكن ذلك لا يعني أن اللسانيين العرب لم يلتفتوا إلى الدرس الفونولوجي،...بل إنهم مزجوا العلمين في دراستهم."(1)

فكانت المباحث الصوتية في اللسانيات العربة الحديثة تستند إلى "متن نظري ذي أصلين: البحث الصوتي العربي القديم، والفوناتيك الحديثة، فقد كان وصف اللسانين العرب لأصوات العربية يمزج المفاهيم المطروحة في التراث، من قبيل الجهر، والهمس، والحركة، والسكون، والشدة والرخاوة، والتفخيم، والترقيق، بما يماثلها في البحث الفوناتيكي الحديث."(2) وهو المسار الذي رسمه 'إبراهيم أنيس' في مصنفه محل الدراسة.

2-3-2 الفوناتيك والفونولوجيا في اللسانيات العربية الحديثة:

كانت الدراسات اللسانية الحديثة قبل منتصف القرن التاسع عشر تطلق على الدراسات الصوتية مصطلح الفوناتيك (Phonétique)، ثم بدأ اللسانيون المعاصرون يُفرقون بين هذا المصطلح ومصطلح آخر هو الفونولوجيا (Phonologie)، وكلاهما يبحث في أصوات اللغة.

"وأول ما يذكر في هذا الصدد هو مفهوم فرديناند دوسوسير الذي استعمل 'الفوناتيك' للدلالة على العلم التاريخي الذي يحلل الأحداث والتغيرات والتطورات عبر السنين، وهو لذلك جزء من اللسانيات. لكن مدرسة براغ اللغوية* -ولا سيما 'تروبتسكوي'(Troubetzkoy) (ت1938م)- استعملت 'الفوناتيك' عكس استعمال دوسوسير، إذ رأت أنه ليس علماً لسانياً بل هو مساعد للسانيات لأنه

---

(1)- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص:104

(2)- المرجع نفسه، ص:105

* مدرسة براغ اللغوية: نشأت عام1926، أُعلن تنظيمها خلال المؤتمر اللغوي الذي عُقد في لاهاي عام 1928، تحت مُسمى 'أسس حلقة براغ اللغوية'، وتقوم مبادئ هذه المدرسة على دراسة اللغة على أساس وظيفي، والفصل بين اللغة والكلام، واهتمامها بالناحية الاجتماعية للغة. ضمت حلقة براغ مجموعة من المهاجرين الروس من أمثال تروبتسكوي 'Troubetzkoy'، وجاكبسون 'Jakobson'، وكارسيفسكي 'Karcevsky'، ينظر نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص:84 إلى 86، وينظر أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص:136

يدرس الأصوات دراسة علمية لا تخصّ لغة بعينها. ثمَّ شاع في الدراسات الانجليزية والأمريكية استعمال 'الفوناتيك' بمعنى العلم الذي يدرس الأصوات الكلامية ويصنّفها ويحلّلها من غير إشارة إلى تطوّرها التاريخي. فهو بذلك فرع من اللسانيات الوصفية."(1)

فالفوناتيك–عند مدرسة براغ– يهتم بالجانب المادي في الكلام الإنساني، "أما 'الفونولوجيا' فقد استعمله دوسوسير لدراسة آلية النطق، على حين أن مدرسة براغ فعلت العكس، إذ جعلته فرعاً لسانياً يعالج الظواهر الصوتية من ناحية وظيفتها اللغوية."(2)

تهتم الفونولوجيا "بالجانب الوظيفي الذي تؤديه الأصوات في النظام اللغوي، وبعبارة أخرى فإن وظيفة الفوناتيك هي دراسة الأصوات المنطوقة بالفعل في الكلام، أي بوصفها أحداثاً فعليةً، أما الفونولوجيا فوظيفتها تتمثل في دراسة الأصوات التي يُعْتَقَدُ أن الإنسان ينطقها. وبصفة عامة فالفوناتيك هو علم أصوات الكلام، وهو بهذا المعنى لا علاقة له بعلم اللغة، أما الفونولوجيا فهي علم أصوات اللغة، وعليه فهي جزء رئيس منه."(3) ويعود السبب في هذا التفريق إلى ما لاحظه علماء الأصوات من أن الصوت الواحد يتفرع بواسطة السياق اللغوي إلى صور نطقية متعددة دون تغير في المعنى، كما لاحظوا أن الأصوات إذا تبادلت الموقع الواحد وَحَلَّ أحدهما مكان الآخر فإن المعنى يتغير، كما في نحو: قال، صال، سال،... ومن هنا نشأت نظرية 'الفونيم'(4) التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالفونولوجيا.

---

(1)– أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط3، 2008، ص:70–71

(2)– المرجع نفسه، ص: 71

(3)– عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:97–98

(4)– الفونيم: يأتي هذا المصطلح الصوتي من اللفظة الروسية 'Fonima'، وكان 'بودوان دي كورتناي' أول من استخدمه بالمعنى الاصطلاحي، الذي يعني الوحدة الصوتية الصغرى النموذجية التي يحاول المتكّلم تقليدها، وهو يقدم بذلك تفسيرا نفسيا للفونيم؛ أي إّنه جزء من البنية الذهنية اللغوية لدى أفراد البيئة اللغوية الواحدة، ولكن هذا المصطلح لم يشهد رواجا ..

تميزت آراء 'مدرسة براغ' بالفصل التام بين هذين الفرعين –الفوناتيك والفونولوجيا–، فقد عزل تروبتسكوي الفونولوجيا عن الفوناتيك –في كتابه مبادئ الفونولوجيا– من خلال ربطه المصطلحين بالثنائية السوسيرية 'اللغة/لكلام' يقول "فالفوناتيك هي دراسة الصوت في الكلام بغض النظر عن وظيفته، أما الفونولوجيا فهي دراسة الصوت بوصفه عنصرا في نظام اللغة، أي أنه يعالج الفونيمات المنطوقة من حيث وظيفتها،"[(1)] ومن هنا يبدو الاختلاف بين الفوناتيك والفونولوجيا واضحا من حيث المجال والغاية؛ "فالفوناتيك تدرس الصوت البشري بما هو مادة فيزيائية، والفونولوجيا تدرس الصوت البشري من حيث هو عنصر في نظام كلي، يتحدد على وفق سماته المميزة."[(2)]

الأمر الذي جعل هذه النظرة تجابه بالانتقاد الكبير، "وهناك ممن ينتسبون لهذه المدرسة يرفضون هذه الفكرة، ويؤكدون ارتباط أحدهما بالآخر ارتباطاً وثيقاً، وتعاونهما التكاملي في تحقيق الأهداف المتوخَّاة من الدراسات الصوتية."[(3)]

فالمدرسة الإنجليزية التي يتزعمها 'فيرث' "لم تفرق في بداية نشأتها بين هذين الفرعين، وكان الفوناتيك يُعنى بالدراسة الوصفية للأصوات دون تمييز ما هو مادي وغير مادي من الأصوات، أما الفونولوجيا فكان يُعنى بالدراسة التأريخية للأصوات، وظل الأمر كذلك حتى انتشرت فكرة التفريق بين جانبي الفوناتيك والفونولوجيا من لدن الأوروبيين، وعندما انتقل هذا المنهج إلى الإنجليز، وبدأوا بتطبيقه ولكن دون مبالغة في الفصل التام بين هذين الفرعين. وقد أكدت هذه المدرسة العلاقة الوثقى

..واستعمالا واسعا إلا منذ عشرينيات القرن الماضي على يد أعضاء مدرسة براغ وتعد أعمال هذه المدرسة أول تطور مهم في نظرية الفونيم لأنها حددت أن أصوات الكلام تنتمي إلى الكلام أما الفونيم فينتمي إلى اللغة، ينظر روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص:292–293، وينظر سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2008، ص:64

(1)– فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص:103

(2)– المرجع نفسه، ص:103

(3)– عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:98

التي تربط بينهما، فالفرع الأول 'الفوناتيك' يهتم بجمع المادة الصوتية دون تركيز على وظائفها في اللغة المعينة، ويهتم 'الفونولوجيا' بإخضاع تلك المادة للتنظيم والتقنين، والكشف عن وظائفها، وكلاهما يُمثِّل جزءاً لا يتجزأ من علم اللغة."[(1)] وكلا العلمين قد نشأ في سياقين مختلفين تماماً، وهما لا يلتقيان منهجياً، فمجال الفوناتيك الكلام، ومجال الفونولوجيا اللغة.

خلاصة القول أن الفوناتيك يدرس الأصوات المفردة بعيداً عن الاستعمال، أما الفونولوجيا فتدرس الأصوات في أوضاع تركيبية؛ ووصف الصوت أثناء الاستعمال، "فمجال الفوناتيك الكلام، ومجال الفونولوجيا اللغة."[(2)] وبعبارة أخرى يخص مصطلح 'فونولوجي' الدراسة "التي تصف النظام الصوتي للغة معينة،...أما مصطلح 'الفوناتيك' يقتصر على دراسة أصوات الكلام مستقلة عن تقابلات نماذجها، وعن تجمعاتها في لغة معينة، ودون نظر إلى وظائفها اللغوية، أو حتى معرفة اللغة التي تنتمي إليها."[(3)]

2-3-3 موقف إبراهيم أنيس في التفريق بين الفوناتيك والفونولوجيا:

فضل الدكتور 'إبراهيم أنيس' "التعريب على الترجمة"[(4)] في وضع المصطلحات بمصنفه 'الأصوات اللغوية'، ولكنه في مصنفه المتأخر زمنياً ترجم "الفونولوجيا إلى 'التشكيل الصوتي للغة.'"[(5)] هذا بخصوص المصطلح، أما الموضوع فقد فضل أن تنتمي مباحث كتابه 'الأصوات اللغوية' إلى فرع الفونولوجيا لأن حسبه "الفوناتيك يعني بالأصوات الإنسانية شرحاً وتحليلاً، ويجري عليها التجارب دون نظر خاص إلى ما تنتمي إليه من اللغات، ولا إلى أثر تلك الأصوات في اللغة من الناحية العملية. فهو-

(1)- عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:99

(2)- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص:104

(3)- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د.ط، 1997، ص:68

(4)- عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:101

(5)- إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت، ص:25

الفوناتيك– لهذا عالمي، كونت له هيئة عالمية تكشف لنا كل يوم عن أصوات إنسانية كانت مجهولة. أما فرع 'الفونولوجي' فيعنى كل العناية بأثر الصوت اللغوي في تركيب الكلام نحوه وصرفه، ولهذا يمكن أن يطلق عليه علم الأصوات الذي يخدم بنية الكلمات وتركيب الجمل،"(1) في لغة من اللغات. وهو بهذا يشير إلى أن مجال الفوناتيك أوسع من مجال الفونولوجيا، وتلك هي نظرة المدرسة الإنجليزية.

لكنه يعترف بصعوبة الفصل بين الفرعين نظراً لتشابك موضوعاتهما، واختلاط مباحثهما في قوله: "على أن الفرعين قد يلتقيان في ميدان واحد ويشتركان معاً في البحث في عدة نقط. فحدودهما متشابكة، يصعب تحديد الفواصل بينهما تحديداً دقيقاً."(2) وذلك ما تراه المدرسة الإنجليزية أيضا.

ربما لم يميز 'إبراهيم أنيس' "بشكل واضح بين المجالين، ولا بين موضوعيهما، إذ أنه على الرغم من تصنيفه كتابه في البحث الفونولوجي، لم يتعرض مطلقا لنظرية الفونيم، ولا إلى مفهومه لدى علماء اللغة المحدثين... ولم يفصل بين الدراسة الفوناتيكية والدراسة الفونولوجية."(3) واعتبر الدراسة التي قام بها "في المستوى الصوتي للغة لعربية منتمية إلى الفونولوجيا بالرغم من إهماله الواضح لنظرية الفونيم التي تتأسس عليها النظرية الفونولوجية الحديثة."(4)

مما سبق يبدو أن مباحث 'الأصوات اللغوية' تميل إلى الفوناتيك أكثر من الفونولوجيا لأنها تناولت ظاهرة الصوت، وقد إعتمد فيها على آراء علماء الطبيعة وعلماء التشريح،(5) فعرض أعضاء

(1)– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:3

(2)– المصدر نفسه، ص:3

(3)– فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص:33

(4)– نعمان بوقرة، الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية دراسة وصفية تأصيلية في ضوء التلقي العربي للمناهج اللسانية الحديثة، ص:39

(5)– ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:8–19

جهاز النطق،[1] وأعضاء جهاز السمع،[2] وبين خصائص الهواء الذي تنتقل خلاله الأصوات، وحدّد مخارج الأصوات وصفاتها،[3] ثم عالج ظواهر الصوت، كالجهر، والهمس، وشدة الصوت ورخاوته، والأصوات الساكنة[4]، وأصوات اللين[5]، وأشباه أصوات اللين، وطول الصوت، والمقطع الصوتي، والنبر، وموسيقى الكلام 'التنغيم'[6]، وغير ذلك. وبذلك يكون الكتاب قد استوعب كل جوانب الدراسة الفوناتيكية، وليس الفونولوجية للكلام."[7]

---

(1)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:17-21

(2)- ينظر المصدر نفسه، ص:13-16

(3)- ينظر المصدر نفسه، ص:46-80

(4)- وظف البحث مصطلحي الصوامت -الحروف أو الساكنة- ترجمة للمصطلح الفرنسي Consonne، والصوائت -الحركات أو المتحركة- ترجمة للمصطلح الفرنسي Voyelle، وأصوات اللين مصطلح 'إبراهيم أنيس'، لدلالتهما على المقصود وكذا لبعدهما عن اللبس، لأن الصوت الصامت -والجمع صوامت- هو ما يشار إليه بالمصطلح الفرنسي 'Consonne'، أي هو كل ما ليس حركة 'Voyelle'. ويسميه إبراهيم أنيس 'الساكن' وهي تسمية يمكن أن تكون صحيحة ومقبولة. لكن بالمقابل يمكن إيثار تسمية الصوامت/الصوائت لسببين أولهما: الكلمة 'ساكن' -والجمع سواكن- قد تؤدي إلى لبس، إذ قد تؤخذ على أن المقصود بها هو الحرف المشكل بالسكون على ماهي القاعدة العامة في البحوث الصرفة التقليدية، على حين أن المراد هو كل صوت ليس حركة، سواء أكان مشكلا بالسكون أم بغيره من علامات الحركات. ثانيهما، أن علماء العربية جروا على التوسع في مفهوم الكلمة 'ساكن' -وما تصرف منها- بإطلاقها -خطأ- على حروف المد 'الألف والواو والياء' أو ما تسمى الحركات الطويلة وهو إطلاق مضلل، ينظر كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، ص:82-83 الهامش

(5)- أصوات اللين مصطلح يطلق على الصوائت وهذه التسمية استعملها الدكتور 'علي عبد الواحد وافي' أول مرة، ثم وظفها الدكتور 'إبراهيم أنيس' في مصنفه 'الأصوات اللغوية'، أما مصطلح 'صائت' فقد استعمله أول مرة "برجشتراسر' في محاضراته بالجامعة المصرية، تلك التي طبعت سنة 1929 بعنوان 'التطور النحوي للغة العربية'، وفيها ورد هذا المصطلح بصيغة 'الحروف الصائتة'، ثم استعمله 'محمود السعران' سنة 1962 في كتابه علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ينظر علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط9، 2004، ص:308، وينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص:27، وينظر برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص:33، محمد أمنزوي، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى دراسة صوتية إحصائية، ص:41-42

(6)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:21-106

(7)- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص:34

لا تتفق 'فاطمة الهاشمي بكوش'[(1)] مع 'حلمي خليل'[(2)] في تفسيره لسبب عدم الفصل بين الدراسة الفوناتيكية والدراسة الفونولوجية عند 'إبراهيم أنيس'، فـ'حلمي خليل' ينطلق من فكرة أن 'إبراهيم أنيس' في هذه المحاولة المبكرة، كان يدرك الفرق بين المجالين ويستطيع تحديد مفاهيمهما، ويضيف أن دراسة أصوات العربية هي دراسة فونولوجية بالدرجة الأولى، وترد عليه الدكتورة 'فاطمة الهاشمي بكوش' أن هذا القول الأخير –دراسة أصوات العربية دراسة فونولوجية بالدرجة الأولى– "فيه من الغرابة والإبهام ما يدفع للسؤال، فالفونولوجيا والفوناتيك مجالان من مجالات البحث يتميز كل واحد منهما بمنهج خاص، والأصوات هي مادة هذا البحث ولا معنى لأن نقول إن أصوات لغة ما تنفع لأن تدرس فوناتيكياً ولا تنفع أن تدرس فونولوجياً أو العكس."[(3)]

وتضيف 'فاطمة الهاشمي بكوش' أن 'إبراهيم أنيس' "وريث التقليد الإنجليزي الذي ركّز على الدراسات الفوناتيكية للأصوات في مقابل المدرسة الأوروبية، ممثلة في حلقة براغ التي كرّست الدراسات الفونولوجية. وقد كان 'إبراهيم أنيس' موفقاً في تقديم تعريفات للمجالين بحكم إطلاعه المؤكد على أعمال هذه الحلقة وبحكم انتشار مفاهيمها ومصطلحاتها، لكنه لم يوفق في تصنيفه لكتابه في الدراسة الفونولوجية."[(4)] ويبدو أن رأي 'فاطمة الهاشمي بكوش' أقرب للمنطق بسبب حججه القوية، عكس رأي 'حلمي خليل' الذي تنقصه الحجة.

---

(1)– ينظر فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص:33

(2)– ينظر حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1988 ص:149–150

(3)– فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص:34

(4)– المرجع نفسه، ص:34

3-إبراهيم أنيس والتراث اللغوي العربي من خلال 'الأصوات اللغوية':

كان 'إبراهيم أنيس' يوازن آراء اللغويين العرب القدماء بآراء المحدثين في أغلب مراحل الكتاب، وخصص الفصل الخامس منه لملاحظاته عن دراسة القدماء من علماء العربية للأصوات،(1) ويوضح السبب من المقاربة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات الحديثة بقوله: "للوقوف على مدى ما تتفق فيه آراء علماء اللغة العربية القدماء مع النظريات الحديثة في هذا الميدان."(2) مبادراً إلى توضيح موقفه من جهودهم قائلا:"...فدراستنا هنا هي دراسة المحايد المنصف المعترف بعلم هؤلاء القدماء وفضلهم وليس القصور أو التقصير فيما رواه 'سيبويه'،"(3) مؤكداً "أن المتأخرين لم يحاولوا فهم ما وصل إليهم في مجال الدراسات الصوتية، بل اكتفوا بتكرار آراء القدماء دون الوقوف عليها وتَأمُّلِ مواطن القوة والضعف فيها،"(4) وهذا ما أدى بالدراسة الصوتية العربية أن "توقفت عند حدّ معين لم تستطع أن تتجاوزه، فكانت دراسة 'سيبويه' عن الأصوات هي محلّ نظر من بعده، تفصيلاً لما أجمل، وتفسيراً لما غَمُض، وشرحاً لما أُبْهم، ولم يتمكنوا من إضافة شيء يُذكر لهذه الدراسة، بل اكتفوا بترديد ما قاله إمام النحاة نصّاً وروحاً، مما أدى إلى ركود البحث في الجانب الصوتي."(5)

---

(1)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:83-87

(2)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط5، 1979، ص:2

(3)- المصدر نفسه، ص:105

(4)- المصدر نفسه، ص:105

(5)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط3، 1961، ص:76-77 نقلا عن عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:94

3-1 ملاحظات 'إبراهيم أنيس' على الدراسات العربية القديمة في المجال الصوتي:

يُقر إبراهيم أنيس أن "المصطلحات التي أطلقها القدماء على بعض مخارج الأصوات وصفاتها جانبها التوفيق، وتنقصها الدقة."(1) فقد جاء تقسيم سيبويه لمصطلحات مخارج الأصوات "قائم على أساس الفصل بين المخرج والصفة، على حين مضى اللغويون المحدثون إلى عدم الفصل بينهما، باعتبار الصوت وحدة متكاملة."(2)

بالإضافة إلى التقليد والتبعية لمن جاء بعد 'الخليل' و'سيبويه' إلا قليلا. "بل إنك لتجد العبارة هي العبارة وحتى الغموض هو الغموض. ونتبع تعريف 'المجهور' بعد 'سيبويه' تجده هو تعريف 'سيبويه' برغم ما فيه من إبهام وتعقيد... فسيبويه يعرفه بأنه 'حرفٌ أُشْبعَ الاعتمادُ في موضعه، ومَنَعَ النَّفَسَ أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت' والتعريف بحروفه في سر صناعة الإعراب لابن جني وكذا في شرح مفصل الزمخشري."(3)

1- أولى القدماء الأصوات الصامتة عناية أكبر، وأعطوها كثيراً من الاهتمام والعناية، على عكس الأصوات الصائتة، "مع أنها عنصر رئيسي في اللغات، ومع أنها أكثر شيوعاً فيها، لم يعن بها المتقدمون من علماء العربية."(4) ويرجع السبب في هذا، "إلى أن اللغات السامية بصفة عامة والكتابة العربية أعطت الصوامت عنايةً خاصةً في الدراسة التحليلية والرموز

---

(1)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط4، ص:77 وما بعدها

(2)- هنري فليش، العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي، ترجمة: عبد الصابور شاهين، مكتبة الشباب، مصر، ط2، 1997، ص:20

(3)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط3، ص: 120، نقلا عن أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص:119، ينظر سيبويه، الكتاب، 434/4، وينظر ابن جني سر صناعة الإعراب، 60/1

(4)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 38

الصوتية، كما أن إيمان القدماء بفكرة الأصول أدى إلى اهتمامهم بالصوامت دون الصوائت."[1]

لكن هذا لا يعني أنهم أهملوها تماماً، بل تحدثوا عنها وبينوا خصائصها الفسيولوجية على نحو ما نجده عند 'أبي الأسود الدؤلي' وإشارته الدقيقة لوضع الشفاه حال النطق بالصوامت، وابن جني في حديثه عن أبعاض حروف المد 'الصوائت القصيرة'، وموقع الصائت من الصامت هل هو بعده أو قبله أو معه؟... [2]

2- عدم إدراكهم لوظيفة الأوتار الصوتية، وأهميتها في تحديد مفهومي الجهر والهمس،[3] لكنهم -على الأقل- عرفوا الأوتار الصوتية، وأشاروا إليها بمصطلح 'الشوارب'.[4]

إن جميع هذه المآخذ لا تُقّلل بحال من قيمة الدراسات الصوتية القديمة، بل هي مما يستدركه اللاحقون على السابقين، وذلك أمرٌ طبيعي، وتبقى لتلك الدراسات منزلتها ومكانتها التي اعترف بها المعاصرون، عرباً ومستشرقين وغربيين.

3-2 تشريح وظائفي لجهاز النطق: يمتلك الإنسان مجموعة من الأعضاء، تشترك بدور مباشر في إنتاج الأصوات اللغوية، ويمكن تسمية هذه الأعضاء بأعضاء النطق (Organs de la Parole)، لقد اهتم علماء الأصوات القدماء والمحدثون بوصف الجهاز الصوتي، وبيان وظيفته في تفصيل دقيق، فقد تحدث العرب القدماء عن أعضاء النطق وسموا كلا منها مثل الرئة والحنجرة والحلق واللسان والشفتين،

(1)- عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:122

(2)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:39

(3)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط4، ص:88-94

(4)- ينظر التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، ص:134 الهامش

وقسموا الحلق إلى أقصى ووسط وأدنى، واللسان إلى أصل وأقصى ووسط وظهر وحافة وطرف."(1) وقسم 'إبراهيم أنيس' جهاز النطق إلى:

3-2-1 **القصبة الهوائية:** "وفيها يتخذ النفس مجراه قبل اندفاعه إلى الحنجرة. وقد كان يظن قديما أن لا أثر لها في الصوت اللغوي، بل هي مجرد طريق للتنفس؛ ولكن البحوث الحديثة برهنت على أنها تستغل في بعض الأحيان كفراغ رنان ذى أثر في درجة الصوت، ولا سيما إذا كان الصوت عميقاً."(2)

3-2-2 **الحنجرة:** لقد اعتبر القدماء والمحدثون على حد سواء هذا العضو الأداة الأساسية للصوت الإنساني، فقد عرض 'ابن سينا' في رسالته 'أسباب حدوث الحروف' إلى مكونات الحنجرة واللسان، وانفرد فيها بحقائق، وهذا ما أقرَّه 'إبراهيم أنيس' بقوله:"ولما وقفنا على هذه الرسالة منذ بضع سنوات استرعى انتباهنا أنها تعالج طرفا من الدراسة الصوتية اللغوية علاجا فريدا يختلف اختلافا بيّنا عن علاج 'سيبويه' وغيره من علماء العربية."(3)

وقد عرفها 'إبراهيم أنيس' بقوله: "هي عبارة عن حجرة متسعة نوعاً ما ومكونة من ثلاثة غضاريف، الأول أو العلوي منها ناقص الاستدارة من خلف، وعريض بارز من الأمام، ويعرف الجزء البارز منه بتفاحة آدم، أما الغضروف الثاني فهو كامل الاستدارة، والثالث مكون من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني من خلف."(4)

3-2-3 **الحلق:** هو الجزء "الذي بين الحنجرة والفم. وهو فضلا عن أنه مخرج لأصوات لغوية خاصة، يستغل بصفة عامة كفراغ رنان يضخم بعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة."(5)

---

(1)- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص:115

(2)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 17

(3)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط4، ص:137

(4)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:18

(5)- المصدر نفسه، ص:19

3-2-4 **<u>اللسان</u>:** "تعود القدماء أن ينسبوا النطق إلى هذا العضو بصفة خاصة، ولا غرابة في هذا، فاللسان عضو هام في عملية النطق، لأنه مرن وكثير الحركة في الفم عند النطق؛ فهو ينتقل من وضع إلى آخر فيكيف الصوت اللغوي حسب أوضاعه المختلفة، وقد قسمه علماء الأصوات إلى ثلاثة أقسام: الأول منها أول اللسان بما في ذلك طرفه، والثاني وسطه، والثالث أقصاه،"(1) والملاحظ أن 'إبراهيم أنيس' لم يشر لذلق اللسان.

3-2-5 **<u>الحنك الأعلى</u>:** هو "العضو الذي يتصل به اللسان في أوضاعه المختلفة، ومع كل وضع من أوضاع اللسان بالنسبة لجزء من أجزاء الحنك الأعلى تتكون مخارج كثير من الأصوات، وينقسم الحنك الأعلى إلى أقسام عدة هي: الأسنان، ثم أصولها، ثم وسط الحنك أو الجزء الصلب منه، ثم أقصى الحنك أو الجزء اللين منه، ثم اللهاة." (2)

3-2-6 **<u>الفراغ الأنفي</u>:** هو "العضو الذي يندفع خلاله النفس مع بعض الأصوات كالميم والنون. هذا إلى أنه يستغل كفراغ رنان يضخم بعض الأصوات حين النطق."(3)

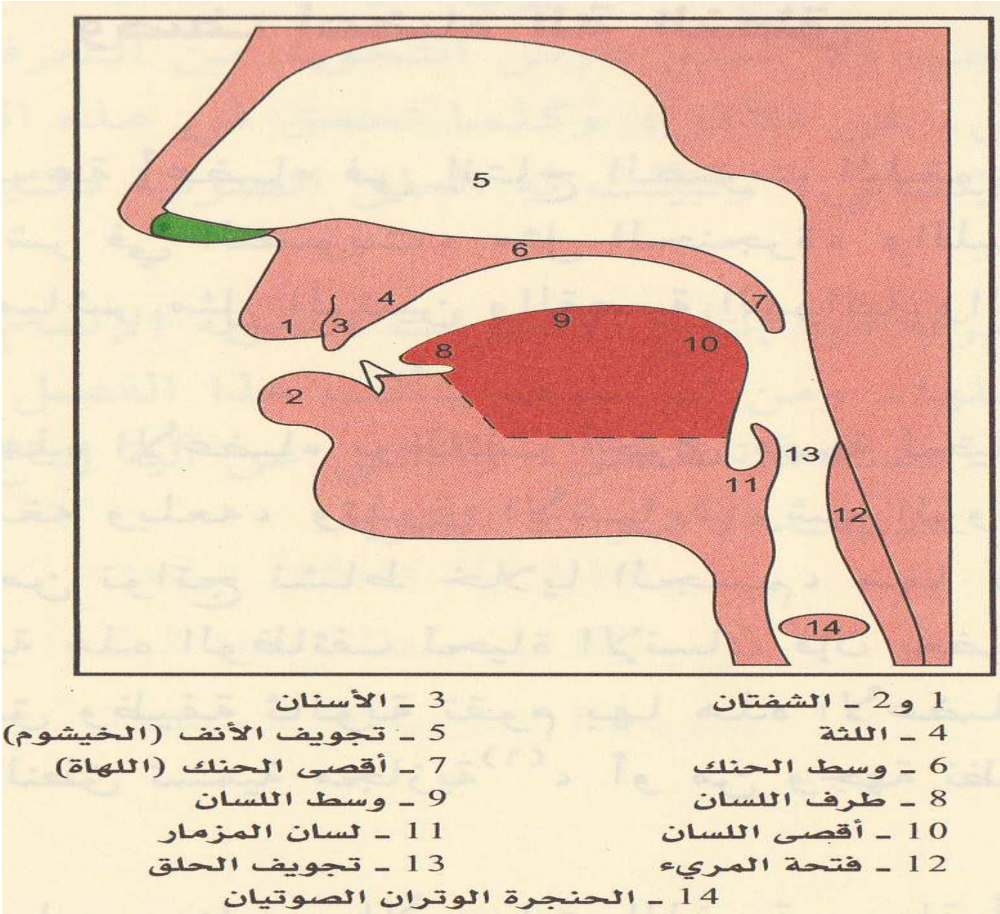
يضيف 'إبراهيم أنيس' إلى أعضاء النطق السابقة الذكر–التي يشار إليها دائما في دراسة الأصوات وعملية النطق– عضو آخر لا يقل أهمية وهو الرئتان فيقول: "فبغير الرئتين لا تكون عملية التنفس، وبغير التنفس لا يكون الكلام بل لا تكون الحياة نفسها."(4)

(1)–إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:19

(2)– المصدر نفسه، ص:19–20

(3)– المصدر نفسه، ص:20

(4)– المصدر نفسه، ص:20



3-3 <u>المصطلح الصوتي</u>:

مشكلة المصطلح الصوتي كانت منذ زمن اللغويين القدماء، فلقد انتشرت ظاهرة عدم توحيد المصطلحات بينهم ومن ذلك "استخدم 'ابن جني' 'المقطع' و'ابن سينا' 'المحبس' بمعنى 'المخرج'."[1] وهذا الأخير هو مصطلح الخليل وسيبويه[2].

وإذا اتفق اللسانيون الغربيون على مصطلحي 'Les consonnes'، و 'Les voyelles' للدلالة على قسمي الأصوات اللغوية ، فإن العرب من اللسانيين قد اختلفوا في تحديد مصطلح ثابت لهما، فأطلقوا عليهما تسميات كثيرة منها: الأصوات الساكنة وأصوات اللين،[3] الأصوات الجامدة والأصوات

(1)- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص:119

(2)- ينظر الخليل، العين،57/1، وينظر سيبويه، الكتاب، 431/4

(3)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:27

المصوتة،(1) الأصوات الساكنة والأصوات المتحركة،(2) السواكن والعلل،(3) الصوامت والصوائت،(4) الحبيسة والطليقة(5) وغيرها من التسميات والمصطلحات.

وصف 'إبراهيم أنيس' أصوات اللغة العربية "واستند إلى آراء 'سيبويه' ومن أتى بعده من القراء بخاصة، والتزم بمصطلحات القدماء وبعض تعريفاتهم لمسائل الصوت، على الرغم من وصفه لبعض مصطلحاتهم بعدم الدقة لسبب ذكره هو، ويتعلق بطبيعة العصر الذي لم يتهيأ لهم فيه الإفادة من علم التشريح والفيزياء، كما هو الشأن في الدراسات الصوتية اليوم،"(6) ومن هذه المصطلحات مصطلح 'النطع' الذي جانبه التوفيق–حسبه–.(7)

فهو يطلق عن الصوامت (Consonne) "بكلمة 'حرف' مرة، وبـ'الصوت الساكن' مرة أخرى، ومن المعروف أن مصطلح الحرف في الاستعمال العربي القديم يصدق على كل من الصوامت (Consonne) والصوائت (Voyelle)."(8) والملفت للانتباه "أنه يستشهد برأي المستشرق 'أ.شاده'* الذي يخطِّئ القدماء في مسألة استخدامهم كلمة 'حرف' للدلالة على الصوت** ومع ذلك، فإننا نجده يقابل الصوت اللغوي بـ'الحرف'،"(9)

---

(1)– رابح بوحوش، البنية اللغوية لبردة البويصري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص:18

(2)– محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، ط3، 1984، ص:366

(3)– سعد مصلوح، دراسات نقدية في اللسانيات المعاصرة، عالم الكتاب، القاهرة، ط1 ،1989، ص:215

(4)– مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص:22

(5)– محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة العربية، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط4، د.ت، ص:131،178

(6)– فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص:35

(7)– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط4، ص:108

(8)– حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، ص:151

* ينظر رأي شاده في هذه المسألة ص:67–68 من هذا الفصل.

** ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:111

(9)– فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص:35

أما الصوائت Voyelle فقد ترجمه مرة بأصوات اللين ومرة أخرى بالحركات.(1)

بالإضافة إلى تغير تسمية المفهوم نفسه في مصنفاته المتأخرة، ومن "أمثلة الاختلاف في ترجمة المصطلحين الأساسين 'Consonne' و'Voyelle' ترجمهما الدكتور 'إبراهيم أنيس' في كتابه الأصوات اللغوية ب'الساكن والمتحرك'، وترجمهما في كتابه من أسرار اللغة ب'حرف وحركة'،"(2) وهي الترجمة نفسها في كتابه 'موسيقى الشعر' "تسهيلا على عامة القراء."–على حدّ قوله–(3)

وهذه التسميات المتعددة لنفس المصطلح الصوتي تنطوي تحت إشكالية المصطلح اللساني العربي ككل، التي أشار إليها البحث آنفاً في المدخل.

ومن مصطلحات القدماء التي وظفها 'إبراهيم أنيس' أيضاً، الأصوات الذلقية يقول: "إنما أبغي الانتفاع بها فقط، ولا شك أن المؤلفين القدماء قد أحسوا بالعلاقة الصوتية بين هذه الأصوات فجمعوها تحت اسم واحد،"(4) وهي:اللام، والراء، والنون. وكذلك استعماله لمصطلح الأصوات اللثوية.(5)

3–4 <u>الصوامت والصوائت</u>:

يقسم علم الأصوات، الأصوات إلى قسمين رئيسيين :الصوامت *'Les consonnes' والصوائت ' Les voyelles' وكان المنطلق في هذا التقسيم الطبيعة الصوتية لكل قسم، وذلك أن "الصوامت هي إما أن ينحبس معها الهواء انحباسا محكما فلا يسمح له بالمرور لحظة من الزمن يتبعها ذلك الصوت الانفجاري، وإما أن يضيق مجراه فيحدث النفس نوعا من الصفير، وأما الصوائت فيندفع الهواء من الرئتين

---

(1)– ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:22، 27، 29،...

(2)– محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص:29

(3)– إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو مصرية، ط2، 1952، ص:4 المقدمة

(4)– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:54

(5)– ينظر المصدر نفسه، ص:49

* مصطلح أشتق من الإغريقية والذي يعني مفهوماً مركباً من "'Con+Sonne'، أي الذي يصوت مع غيره، نقلا عن جعفر دك الباب، الصوامت والصوائت في العربية، مجلة اللسان العربي، ع:19/1، 1982، ص:35

عند النطق بها مارا بالحنجرة ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترض مجراه، وتمتاز الصوائت بخاصية الوضوح السمعي."[1]

فأساس التفريق بين الصوامت والصوائت قائم على طبيعة العوائق التي يصادفها كلّ منهما حين خروجه، أي على أساس وجود اعتراض لتيار الهواء في مجراه. فيكون"الصوت صائتاً إذا كان النفس الذي يؤدي إلى إصداره يجري طليقا لا يعترضه عائق حتى خروجه بحرية من الفم،... ويكون الصوت صامتاً إذا صادف النفس الذي يؤدي إلى إصداره عائقاً في نقطة ما يعترض طريقه حتى خروجه من الفم."[2]

ولبعض الباحثين المحدثين آراء وتفسيرات حول تصنيفات القدماء للأصوات منها رأيان بخصوص التصنيف الثنائي (صامت/صائت): أولهما أن القدماء أدركوا الفرق بينهما –الصوائت والصوامت–، ولكنهم لم يسموا كلا من الصنفين باسم خاص[3]، والرأي الآخر هو أن عدم إدراكهم للفرق بين الصنفين، ومن ثم إهمالهم للصوائت؛ ناتج عن إهمال الخط العربي للصوائت وعلى الخصوص الصوائت القصيرة وهو رأي إبراهيم أنيس.[4]

يحدد الصوت الصائت "في الكلام الطبيعي بأنه الصوت المجهور الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحياناً، دون أن يكون ثمة عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاماً، أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً."[5]

---

(1)– ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:27

(2)– هنري فليش، العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي، ص:26

(3)– ينظر محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص:89، وينظر خليل أحمد العطية، في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق، د.ط، 1983، ص:48

(4)– ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:38–39

(5)– محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص:148

والصوت الصامت هو "الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث في نطقه أن يعترض مجرى الهواء اعتراضاً كاملاً، أو اعتراضاً جزئياً من شأنه أن يمنع الهواء من أن ينطلق من الفم دون احتكاك مسموع."(1)

من التعريفين السابقين يتضح أن الصوائت جميعاً مجهورة، أما الصوامت فمنها ما هو مجهور ومنها ما هو مهموس.

3-5 <u>**الصوامت**</u>**:** لدراسة الصوامت لابد من التطرق للمخرج أولا ولصفات الأصوات.

3-5-1 <u>**المخرج**</u>**:** هو أقصى نقطة يلتقي فيها عضوان من أعضاء النطق أحدهما ثابت والآخر متحرك، فهو"النقطة المحددة في الجهاز النطقي التي يتم عندها تعديل وضعه."(2)

استخدم 'سيبويه' مصطلح 'المخرج' على الغالب، واستخدم مصطلحي 'المدرج والموضع'(3) على نحو أقل. وتبعه الدكتور 'إبراهيم أنيس' في استعمال مصطلح المخرج(4).

عدد المخارج: عدّها 'إبراهيم أنيس' في ستة مخارج كلية، وهي كتالي:

1- الأصوات الشفوية: الباء، الميم

2- الصوت الشفوي الأسناني:الفاء

3- المجوعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج: المخرج بين أول اللسان -بما فيه طرفه- وبين الثنايا العليا -بما فيها أصولها- :

أ- الأصوات اللثوية: الذال، الثاء، الظاء.

---

(1)- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص:148-149

(2)- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص:78

(3)- سيبويه، الكتاب، 433/4،453،479

(4)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:46-79

ب- مخرج يجمع الأصوات التي لها صفة الشدة: الدال، الضاد، التاء، الطاء.

ج- الأصوات الذلقية: اللام، الراء، النون.

د- الأصوات الأسلية: السين، الزاي، الصاد.

4- أصوات وسط الحنك: الشين، الجيم العربية الفصيحة.

5- أصوات أقصى الحنك: الكاف، القاف.

6- الأصوات الحلقية: الغين، الخاء، العين، الحاء، الهاء، الهمزة.

لكنه-إبراهيم أنيس- لم يصنف ثلاثة حروف في أي مخرج وهي: الألف، الواو، الياء.(1) وربما السبب في ذلك هو إخراج "الألف اللينة من الهجائية العربية 'الصوامت' بحجة أنها حركة 'فتحة طويلة'، مما يعني أن الحروف الهجائية مُكَوَّنة من ثمانية وعشرين حرفاً، في حين أن القدماء عدّوها من ضمن أصوات العربية الصامتة. ويتصل بهذا عَدُّ القدماء الهمزة صوتاً صائتاً 'حركة' في حين أنه عند المعاصرين صوت صامت."(2)

ولم يذكر أيضاً مخرجا للياء والواو*؛ ويرجع هذا إلى "طريقة اللغويين -القدماء- في تقعيد هذه الحقائق وتنظيمها. فعلماء العربية القدماء -في دراسة 'واي'- خلطوا أحياناً بين الصوت

(1)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 46-79

(2)- عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:110

* تعرض 'إبراهيم أنيس' لحروف العلة في دراسة سماها: 'بحث في اشتقاق حروف العلة' ونشرت هذه الدراسة بمجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد الثاني سنة 1944، وفي هذه الدراسة عالج عددا من المشكلات التي تتعلق بهذه الحروف ويمكن تلخيص أهم آرائه في هذه المشكلات فيما يلي:

1- من رأيه أن الياء والواو لا تكونان إلا أصليتين في الأفعال والأسماء المشتقة.

2- الواو والياء، كانتا في الأصل أحد الأصوات الثلاثة: اللام والنون والميم. وقد أدت عوامل التطور اللغوي إلى هذا الانقلاب، لما بين هذه الأصوات وبين الياء والواو من شبه صوتي...

3- كل من 'الواو والياء المحدثة من لام أو نون أو ميم قلبت في بعض الصيغ إلى صوت لين طويل؛ فتحة طويلة أو كسرة طويلة أو ضمة طويلة،' وفي رأيه كذلك 'أنه لابدّ من تسكين 'الواو أو الياء' قبل هذا القلب، ينظر كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص:75، الهامش

والرمز الكتابي."[1]

لم يبتعد 'إبراهيم أنيس' كثيراً عن طريقة تناول علماء العربية لمخارج الحروف، سوى أنه بدأ بأصوات الشفتين، وعدَّ اللام والراء والنون من مخرج واحد، وقدَّم بعض المخارج على بعض.

ومن ثم فإن معالجته لمخارج حروف هذه المجموعة لم تبتعد عما قاله علماء العربية عنها من قبل، ولم يدرج الواو ضمن حروف الشفة، والياء ضمن حروف وسط الحنك، لأنه تناولهما عندما تحدث عن مخارج الصوائت 'حروف اللين'، سالكاً مسلك 'الخليل' على ما يبدو.

3-5-2 صفات الأصوات:

وهو الوصف نفسه–تقريبا– الذي قدمه القدماء عن صفات الأصوات، وهذا ما سيؤكده ما يلي:

3-5-2-1 جهر الصوت وهمسه: عرف 'سيبويه' الصوت المجهور بأنه "حرف أُشْبِعَ الاعتمادُ في موضعه، ومَنَعَ النَّفَسَ أن يجريَ معه حتَّى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت"[2]؛ والأصوات المجهورة: "الهمزة، والألف، والعين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، والدال، والزاي، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو. فذلك تسعة عشر حرفا."[3]

أما الصوت المهموس فعرفه بأنه "حرفٌ أُضعِف الاعتماد في موضعه حتَّى جرى النّفَسُ معه،"[4] والأصوات المهموسة هي "الهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء. فذلك عشرةُ أحرف."[5]

(1)– كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص:75
(2)– سيبويه، الكتاب، 434/4
(3)– المصدر نفسه، 434/4
(4)– المصدر نفسه، 434/4
(5)– المصدر نفسه، 434/4

وحسب الدراسات الحديثة فإن المعيار الأساسي لحالتي الجهر والهمس يقوم علي طبيعة الوترين الصوتيين، فالأصوات التي لا يهتز معها الوتران الصوتيان هي الأصوات المهموسة، والأصوات المجهورة هي التي يهتز معها الوتران الصوتيان.(1)

وفرق سيبويه بين الصوت المهموس والمجهور فقال: "المهموس إذا أخفيته ثم كررته أمكنك ذلك، وأما المجهور فلا يمكنك فيه.... فالمجهورة كلها يخرج صوتهن من الصدر ويجري في الحلق... أما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها... والدليل على ذلك أنك إذا أخفيت همست بهذه الحروف ولا تصل إلى ذلك في المجهور..."(2)

ويعلق 'إبراهيم أنيس' على عبارة سيبويه بقوله: "إنها تتضمن آراء قيمة في الدراسة الصوتية تتفق مع أحدث النظريات الحديثة إلى حد كبير. فسيبويه يرشدنا هنا إلى وسيلة أخرى لتمييز المهموس من المجهور وذلك عن طريق إخفاء الصوت، وأنه يمكن هذا الإخفاء في المهموسات دون أن تفقد معالمها. أما الإخفاء في المجهورات فيترتب عليه أن الحروف تضيع صفتها المميزة فلا نسمع الدال دالا حينئذ وإنما نسمع صوتا آخر هو التاء.. وكذلك يحدثنا سيبويه عمّا يسميه بصوت الصدر ويراه صفة مميزة للمجهور. ولعل هذا الصوت هو صدى الذبذبات التي تحدث في الوترين الصوتيين بالحنجرة."(3)

(1)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 21-22

(2)- السيرافي، شرح لكتاب سيبويه، دار الكتب، نقلا عن إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط3، ص:89، نقلا عن أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط6، 1988، ص: 116

(3)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط3، ص:90، نقلا عن أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص: 117

وقسم "ابن جني" الحروف إلى مجهورة ومهموسة. فالمهموسة عشرة أحرف، وهي: الهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والصاد، والتاء، والسين، والثاء، والفاء. ويجمعها في اللفظ قولك "سَتَشْحَثُكَ خَصَفة". وباقي الحروف –وهي تسعة عشر حرفاً– مجهورة."(1)

ويرى إبراهيم أنيس أن الأصوات الصامتة المجهورة في اللغة العربية كما تبرهن عليها التجارب الحديثة ثلاثة عشر:ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، ويضاف إليها كل الصوائت بما فيها الواو والياء. في حين أن الأصوات المهموسة هي اثنا عشر: ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ.(2)

فالفرق بين وصف القدماء و"إبراهيم أنيس" يكمن في الحرفين القاف والطاء؛ اللذان عدهما القدماء من الأصوات المجهورة في حين يصنفهما "إبراهيم أنيس" ضمن الأصوات المهموسة، وربما السبب في ذلك يرجع إلى بعض التطور–التغير– الذي أصابهما، "فاختلف نطق بعض الأصوات في زماننا على مستوى النطق الفصيح، عنه في زمان أولئك القدماء، الذين وصفوا ما سمعوه، وأصابوا في هذا الوصف."(3)

وكذلك "عدّ القدماء صوت الهمزة من الأصوات المجهورة، وهذا لا يتفق بحال حقيقة وضع الأوتار الصوتية حال النطق بهذا الصوت، إذ الأوتار الصوتية حينئذ تغلق أولا إغلاقا تاما لفترة قصيرة ثم تنفرج فجأة وبسرعة فيخرج الهواء محدثا انفجارا. وربما نطق العلماء العرب الهمزة متلوة بحركة فظنوها مجهورة، مع أن الجهر سببه الحركة لا الهمزة."(4) لكن "عبد الرحمن أيوب" ينتقد هذا الوصف؛ ويرى أنه غير دقيق، لأنه "بالرجوع لتعريف أنيس للجهر والهمس في الكتاب نفسه، نجد أنه يصف الجهر بأنه صوت

---

(1)– ابن جني، سر صناعة الإعراب، 60/1

(2)– ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:22

(3)– رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص:62

(4)– أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص:122

موسيقى، يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين، اهتزازا منظما. ويصف الصوت المهموس؛ بأنه الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان. ومعنى هذا أن الأوتار الصوتية إما أن تتذبذب فيحدث الجهر، أو لا تتذبذب فيحدث الهمس، ولا ثالث لهاتين الإمكانيتين. ومن ثم فإن وصف 'أنيس' للهمزة؛ بأنها ليست مجهورة ولا مهموسة وصف غير دقيق."(1)

3-5-2-2 __شدة الصوت__: صنف 'سيبويه' الأصوات أيضا إلى شديدة ورخوة، يقول: "ومن الحروف 'الشديدُ'، وهو الذي يمنع الصوتَ أن يجريَ فيه. وهو الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء."(2) وهو نفس التعريف عند 'ابن جني' الذي يقول:"أما الحروف الشديدة فهي التي يمنع الصوت أن يجري معها مثل القاف والطاء، فلا يمكنك أن تمد صوتك فيها في قولك الحق والشط مثلا، وهذه الحروف هي:أ، ق، ك، ج، ط، د، ت، ب ويجمعها قولك (أجدك طبقت)."(3)

ويعرف 'إبراهيم أنيس' شدة الصوت بقوله: "عندما تلتقي الشفتان التقاءً محكماً ينحبس عندهما مجرى النفس المندفع من الرئتين لحظة من الزمن، بعدها تنفصل الشفتان انفصالا فجائياً، يحدث النفس المنحبس صوتاً انفجارياً، هو ما نرمز إليه في الكتابة بحرف الباء، فهذا النوع من الأصوات الانفجارية هو ما اصطلح القدماء على تسميته بالصوت الشديد وما يسميه المحدثون انفجاريا."(4)

ويرى أن الأصوات العربية الشديدة كما تؤديها التجارب الحديثة هي: ب، ت، د، ط، ض، ك، ق، جيم القاهرية، أما الجيم العربية الفصيحة فيختلط صوتها الانفجاري بنوع من الحفيف يقلل من شدتها،

---

(1)- أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب، القاهرة، 1968، ص:183 الهامش2، نقلا عن رمضان عبد التراب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص: 57

(2)- سيبويه، الكتاب، 434/4

(3)- ابن جني، سر صناعة الإعراب، 61/1

(4)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 24

وهو ما يسميه القدماء بتعطيش الجيم.[1] مما سبق نلحظ أنه أغفل ذكر الهمزة بين الأصوات الشديدة، وأضاف الضاد لها، ويوضح أن الفرق "بين وصف الضاد عند 'سيبويه' وبين الضاد الحديثة، ليس هذا نتيجة خطأ من سيبويه في الوصف، وإنما نتيجة التطور الذي لحق هذا الصوت،"[2] لأن "الضاد الأصلية كما وصفت في كتب القراءات أقل شدة مما ننطق بها الآن."[3]

ويشرح 'إبراهيم أنيس' عملية حدوث الصوت الشديد بأن يُحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً في موضع من المواضع، مما ينتج عنه ضغط الهواء، ثم يُطلق سراح المجرى الهوائي فجأةً، ويندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً، أما الصوت الرخو فيكون مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع، بحيث يحدث للهواء عند خروجه احتكاكٌ مسموعٌ.[4] وهو التفسير نفسه الذي أعطاه أغلب اللسانيين المعاصرين فيما بعد. [5]

3-5-2-3 __رخاوة الصوت:__

الأصوات الرخوة عند 'سيبويه' هي التي يجري فيها الصوت، وهي الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء. [6]

ويصفها 'إبراهيم أنيس' بقوله: "فعند النطق بها لا ينحبس الهواء انحباسا محكما، وإنما يكتفي بأن يكون مجراه ضيقاً، ويترتب على ضيق المجرى أن النفس في أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعا من الصفير أو الحفيف، تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى... وكل صوت يصدر بهذه الوسيلة اصطلح

(1)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 25
(2)- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص:122
(3)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:52
(4)- ينظر المصدر نفسه، ص: 24-26
(5)- ينظر محمود السعران، علم اللغة، ص:166-187، ينظر تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص:91-97
(6)- ينظر سيبويه، الكتاب، 4/434-435

القدماء على تسميته بالصوت الرخو. وهذه الأصوات يسميها المحدثون بالأصوات الاحتكاكية."[1] وهي مرتبة حسب نسبة رخاوتها كما تبرهن عليها التجارب الحديثة: س، ز، ص، ش، ذ، ث، ظ، ف، هـ،ح، خ،غ .[2]

4-2-5-3 <u>الأصوات المائعة -المتوسطة- 'Liquide'</u>: بمعنى أنها ليست شديدةً ولا رخوةً، وهي ثمانية:" الألف، والعين، والياء، واللام، والنون، والراء، والميم، والواو، ويجمعها في اللفظ 'لم يَرْوِ عَنّا'، وإن شئت قلت: 'لم يُرَوِّعْنا'، وإن شئت قلت 'لم يَرْعَوْنا'."[3]

ويُفسِّر القدماء هذا المصطلح بأنه لا يعني أكثر من أنها تخالف النوعين الشديدة والرخوة.[4]

ويرفض 'كمال بشر' هذا التفسير، معتلاً بأنها ليست كذلك، بل هي نوع مستقل، فالتوسُّط عنده لا يعني أنها ليست شديدةً ولا رخوةً، كما قال بهذا 'إبراهيم أنيس'، إنما المقصود به أنها أصواتٌ متوسطةٌ بين الصامتة بعامة والصائتة 'الحركات'، وقد أطلق على الأصوات المختصة بهذا المصطلح اسم 'أشباه الحركات' لأنها تتسم بخواصّ الصوامت، وفي الوقت نفسه لها شَبَهٌ بالحركات.[5]

وربما تسمية هذه الأصوات بـ'التي ليست شديدة ولا رخوة' هو الأنسب على الرغم من طول التسمية، وهي أفضل من مصطلح 'إبراهيم أنيس' وكذلك من مصطلحات عدة ظهرت بعده منها: الأصوات المستمرة أو الأصوات المتوسطة.[6] وقد حدد 'إبراهيم أنيس' الأصوات المتوسطة بقوله: "المحدثون من علماء الأصوات قد برهنوا بتجاربهم على أن الأصوات المتوسطة هي: اللام والنون والميم والراء، وقد زاد القدماء على هذه الأصوات الأربعة صوت العين، فعدوها صوتا متوسطا أيضاً، ولقلة

(1)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 25

(2)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 26

(3)- ينظر ابن جني، سر صناعة الإعراب، 61/1

(4)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:26

(5)- كمال بشر، علم اللغة العام الأصوات، ص: 99 و131-132

(6)- ينظر تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص:104

التجارب الحديثة التي أجريت على أصوات الحلق لا نستطيع أن نرجح صحة هذه الصفة 'للعين' بل نتركها لتجارب المستقبل لتبرهن عليها."[1]

حوصلة: في ضوء ما تقدم نستطيع القول إن الوصف الصوتي الذي ذكره القدماء يتفق في معظمه مع نتائج البحوث الصوتية الحديثة التي توصل إليها 'إبراهيم أنيس'، مع اختلاف في بعض المفاهيم والمصطلحات، ومن ثَمَّ فإن دراسته في هذا الجانب تمثَّلت بشكل رئيس في البرهنة على صحة دراسة القدماء للأصوات، وإثبات ذلك بالطرق العلمية، وهذا ما سيوضحه الجدول التالي:[2]

الصوت	صفاته حسب 'إبراهيم أنيس'	موافق أو مخالف لوصف القدماء
الباء	صوت شديد مجهور	موافق لوصف القدماء
الميم	صوت مجهور متوسط	موافق لوصف القدماء
الفاء	صوت رخو مهموس	موافق لوصف القدماء
الذال	صوت رخو مجهور	موافق لوصف القدماء
الثاء	صوت رخو مهموس	موافق لوصف القدماء
الظاء	صوت مجهور، وهو أحد حروف الإطباق	موافق لوصف القدماء
الدال	صوت شديد مجهور	موافق لوصف القدماء
الضاد	صوت شديد مجهور، وهي أحد حروف الإطباق	مخالف لوصف القدماء فهو أقل شدة في وصف الخليل له
التاء	صوت شديد مهموس	موافق لوصف القدماء

(1)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:26

(2)- ينظر المصدر نفسه، ص: 47-77

الطاء	صوت شديد مهموس، وهو أحد حروف الإطباق	مخالف لوصف القدماء، لأن الطاء القديمة مجهورة.
اللام	صوت مجهور متوسط	موافق لوصف القدماء
الراء	صوت مجهور متوسط	موافق لوصف القدماء
النون	صوت مجهور متوسط	موافق لوصف القدماء
الميم	صوت مجهور متوسط	موافق لوصف القدماء
السين	صوت رخو مهموس	موافق لوصف القدماء
الزاي	صوت رخو مجهور	موافق لوصف القدماء
الصاد	صوت رخو مهموس، وهو أحد حروف الإطباق	موافق لوصف القدماء
الشين	صوت رخو مهموس	موافق لوصف القدماء
الجيم العربية الفصيحة	صوت شديد مجهور	موافق لوصف القدماء
الكاف	صوت شديد مهموس	موافق لوصف القدماء
القاف	صوت شديد مهموس	مخالف لوصف القدماء، لأن القاف القديمة مجهورة.
الغين	صوت رخو مجهور	موافق لوصف القدماء
الخاء	صوت رخو مهموس	موافق لوصف القدماء
العين	صوت مجهور متوسط	موافق لوصف القدماء، في توسطه بين الشدة والرخاوة
الحاء	صوت مهموس متوسط	موافق لوصف القدماء
الهاء	صوت رخو مهموس	موافق لوصف القدماء
الهمزة	صوت شديد لا هو مجهور ولا مهموس	موافق لوصف القدماء في الشدّة، لكنها مجهورة حسبهم

3-6 **الصوائت:** أطلق 'إبراهيم أنيس' مقولة مفادها أن علماء العربية لم يولوا دراسة المصوتات أية عناية، وان إشارتهم إليها كانت عابرة ، وفي الوقت نفسه يلتمس لهم عذرا؛ هو افتقارهم لما يستخدمه المحدثون من مختبرات صوتية وأجهزة متطورة، ومن ذلك قوله:"أصوات اللين مع أنها عنصر رئيسي في اللغات، ومع إنها أكثر شيوعا فيها، لم يعن بها المتقدمون من علماء العربية، فقد كانت الإشارة إليها دائما سطحية، لا على أنها مع بنية الكلمات، بل كعرض يعرض لها، ولا يكوّن منها إلا شطرا فرعيا."(1)

وأبقى اللسانيون العرب على نظرة القدماء إلي الصوائت "كونها ثلاث حركات أساسية هي الفتحة، والضمة، والكسرة، وهي الحركات القصيرة، أما الحركات الطويلة، فتتضمنها حروف المد 'الألف المدية، والواو المدية، والياء المدية'، والحركات القصيرة تختلف عن الحركات الطويلة في المدة الزمنية أو ما سمّوه بالكمية."(2)

3-6-1 **أشباه الصوائت*:** أول من طرق موضوع معالجة أشباه الصوائت ضمن الصوائت هو "الدكتور 'إبراهيم أنيس' في كتابه 'الأصوات اللغوية'(3)، وفيه يسير في اتجاه من يعالجون أشباه الصوائت ضمن الصوائت، مع إفراد الواو والياء بعنوان خاص، لأنهما 'يستحقان دائما أن يعالجا علاجا خاصا'، ويسميهما 'أشباه أصوات اللين'، مقارنا بينهما وبين الضمة والكسرة، دون تعريف هذا المفهوم تعريفا علميا دقيقا."(4)

---

(1)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:38

(2)- ينظر المصدر نفسه، ص:39-40

* يطلق عليها إبراهيم أنيس في مصنفه الأصوات اللغوية اسم أشباه أصوات اللين، ص:44

(3)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:44

(4)- محمد أمنزوي، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى دراسة صوتية إحصائية، دار وليلي للطباعة والنشر، مراكش، المغرب، ط1، 2000، ص:115

تناول اللسانيون اللاحقون بعد 'إبراهيم أنيس' الواو والياء ضمن الصوامت وقارنوا بينهما وبين الضمة والكسرة، كما فعل 'إبراهيم أنيس'[(1)]، لكن بعضهم قدم تعاريف مختصرة لمفهوم شبه الصائت، مع اختلافهم في ترجمة المصطلح كما سيأتي، فنجد عند 'محمود السعران' مثلا أن أشباه الصوائت 'صوائت انزلاقية يحدث فيها أن تبدأ الأعضاء بتكوين صائت ضيق (كالكسرة مثلا) ثم تنتقل بسرعة إلى صائت آخر أشد بروزا'[(2)]، وعند الطيب البكوش أنها 'حركات بسيطة أو مركبة تقوم بدور الحروف أحيانا، ونجد منها في العربية نوعين هما الواو والياء الصحيحتين.'[(3)]

وكما سبق الذكر أن الصوائت تتميز عن الصوامت بخاصية الوضوح السمعي، فإننا نجد أصواتاً لغوية لا يمكن تصنيفها لا مع الصوائت ولا مع الصوامت؛ إلا أنها أقرب إلى الأولى منها إلى الثانية، إذ لا تعد صوامت لأنها تحمل خاصية الوضوح السمعي، ولا تعد صوائت لأن نسبة الوضوح السمعي فيها أقل بكثير من نسبتها في الصوائت؛ لذلك أطلق البحث الصوتي على بعض هذه الأصوات مصطلح أشباه الصوائت وعلى بعضها أصناف الصوائت.

تناول إبراهيم أنيس' الواو والياء' تحت عنوان 'أشباه الصوائت'– أشباه أصوات اللين –، فذكر أنهما صوتان "يستحقان أن يعالجا علاجا خاصا، لأن موضع اللسان معهما قريب الشبه بموضعه مع أصوات اللين –الصوائت–؛ ومع هذا فقد دلت التجارب الدقيقة على أننا نسمع لهما نوعا ضعيفا من الحفيف"[(4)]، ثم قارن بينهما وبين الضمة والكسرة من حيث موضع النطق ونوعه، فذكر أن موضع نطق الواو والياء هو موضع نطق الضمة والكسرة تقريبا، "غير أن الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى حين

(1)– ينظر تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص:108–109 وينظر محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص:179 إلى 181

(2)– ينظر محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص:179–180

(3)– ينظر الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص:53

(4)– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:44

النطق بالياء يكون أضيق منه في حالة النطق بصوت اللين (i) ...وكذلك الواو لا فرق بينها وبين الضمة (u) إلا في أن الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك في حالة النطق بالواو أضيق منه في حالة النطق بالضمة"[(1)]، ثم يستخلص أن كلا من الواو والياء صوت انتقالي لأنهما تتكونان من موضعي الضمة والكسرة ثم تنتقلان إلى مواضع صوائت أخرى، ولهذا ولقصرهما وقلة وضوحهما السمعي قياسا على الصوائت "أمكن أن يعدا من الأصوات الساكنة – الصوامت–"[(2)]، ثم بين وجوه النقص في وصف القدماء لمخرج الواو؛ فهو "ليس الشفتين كما ظن القدماء، وإنما هو أقصى اللسان حين يلتقي بأقصى الحنك،"[(3)] وأشار إلى صحة موقف القدماء من مخرج الياء؛ فمخرج الياء كما تحققه التجارب الحديثة، ينطبق إلى حد كبير على وصف القدماء له."[(4)]

ولم يضف "اللسانيون العرب المعاصرون على العموم شيئا جديدا إلى وصف 'إبراهيم أنيس' للياء والواو"[(5)]، وإنما أبقوا على وصفه لهما. [(6)]

2-6-3 **تقسيم الصوائت وتصنيفها**: يوجد في العربية ثلاثة صوائت هي: الفتحة، والضمة، والكسرة، تتفرع فونيمياً إلى الألف، والواو، والياء، وهناك صور صوتية أخرى 'ألوفونات' لفونيمات الصوائت الثلاثة المذكورة، كألف الإمالة، وألف التفخيم، والضمة المشوبة بالكسرة، والكسرة المشوبة بالضمة، وحركتي الإشمام والروم، وهي أثر من آثار لهجات القبائل العربية.[(7)]

(1)– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:44

(2)– المصدر نفسه، ص:45

(3)– المصدر نفسه، ص:45

(4)– المصدر نفسه، ص:45

(5)– محمد أمنزوي، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى دراسة صوتية إحصائية، ص:115

(6)– ينظر محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص:180، وينظر أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص:330

(7)– ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 40-44

3-7 <u>التغيرات الصوتية</u>: يطرأ على الأصوات اللغوية تبدلاتٌ عديدة، منها ما هو داخل الأصوات المعزولة، ومنها ما يقع حال تركب بعضها مع بعض في الكلمة الصوتية(1). ومن أبرز مظاهر التغيرات الصوتية التركيبية ظاهرتي: المماثلة والمخالفة.

3-6-1 ظاهرة المماثلة:Assimilation

حينما يتجاور صوتان صامتان أو صائتان في الوحدة الكلامية، فإن أحدهما وفق سياقات صوتية معينة يؤثر أو يتأثر بالآخر تأثراً تختلف نسبته من صورة لأخرى؛ بُغْيَةَ تحقيق الانسجام الصوتي والاقتصاد في الجهد العضلي، وهذا ما يُعرف بالمماثلة أو التماثل.

ولقد فطن القراء العرب منذ القدم لهذه الظاهرة، "وخشوا أن يصيب النطق القرآني شيئاً من التغير الصوتي، فعنوا بوصف كل صوت عربي وصفاً دقيقاً، واستنكروا ما شاع في لهجات الكلام من انحراف عن النطق الصحيح للصوت العربي."(2) وتناولوا –القدماء– هذه الظاهرة "تحت مسمَّى المضارعة(3)، والتقريب(4)، والإدغام، والإمالة، ويُعَدُّ الخليل وسيبويه وابن جني، ... ممن قدموا دراسات دقيقةً عن هذه الظاهرة، وتوصلوا فيها إلى نتائج تناظر ما وصلت إليه الدراسات اللسانية الحديثة."(5)

أما عن المحدثين فيُعد 'إبراهيم أنيس' "أول من تناول هذه الظاهرة دراسةً علميةً دقيقةً، وكشف عن مفهومها، وصورها المتعددة، من إدغام، وإقلاب، وإخفاء، وإبدال، وإمالة، بل تُعَدُّ هذه الدراسة فاتحةً

(1)– يُطلق على النوع الأول مصطلح 'التغيرات التأريخية أو المطلقة'؛ وهي تلك التغيرات التي تحدث على مرّ التأريخ اللغوي، دون أن تكون مشروطةً بمواقع صوتيةٍ محددة، وعلى النوع الثاني 'التغيرات التركيبية أو المقيدة'؛ وهي تلك التغيرات الناتجة جراء التقاء الأصوات في سياقات صوتية معينة، ينظر جوزيف فندريس، اللغة، ترجمة:عبد الحميد الدواخلي/محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950، ص:62–82، وينظر أيضا، رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي بالقاهرة/دار الرافعي بالرياض، 1981، ص:17–46

(2)– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 107

(3)– تسمية أطلقها سيبويه في الكتاب، 4/477–478

(4)– تسمية أطلقها ابن جني في الخصائص، 2/146

(5)– عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:118

للدراسات اللاحقة التي تعرضت لهذه الظاهرة، وقلَّما تجد من يتناولها دون أن تكون دراسة الدكتور 'أنيس' مصدراً رئيسياً لا يُستغنى عنه."(1)

ويقول عن ظاهرة المماثلة: "تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام. فحين ينطق المرء بلغته نطقاً طبيعيا لا تكلف فيه، نلحظ أن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في البعض الآخر،... على أن نسبة التأثر تختلف من صوت إلى آخر."(2) ومن ذلك تفخيم 'الباء' إذا كان بعدها صوت مفخم نحو 'بطل'، وكذلك تميل 'الجيم' الساكنة إلى قلبها 'شينا' إذا تلاها صوت مهموس كما في 'اجتمعوا'، بالإضافة إلى الإدغام الذي يدخل في المماثلة الصوتية؛ والذي يترتب على تجاوز صوتين متجانسين أو متقاربين، وأن أحدهما يفنى في الآخر.(3) ومن أمثلة الإدغام في الآيات القرآنية التي يجوز فيها ذلك، فقد روت كتب القراءات أن صوت 'الباء' يجوز إدغامه في الميم والفاء، مثل:

﴿ **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ <u>ٱرْكَب مَّعَنَا</u> وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾ [هود: 42]

ومثل ﴿ **وَإِن <u>تَعْجَبْ فَعَجَبٌ</u> قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ** ﴾ [الرعد: 5]

"أما إدغام الباء في الميم فيبرره من الناحية الصوتية أن الشفتين هما مخرج كل منهما، وأنه لا فرق بين الباء والميم إلا في أن الهواء مع الأولى يتخذ مجراه من الفم، ومع الثانية يتخذ مجراه من الأنف،

(1)- عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:119

(2)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:106

(3)- ينظر المصدر نفسه، ص:108-115

فعملية الإدغام هنا هي مجرد انتقال الصوت الأول من بين أصوات الفم، إلى نظير له بين أصوات الأنف."[1]

2-6-3 ظاهرة المخالفة:Dissimilation

هي ظاهرة صوتية تسير في الاتجاه المعاكس لظاهرة المماثلة، فهي تهدف إلى التباعد بين المتماثلين في حين أن التماثل يهدف إلى التقارب بين المتباعدين، وإن كانا جميعاً يسعيان لتحقيق مبدأ واحد هو طلب الخفة، أو ما يُعرف بنظرية السهولة والتيسير.

وقد عالجها القدماء تحت "اسم كراهية التضعيف، وكراهية اجتماع حرفين من جنس واحد، واستثقال المثلين، كما في نحو 'تَظَنَّيْتُ' بدلاً من 'تَظَنَّنْتُ' و'تَقصَّيْتُ' بدلاً من تَقَصَّصْتُ""[2]، فقد أشار إليها 'سيبويه' في باب سماه 'باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد'[3] إلا أنها لم تنل منهم تلك العناية التي لقيتها ظاهرة المماثلة، واضطرب تفسيرهم لها،[4] ولعلّ ذلك راجع إلى أنها "تحدث بصورة أقلّ من حدوث المماثلة."[5]

أما 'إبراهيم أنيس' فقد تناول ظاهرة المخالفة، معتبراً إياها من باب التطور-التغير- التأريخي للأصوات،[6] وهذه الملاحظة في نظر الدرس اللساني الحديث صحيحة، لكنه لم يذكر ذلك عند حديثه عن المماثلة، على الرغم من أنهما ظاهرتان صوتيتان تركيبيتان، مما قد يُفهم منه أن المماثلة ليست تطوراً تأريخياً للأصوات؛ وكلُّ هذا يوحي بأن هناك تداخلاً بين علم الأصوات التأريخي وعلم الأصوات

(1)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:118

(2)- عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:120

(3)- ينظر سيبويه، الكتاب، 424/4

(4)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 139

(5)- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص:384

(6)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 135-139

الوصفي، بل إنه من 'الصعب الفصل بين هذين العلمين في المجال التطبيقي العملي.'[1] وبصفة عامة، فإن "التغيرات الصوتية بنوعيها تندرج تحت مسمى علم اللغة التأريخي."[2]

وجمع 'إبراهيم أنيس' عشرات الأمثلة، "فيها معتل العين أو اللام يشترك في المعنى مع مضعف من نفس المادة. ويظهر أن الأصل في كل هذه الأمثلة هو التضعيف، ثم سهل مع تطور الزمن بالاستعاضة عن أحد الصوتين المدغمين بالياء أو الواو لخفتهما."[3] ومثال ذلك ما يلي:

المحّ: صفرة البيض، والماح صفرة البيض.

عسَّ: طاف بالليل، والعوس الطوفان بالليل.

قيراط: أصلها قرَّاط، ودينار: أصلها دنَّار... [4]

4-التوجه الحداثي عند 'إبراهيم أنيس' في مصنفه:

جمع 'إبراهيم أنيس' في فكره اللساني بين التوجه التراثي كما سبق التفصيل فيه، وبين توجه حداثي بسبب رؤيته لمناهج جديدة في الغرب، ولأنه قرأ بحوثًا لعلماء في لغاتهم القديمة والحديثة، واطلع على محاولاتهم في تفسير الظواهر اللغوية على هُدىً من نظائرها في اللغات المختلفة، فأضاف ذلك علمًا إلى علمه، قال في هذا الشأن: "فلما كان العصر الحديث واتصلت ثقافتنا بثقافات أوربا، ورأينا لعلماء اللغات فيها تلك التجارب الصوتية التي يُخيل للناظر إليها أنها نوع من السحر،"[5] وأنضجت هذه الدراسات تفكيره وأثْرَت منهجه، دون أن تطغى هذه المناهج الجديدة على عقله أو تجعله ينقل حاكيًا مرددا دون فهم

(1)- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص: 137

(2)- عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:121

(3)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 140

(4)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 141

(5)- المصدر نفسه، ص: 4

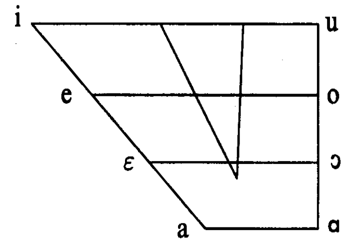
وبصيرة، وإنما كان يأخذ ويختار عن بينة واقتناع. ومن مظاهر توظيفه الحداثي لما نقله من الغرب وإسقاطه على اللغة العربية ما يلي:

4-1 الصوائت المعيارية:

سُمِّيت بذلك نسبةً إلى "المعيار 'المقياس' الذي يُحتكم إليه عند التطبيق، وقد وضعها 'دانيال جونز' 'Daniel Jones'(1881-1967م)، الأستاذ بجامعة لندن، معتمداً في ذلك على الناحية الفسيولوجية، وهي وضعية اللسان من حيث ارتفاعه وانخفاضه أثناء النطق، ومن حيث عمل الجزء الأمامي والخلفي منه، ووضعية الشفتين من حيث انفراجهما، أو ضمّهما، أو حيادهما، واستطاع 'جونز' في ضوء هذه الاعتبارات، وبعد تجارب صوتية دقيقة، وضع ثمانية معايير*، ومعيار تاسع يحيط به الغموض؛ لعدم إمكانية تحديد الجزء الذي يرتفع أو ينخفض من اللسان، وأصبحت هذه المعايير بمثابة مقاييس دولية ثابتة، عدداً، وترتيباً، ورموزاً، وطريقة كتابة، تصلح للتطبيق على كلِّ اللغات."[1]

---

*رسم 'دانيال جونز'-وهو عالم بريطاني متخصص في الصوتيات كان رئيسا لقسم الأصوات بكلية لندن- هذه الحركات المعيارية أو تلك المقاييس في شكل بيضاوي، تشبيهاً لذلك بشكل اللسان في الفم، وتيسيراً للفهم والتصور رسمت في شكل أضلاع أربعة: علوي، وسفلي، وأمامي، وخلفي، ولذا أطلق عليه 'مربع دانيال جونز'، وأعطى كل مقياس رمزاً خاصاً ورقما معينا كما في الشكل التالي:



نقلا عن عبد العزيز أحمد علام/عبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1، 2009، ص:233-234

(1)-عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:127

والملاحظ أن 'إبراهيم أنيس' اكتفى بالمقاييس الثمانية ولم يذكر المقياس التاسع،[1] ونقل هذه الحركات المعيارية كما وضعها 'دانيال جونز'، ولكنه لم يكتف بمجرد النقل، بل قرن ذلك بتطبيق الحركات العربية عليها، وذلك على النحو التالي:

المقياس الأول: ويرمز له بالرمز 'i' وهو صوت يتم حدوثه بارتفاع مقدم اللسان إلى الحنك الأعلى بأقصى مايمكن، بشرط ألا يُحدث الهواء الخارج حفيفاً مسموعاً كالذي نسمعه من الأصوات الرخوة، وتكون الشفتان في حالة انفراج كامل أثناء النطق بهذه الحركة ويقابل الياء؛ وهي الكسرة الرقيقة في اللغة العربية. والفرق بينهما –بين الياء و'i'– هو أن موضع اللسان مع الأولى أقرب إلى الحنك الأعلى، والفراغ الذي بين اللسان والحنك معها أضيق منه في حالة 'i'، ويترتب عن هذا أننا نسمع بعض الحفيف مع 'الياء'. [2]

ومن المُلاحظات على دراسة 'إبراهيم أنيس' للحركات المعيارية:

1- الأمثلة التي أوردها لتطبيق الحركات العربية على الحركات المعيارية، جاءت خليطاً من العربية الفصحى، ومن نطق القرَّاء، ومن اللهجات المعاصرة. [3]

2- "لم يُفرق بين 'الفونيم' و'الألوفون' حين توزيع الصوائت العربية على الحركات المعيارية، فالفتحة المفخَّمة، والألف الممالة، والكسرة المفخَّمة، والضمة المفخَّمة...، كلُّ ذلك يُعَدُّ صوراً صوتيةً 'ألوفونات' لوحدة صوتية واحدة 'فونيم'."[4]

ويرى 'إبراهيم أنيس'أن الحركات مجهورة كلَّها؛ وهي من الصفات الخاصة التي تشترك فيها.[5]

---

(1)– ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 36

(2)– ينظر المصدر نفسه، ص: 33

(3)– ينظر المصدر نفسه، ص: 40-44

(4)– عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:130

(5)– ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص:37

4-2 <u>المقطع الصوتي</u>: يُعد من الوسائل التي يمكن عن طريقها تحديد معالم الكلمة، يقول 'إبراهيم أنيس':"يحتاج الباحث إلى تقسيم الكلام المتصل إلى مقاطع صوتية، عليها تبنى في بعض الأحيان الأوزان الشعرية، وبها يعرف نسج الكلمة في لغة من اللغات."[1]

و حسب الدكتور 'إبراهيم أنيس'، فإن بنية المقاطع المستعملة في اللغة العربية هي:

مقطع مفتوح:

1- صوت ساكن* + صوت لين** قصير

2- صوت ساكن + صوت لين طويل

مقطع مغلق:

3- صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن

4- صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن

5- صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان

ويحدد الأنواع الثلاثة الأولى من المقاطع العربية هي الشائعة، وهي التي تكون الكثرة الغالبة من الكلام العربي. أما النوعان الأخيران فقليلا الشيوع؛ ولا يكونان إلا في أواخر الكلمات حين الوقف.[2] وهي خاصة باللهجات.

وقد أضاف "الدكتور 'أحمد مختار عمر' مقطعاً آخر هو صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت لين طويل + صوت ساكن + صوت ساكن، ومثل له بكلمة 'رادّ'."[3]

---

(1)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 87

* صوت ساكن: صوت صامت

** صوت لين: صائت، كما سبق الإشارة إلى ذلك، للتفصيل ينظر ص:81 من هذا الفصل

(2)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 92-93

(3)- ينظر كونغ إلجو الكوري، نظرية علم اللسانيات الحديث وتطبيقها على أصوات العربية، اللسان العربي، ع: 35، 1991، ص:35، ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص:69

4-3 <u>النبر</u>: اهتم اللغويون المعاصرون بدراسة النبر وصياغة قواعده في الفصحى وبعض اللهجات المعاصرة. ومن الأوائل الذين كتبوا قواعد النبر 'إبراهيم أنيس'،[1] مُتتبعاً مواضع النبر في قراءة القرآن وفي اللهجات المعاصرة.[2]

وأعطى تعريفاً فيزيائياً للنبر بقوله:"هو نشاط جميع أعضاء النطق في وقت واحد. فعند النطق بمقطع منبور، نلحظ أن جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط،"[3] ويُعرف النبر كذلك "أن مقطعاً من بين مقاطع متتابعة يعطي مزيداً من الضغط أو العلو، أو يعطي زيادة أو نقصا في نسبة التردد."[4]

يلخص حديث 'إبراهيم أنيس' على النبر وقواعده في العربية الفصحى فيما يلي:

لمعرفة مواضع النبر في الكلمة العربية، يُنظر أوّلاً إلى المقطع الأخير، فإذا كان من النوعين الرابع والخامس -كما في نستعينْ ومستقرّ-، كان هو موضع النبر وإلا نُظر إلى المقطع الذي قبل الأخير، فإذا كان من النوع الثاني أو الثالث -كما في: أخوكَ وكتبتمْ- حكمنا بأنّه موضع النبر. أمّا إذا كان من النوع الأوّل، نظر إلى ما قبله، فإن كان مثله، أي من النوع الأوّل أيضا -كما في كَتَبَ وعِنَبٌ-، كان النبر على هذا المقطع الثالث حين نعدّ من آخر الكلمة، ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعدّ من الآخر إلا في حالة واحدة، وهي أن تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النوع الأول. -كما في حَرَكَةٌ وسَمِعَهُ- هذه هي مواضع النبر، كما يلتزمها مجيدو القراءات القرآنية في القاهرة.[5]

وهناك حالة أخرى ناقشها 'إبراهيم أنيس' في فقرة سابقة ولكنه لم يذكرها في الملخّص، وهي:

---

(1)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، 97-103

(2)- ينظر المصدر نفسه، ص: 99-100

(3)- المصدر نفسه، ص: 97

(4)- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص:93

(5)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 101

"أما إذا كان من النوع الأوّل، نُظر إلى ما قبله، فإن كان مثله، أي من النوع الأول أيضاً، كان النبر على هذا المقطع الثالث حين نعدّ من آخر الكلمة، وإلا كان النبر على المقطع الثاني حين نعدّ من آخر الكلمة"[(1)]. وقد مثّل 'إبراهيم أنيس' على هذه الحالة بالمثالين التاليين: قاتَلَ ويَكْتُبُ، حيث يقع النبر على تَ وتُ على التوالي.

وهكذا يكون لديه خمس قواعد للنبر وهي:

1- يقع النبر على المقطع الأخير في الكلمة إذا كان طويلا من النوع الرابع أو الخامس.

2- يقع النبر على المقطع السابق للأخير إذا كان الأخير ليس طويلا والسابق للأخير متوسّط أو طويل.

3- يقع النبر أيضاً على المقطع السّابق للأخير إذا كان الأخير ليس طويلا، والسّابق للأخير قصيرا وكان ما قبله متوسّطاً أو طويلا.

4- يقع النبر على المقطع الثالث من آخِر الكلمة إذا كان الأخير ليس طويلا، وكان السّابق للأخير وما قبله قصيرين.

5- يقع النبر على المقطع الرابع من آخر الكلمة إذا كان الأخير ليس طويلا، والمقاطع الثلاثة السابقة له قصيرة.

لكن القاعدة الثالثة تُطبَّق في "اللهجة القاهرية وبعض اللهجات الأخرى التي تأثرت بها، ويطبّقها أصحابها علي الفصحى كذلك. أمّا اللهجات الأخرى فتختلف فيها قواعد النبر التي تتعلّق بالأمثلة التي وردت في تلك القاعدة."[(2)]

(1)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 100

(2)- داود عبده، دراسات في علم أصوات العربية، 164/1

يتصل بدراسة النبر في العربية قضية أخرى يمكن صيغتها في السؤال التالي: هل للنبر وظيفة دلالية يؤديها في اللغة العربية؟ يرى 'إبراهيم أنيس' أن النبر لا يُمثِّل فونيماً في العربية، بمعنى أنه لا يتوقف عليه تغير في الدّلالة 'المعنى'، وبعبارة أخرى لا وظيفة له مطلقاً، يوضح ذلك بقوله: "ولحسن الحظ لا تختلف معاني الكلمات العربية باختلاف موضع النبر منها."[(1)]

عكس هذا الرأي هناك من يرى أن للنبر "معنى وظيفي في الكلام، أي في معنى الجملة، وليس له تلك الوظيفة في الصيغة أو في الكلمة، ويضرب لذلك مثلاً هو 'اذكرِ الله' و'اذكري الله'، فإذا لم يُنبر على الجملتين لم يستطع السامع أن يدرك الفرق بينهما، هل الخطاب لرجل أو لامرأة؟، وهنا يقوم النبر بوظيفة إزالة اللبس، وتحديد المعنى المراد. [(2)]

أمّا موقف الوسط الذي يتأرجح بين إثبات الوظيفة للنبر في اللغة العربية ونفيها، وتبقى نظرة مطروحة للمناقشة والبحث، وليس لها صفة القطع.[(3)]

والسؤال المطروح هل وُجِدَ النبر في العربية الفصحى؟ وهل عَرِفَ علماء العربية القدامى ذلك؟

يملك 'إبراهيم أنيس' "رأيان يبدوان وكأنهما متناقضان، أحدهما ينفي فيه تعرض القدماء للنبر، مستدلاً على ذلك بعدم وجود دليل يقود إلى معرفة موضع النبر في اللغة العربية[(4)]، والآخر ينفي فيه عناية القدماء بالبحث في مواضع النبر العربي، مثبتاً في الوقت نفسه وجود إشارات منهم في ثنايا مؤلفاتهم!."[(5)]

---

(1)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 102

(2)- ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص:308

(3)- ينظر أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص:361

(4)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 99

(5)- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط3، ص:119-120، نقلا عن عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:149

لكن الحقيقة هناك ما يؤكد وجود النبر في اللغة العربية، وثبوت تناول القدماء لظاهرة النبر وإن لم يُصرِّحوا به، والدليل على ذلك[1]:

1- ما ذكره 'ابن جني' في باب مَطْل الحركات، ويُقصد به إشباع الأصوات الصائتة إشباعاً ينشأ عنه تحول الفتحة إلى ألف، والكسرة إلى ياء، والضمة إلى واو، كما في استخدام لشاعر لكلمة 'بمنتزاح' يريد 'بمنتزح'، و'بينا' يريد 'بين'، و'الصياريف' بدلاً من 'الصيارف'، و'أنظور' بدلاً من 'أنظر'[2].

2- وما ذكره 'ابن منظور'* من أن النبر بالكلام والحرف هو الهمز، والهمز مثل الغمز والضغط، ومنه الهمز في الكلام لأنه يضغط[3].

وما أسماه 'سيبويه' 'الإشباع والتمطيط'[4]، وما أطلق عليه 'إبن جني' 'مطل الحركات' وما أسماه 'ابن منظور' 'الهمْز والضغط'، ليدل على إحساس علماء العربية القدامى بالنبر، وهذا ما يُحسب لهم ضمن مآثرهم في الدراسات الصوتية، ومما سبق فلقد خالف 'إبراهيم أنيس' الصواب في مسألة النبر ومعرفة العرب القدامى بها وإنما المشكلة كانت في توحيد المصطلح.

من خلال ما تقدم نستنتج أن قدامى اللغويين العرب لم يعرفوا النبر بمعنى الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة، وهذا هو وجه الاختلاف بينهم وبين 'إبراهيم أنيس'، "ولعل ذلك راجع إلى كون النبر لا يقوم

---

(1)- ينظر عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:150-151

(2)- ينظر ابن جني، الخصائص، 121/3-124

* ابن منظور: هو جمال الدين أبو الفضل محمّد بن مكرّم بن عليّ بن أحمد بن أبى القاسم بن حبقة بن منظور؛ يتّصل نَسَبُه برُوَيْفع بن ثابت الأنصاري، من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولد ابن منظور في القاهرة، وقيل في طرابلس، سنة 630هـ/1232م، وتوفّي سنة 711هـ/1311م، وقد أجمع المترجمون له على أنه كان محدثاً فقيهاً، عمل في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء بطرابلس، وعاد إلى مصر، وبها توفي، نقلا عن ابن منظور، لسان العرب، ص:7 من مقدمة المحقق.

(3)- ابن منظور، لسان العرب، 221/5 مادة(نبر)، 493/5 مادة(همز)

(4)- ينظر سيبويه، الكتاب، ص:202/4

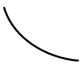
بوظيفة دلالية في العربية الفصحى، سواء أكان ذلك عن طريق الضغط أم المطل أم الإشباع. وهذا يُعد في نظر 'إبراهيم أنيس' ميزة في اللغة العربية،"[1] في قوله السابق الذكر: "ولحسن الحظ لا تختلف معاني الكلمات العربية باختلاف موضع النبر منها."[2]

4-4 التنغيم:Intonation

التنغيم في اصطلاح اللسانيين المعاصرين يعني "ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام." [3] ويُعرف أيضاً بأنه"عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين."[4]

وتنحصر التنغيمات من حيث الثبات أو التغيّر في صعودها وهبوطها في الأنواع التالية:"

1- النغمة المستوية إذا كانت ثابتة، ورمزها في الكتابة التنغيمية 'ـــــــ '

2- النغمة الصاعدة إذا اتجهت صُعُداً، ورمزها '  '

3- النغمة الهابطة إذا اتجهت نزولاً، ورمزها '  '

4- النغمة الصاعدة الهابطة إذا صعدت ثم هبطت، ورمزها '  '

5- النغمة الهابطة الصاعدة إذا هبطت ثم صعدت، ورمزها '  '"[5]

"لم يُعالج أحد من القدماء شيئا من التنغيم، ولم يعرفوا كنهه. غير أننا لانعدم عند بعضهم، الإشارة إلى بعض آثاره في الكلام، للدلالة على المعاني المختلفة، وكان 'ابن جني' أحد الذين التفتوا إلى

(1)- محمد بوعمامة، الصوت والدلالة دراسة في ضوء التراث وعلم اللغوي الحديث، التراث العربي، العدد:85، السنة:21، دمشق، سوريا، 2002، ص:21

(2)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 102

(3)- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص:198

(4)- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص:93

(5)- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص:167

ذلك،"[1] حين يقول:" وقد حُذفت الصفة ودلَّت الحال علها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سيرَ عليه ليل، وهُمْ يريدون ليل طويل، وكأن هذا إنما حُذفت فيه الصفة لما دلَّ من الحال على موضعها، وذلك أنك تُحسُّ في كلام القائل لذلك من التَّطْويح والتَّطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك، وأنت تُحسُّ هذا في نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان واللَّه رجلاً، فتزيد في قوة اللفظ بـ'الله' هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي رجلاً فاضلاً، أو شجاعاً، أو كريماً، أو نحو ذلك..." [2].

فهذا الحديث "الممتع لابن جني يدل على أنه أدرك بفكره الثاقب أن التنغيم وتعبيرات الوجه التي تصاحب قول القائل تلعب دوراً دلالياً هاماً. وأعتقد أن لا أحد ينكر بأن مصطلحات: التّطويح والتّطريح والتفخيم والتعظيم والتمطيط كلها وسائل تنغيمية تصدر عن المتكلم، وأي واحد من هذه المصطلحات يمكن أن يقابل مصطلح التنغيم في علم اللغة الحديث."[3]

ويُعَدُّ 'إبراهيم أنيس' أول من أشار لهذا الموضوع من المحدثين، مستخدماً مصطلحاً آخر له هو 'موسيقى الكلام 'Intonation'[4]، وبالرغم من أن حديثه عنه جاء مقتضباً، فله فضل الريادة في دراسة هذه الظاهرة.

وفي الأخير "يبدو أنّ سبب اتهام المستشرقين الدراسات العربية بخلوها من الجانب التنظيري لمصطلحي النبر والتنغيم اللذين ظهرا وكأنهما مرادفان، يعود إلى كثرة المصطلحات المستعملة في التعبير عن المسمى الواحد عند القدماء."[1]

(1)– رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص:106

(2)– ابن جني، الخصائص، 370/2–371

(3)– محمد بوعمامة، الصوت والدلالة دراسة في ضوء التراث وعلم اللغوي الحديث، ص:24

(4)– ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د.ط، ص: 103

5 حوصلة الفصل الثاني:

1- أدرك علماء العربية القدماء حقيقة الصوت اللغوي وخصائصه، وأثره السمعي، وأهميته في الدرس اللغوي، ووضعوا أبجدية صوتيّة للغة العربية، رتّبت أصواتها وفق أساس علمي دقيق، وهو الأساس الصوتي الذي ابتكره الخليل؛ فقد وضع أول أبجدية من هذا النوع عرفتها اللغة العربية.

2- عدم اقتصار دراسة القدماء على الجانب النظري فحسب، بل اقترنت بالجانب العلمي المتمثِّل في التشريح، فعرفوا أعضاء النطق –جهاز النطق-. وعالجوا عيوب النطق وأمراض الكلام.

3- سارت الدراسات الصوتية القديمة في مسالك شتى، فجاء بعضها توطئة للعمل المعجمي، وبعضها كان لخدمة لكتاب الله أداءً وتجويداً، وبعضها لقياس مستوى الفصاحة والبيان في الكلام العربي، وبعضها كان مقدمة لدراسة الظواهر اللغوية المختلفة، والحق أنَّ العرب قد اتَّخذوا الدّرس الصّوتي واللّغوي عامّة، وسيلة وإن كان هذا الدَّرس قد انتهى بهم إلى أن يكون غاية في حَدِّ ذاته.

4- للغويين العرب فضل تأصيل نظرية الصوت اللغوي واضطلاعهم بأعباء المصطلح الصوتي منذ القدم، ولقد كان للقدماء من علماء العربية بحوث في الأصوات اللغوية شهد المحدثون أنها جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم، وقد أرادوا بها خدمة اللغة العربية ولاسيما في الترتيل القرآني.

5- الفوناتيك والفونولوجيا فرعان يُعَدَّان من صميم الدرس اللغوي؛ الفوناتيك يُمَثِّل فرعاً ممهّداً ومدخلاً رئيساً للفونولوجيا، فلا يمكن فصلهما عن بعضهما إلا في إطار منهجية البحث العلمي في اللسانيات، وفيما سوى ذلك فهما متكاملان لأنهما يتناولان حقيقة واحدة هي الأصوات اللغوية، ولا

(1)- حيدر علي حلو الخرسان، جامعة ذي قار، كلية التربية، الضغط اللغوي وأثره في الدلالة، مجلة كلية الآداب، العدد:103، ص:5، الموقع الالكتروني:
www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=40734

يفترقان إلا في منهج اختيار تلك الحقيقة وتصنيفها. فمجال الفوناتيك هو الكلام ومجال الفونولوجيا هي اللغة.

6- استعمل 'إبراهيم أنيس' في مصنفه محل الدراسة مصطلحات تراثية، وهذا ما سبب غموض المصطلحات، فاعتماده على مصطلحات تراثية لا تتوافق مع المصطلح الأجنبي مثل استعماله مصطلحات الساكن 'Consonne' المتحرك 'Voyelle'.

7- الوصف الصوتي الذي ذكره القدماء يتفق في معظمه مع نتائج البحوث الصوتية الحديثة التي توصل إليها 'إبراهيم أنيس'، مع اختلاف في بعض المفاهيم والمصطلحات، ومن ثَمَّ فإن دراسته في هذا الجانب تمثَّلت بشكل رئيس في البرهنة على صحة دراسة القدماء للأصوات، وإثبات ذلك بالطرق العلمية.

8- إن كان علماء العربية القدامى قد عُنُوا بدراسة الفونيمات الرئيسة –الصوامت والصوائت– عنايةً بالغةً، فإن دراستهم للفونيمات الثانوية –النبر والتنغيم– لم تكن في مستوى الدراسة السابقة، وهم معذورون في هذا؛ لان الإحاطة في العلم ممتنعة، ولذا فإن دراسة 'إبراهيم أنيس' لهذه الفونيمات تُعدُّ إضافة جديدة، وهنا يتضح الجانب الحداثي والتجديدي في جوانبه النظرية الذي يُسَجَّل له؛ وإليه يرجع الفضل، وتُنسب الأسبقية.

9- كل المآخذ التي تنسب للدراسات الصوتية القديمة، لا تُقِّلل بحال من قيمتها بل هي مما يستدركه اللاحقون على السابقين، وذلك أمرٌ طبيعي، وتبقى لتلك الدراسات منزلتها ومكانتها التي اعترف بها المعاصرون، عرباً ومستشرقين وغربيين.

10- كان للاتصال الثقافي أثره في اكتشاف العرب لأنفسهم، فأخذوا يبحثون في تراثهم ليُعرّفوا العالم بمدى إسهامهم، وهذا ما أكده 'إبراهيم أنيس' في مصنفه 'الأصوات اللغوية'.

الفصل الثالث: 'دلالة الألفاظ' دراسة وصفية تحليلية

1- تعريف الدلالة
2- سبق 'دلالة الألفاظ'
3- الجانب النفسي للغة
4- نشأة اللغة
5- أنواع الدلالة عند 'إبراهيم أنيس'
6- النظريات الدلالية
7- التطور الدلالي
8- دلالة الألفاظ في المعجم
9- مشكلة الترجمة
10- حوصلة الفصل الثالث

1- تعريف الدلالة

1-1 الدلالة لغة واصطلاحا:

يقول إبن منظور:"وقَدْ دَلَّهُ على الطَّريق يَدُلُّهُ دَلاَلَةً، ودِلالَةً، ودُلولَةً، والفَتْحُ أَعْلَى*"(1)

والدلالة في الاصطلاح: "كوْنُ الشيء بحالة، يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأوّل هو الدال والثاني هو المدلول."(2)

والرابط بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي هو الاهتداء إلى السبيل ومعرفة الطريق، والتوجيهُ، ولا يكون ذلك إلّا بإشارة أو علامة، فكلاهما اهتداء إلى القصد؛ إلا أن الأول اهتداء في الأرض ومسالكها والثاني اهتداء إلى معاني الكلمات في الذهن.

1-2 الدلالة في الدراسات العربية القديمة:

لعل البحث في دلالة الألفاظ "من أهم ما لفت اللغويين العرب وأثار اهتمامهم، وتعد الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب من مباحث علم الدلالة مثل تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم، ومثل الحديث عن مجاز القرآن، ومثل التأليف في 'الوجوه والنظائر' في القرآن، ومثل إنتاج المعاجم الموضوعية ومعاجم الألفاظ. وحتى ضبط المصحف بالشكل يعد في حقيقته عملا دلاليا؛ لأن تغيير الضبط يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة، وبالتالي إلى تغيير المعنى."(3)

كان هذا العلم عند القدماء مبثوثاً في مؤلفاتهم، ولم يفرده أحد بمؤلَّف مستقل، كما هو الحال بالنسبة لعلم الصوت، والصرف، والنحو، والمعجم، "عدا ما نجده عند 'أبي حاتم

---

* الفتح أعلى قول في الأصل للجوهري (ت393هـ) في الصحاح، ينظر الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1984، 1698/4، مادة (دلل)

(1)- ابن منظور، لسان العرب، 298/11، مادة (دلل)

(2)- الشريف الجرجاني، التعريفات، مؤسسة الحسني، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص:97 -98

(3)- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998، ص:20

الرازي'(ت322هـ) وكتابه 'الزينة في الكلمات الإسلامية العربية'، الذي يُعَدُّ أول كتاب في العربية يعالج دلالة اللفظ وتطورها، ويسوق النصوص والشواهد الصحيحة التي تؤيد ما يقول، ويُرتِّبها بعض الأحيان ترتيباً تأريخياً يتبين منه القارئ أصل الدّلالة وكيف تطورت..."(1)

ومن الظاهر الاهتمام المبكر من طرف اللغويين القدماء "بالظواهر الدلالية ومسائلها، وعلى الرغم من كل هذه البحوث المتناثرة في مصادر متعدد ومتنوعة، فإن ذلك لم يصل بطبيعة الحال إلى ما يمكن أن يطلق عليه نظرية دلالية أو علم الدلالة كما يتناوله علم اللغة الحديث..، ولكن هذه البحوث تعدّ من صميم علم الدلالة، ولا يمكن إهمالها حين التأريخ له."(2)

1-3 <u>الدلالة في الدراسات العربية الحديثة</u>: علم الدّلالة عند اللسانيين المحدثين هو علم المعنى(3)، أمَّا مفهوم المعنى ذاته فهو مما تشعبَّت فيه آراء العلماء على مختلف انتماءاتهم العلمية(4)، وميدان هذا العلم هو الكلمة المفردة، والعبارة، والجملة (التركيب).

2 سبق 'دلالة الألفاظ':

لإثبات السبق 'لإبراهيم أنيس' في الدرس الدّلالي العربي الحديث، وفضل كتابه 'دلالة الألفاظ'، يسوق البحث هذه الأقوال:

---

(1)- ينظر الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تعليق: حسني بن فيض الله الهمذاني اليعبر الحرازي، دار الكتاب العربي بمصر، القاهرة، ط2، 1957، عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:369

(2)- أحمد عزوز، نشأة الدراسة الدلالية العربية وتطورها، التراث العربي، العددان:81-82، السنة:21، دمشق، سوريا، 2001، ص:183

(3)- ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص:11

(4)- ينظر ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، 1975، ص:66-68 الهامش تعليق المترجم، وينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص:24-29

للكتاب "فضل الريادة التاريخية في مجال تأليف مداخل في 'الدلالة الحديثة'، جعلت منه، منذ 1958، مرجعاً أساسياً لمن تناول من اللغويين العرب قضايا تمس دلالة الألفاظ بوجه من الوجوه."(1)

ومنها هذا القول: "ورغم كثرة ما كتب ويكتب بغير العربية في 'علم الدلالة' ومناهج دراسة المعنى من وجهة النظر اللغوية فالمكتبة اللغوية العربية فقيرة أشد الفقر في هذا النوع من الدراسات، فمنذ أن صدر كتاب المرحوم 'إبراهيم أنيس' 'دلالة الألفاظ' عام 1958 حتى الآن* لم تقدم للقارئ العربي أي دراسة علمية للمعنى بمفهومه اللغوي، تستفيد مما جدّ من نظريات، وما قدم من أبحاث، وما ظهر من نتائج."(2)

وكذلك: "تعد دراسة 'إبراهيم أنيس' لقضية المعنى في كتابه 'دلالة الألفاظ' أول دراسة مستقلة باللغة العربية لقضية الدلالة، باعتبارها الهدف المحوري والنهائي للتحليل اللغوي."(3)

وكذلك القول:"يأتي في مقدمة المؤلَّفات المعاصرة التي أفردت علم الدّلالة بمؤلَّف خاصٍّ كتاب الدكتور 'إبراهيم أنيس' 'دلالة الألفاظ'، بل إنه لَيُعَدُّ أولها دون منازع، وقد صدر سنة 1958م."(4) وإذا كان بعض الباحثين المعاصرين يرى أنه قد غاب عن هذا الكتاب تصورٌ منهجيٌّ واضحٌ في عرض المادة، وتنظيمها، ومضمونها.(5) فإن قيل أن مادة الكتاب "تشكو من نقائص واضحة في تنظيمها ومضمونها،... فهي مادة غير منسجمة ولا يضبطها ضابط منهجي دقيق، بالنظر إلى تعدد مجالاتها بين مباحث مختلفة

---

(1)- محمد غاليم، عن البحث الدّلالي العربي، ضمن ندوة أعمال: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص:117

* تاريخ هذا القول هو تاريخ صدور الطبعة الأولى لكتاب 'علم الدلالة' لأحمد مختار عمر وهو سنة 1985.

(2)- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص:6 المقدمة

(3)- أحمد عبد العزيز دراج، الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، ص:143

(4)- عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:370

(5)- ينظر محمد غاليم، عن البحث الدّلالي العربي، ص:117

ومتنوعة لا يبين المؤلف الرابط الواضح بينها، فهي تنتمي إلى تاريخ الأفكار اللغوية، واللغويات العامة، وأصول بعض نظريات المعنى، وجوانب من علم النفس واللغويات التطبيقية، واكتساب اللغة، وعلم اللغة التاريخي،... والمعجم. ويبقى المأخذ الرئيسي يكمن في غياب تصور منهجي واضح في عرض المادة العلمية."(1) فإن عذره–إبراهيم أنيس– في ذلك أن الكتاب مُحاولةٌ أولى لتقريب هذا العلم إلى ذهن القارئ العربي، فشعور مؤلفه أنه يسلك طريقاً جديداً في التفكير اللغوي العربي حال دون "أن يخوض في تفاصيل دقيقة قد تَحُولُ دون تقدم الإطار العام لهذا الفكر الجديد."(2)

3 الجانب النفسي للغة:

صرَّح 'إبراهيم أنيس' أنّ معالجته لدلالة الألفاظ –وإن كان قد تناولها علماء النفس على ضوء الظواهر النفسية– "سيسلك فيها مسلك اللغويين"(3)، وهو حينما يُقرِّر هذا المنهج لا يُقلل من شأن العوامل الخارجية في التحليل اللغوي، كالجانب النفسي والاجتماعي، ذات الأثر الواضح في دلالة الألفاظ، بل إنه لَيعترف بالقيمة العلمية لأبحاث كلٍّ من 'أوجدن' (Ogden) و'ريتشارد' (Richards) في الدّلالة، وهما من علماء النفس، يقول: "ولما كان العام 1923 ظهر كتاب 'The Meaning of Meaning' لمؤلفيه 'Ogden' و'Richard'، وفيه يعالج المؤلفان مشاكل الدلالة من نواحيها المتعددة المعقدة، ويبحثانها في ضوء النظم الاجتماعية وفي ضوء علم النفس من شعور وعاطفة، مما جعل لكتابهما قيمة علمية جليلة الشأن بين الدارسين لدلالة الألفاظ.(4)

(1)– محمد غاليم، عن البحث الدّلالي العربي، ص:117
(2)– حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص:162
(3)– إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:7
(4)– المصدر نفسه، ص:8

ويبدو أن 'إبراهيم أنيس' في الوقت الذي يعترف فيه بأهمية الظواهر النفسية في تفسير بعض القضايا اللغوية، فإنه لا يدعو إلى الأخذ بها على عمومها، بل في إطار لغوي صرف.

3-1 **اللغة والفكر:**

شغل هذا الموضوع طوائف من العلماء، كالمناطقة، والفلاسفة، وعلماء النفس، والاجتماع، والأدب، واللغويين. وقد ذكر 'فندريس'(Vendryes) أنَّ هذه المسألة "وإن كانت مسألة سيكولوجية قبل كل شيء، فلا يُسوغ للعالم اللغوي أن يُهملها بأية حال."[1] والأسئلة التي تطرح في هذا المقام هي: هل هناك فكرٌ بدون لغة 'رموز لغوية'؟، وهل الفكر واللغة وجهان لعملية نفسية واحدة؟ وإذا كان هناك فكر ولغة فأيهما سابق للآخر؟ وأيُّهما أكثر تأثيراً على الآخر؟[2]

وإزاء هذا تكوَّنت نظرياتٌ ثلاثٌ هي بحسب تسلسلها التاريخي: نظرية العزل المطلق بينهما، وإنكار وجود أيّ أثر لأحدهما على الآخر، ونظرية انصهار الفكر باللغة، ونظرية استقلال الفكر استقلالاً نسبياً، مع تلاحمه العضوي بها، والأثر المتبادل بينهما.[3]

ويرى 'إبراهيم أنيس' أن إرتباط اللغة بالفكر ارتباطاً وثيقاً، بل لقد أصبح من الصعب تصور أيّ نوع من التفكير دون لغة، ويؤكد أن هذه العلاقة أصبحت حقيقيةً علميةً برهنت التجارب المتعددة على صحتها، ومما يؤكد هذا قوله: "وقد كان من الممكن أن يعبر عن هذه المعاني برموز أخرى غير صوتية كالإشارة ونحوها. ولكن الإنسان بدأ منذ أمد بعيد جدًا يتخذ من أصواته رموزاً للتعبير عما يخطر في ذهنه، واستغل في هذا ما نسميه بجهاز النطق الذي وظيفته الأصلية الطبيعية المضغ والبلع والتنفس."[4]

---

(1)- ج.فندريس، اللغة، ص:96

(2)- ينظر عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:475

(3)- ينظر نوري جعفر، اللغة والفكر، مكتبة التومي، الرباط، المغرب، 1971، ص:122-136

(4)- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:72

وكذلك قوله:" الألفاظ اصطنعها الإنسان للتعبير عما يخطر في ذهنه، غير انها اكتسبت مع الزمن صفة ليست في غيرها من الرموز الاصطلاحية، ومن المجازفة أن ينظر إلى تلك الألفاظ الآن على أنها مجرد رموز، فقد ارتبطت بالفكر الإنساني ارتباطاً وثيقاً، وأصبح من الصعب أن نتصور أي نوع من التفكير بغير هذه الألفاظ، فالإنسان يفكر بواسطة هذه الألفاظ."(1)

3-2 إكتساب اللغة:

المقصود باكتساب اللغة هو "دراسة المراحل المختلفة التي يمرُّ بها الطفل منذ لحظة الميلاد، حتى يستطيع التحكم في لغة المجتمع الذي وُلد فيه ويستعملها."(2) واكتساب اللغة قد يكون في الصِّغر، أي في مرحلة متقدمة من العمر، كما هو الحال عند الأطفال، وقد يكون في الكِبَر كما هو الشأن في تعلُّم اللغات الأجنبية. والفرق بين اكتساب اللغة وتعلمها أن "الاكتساب هو التعلم الناتج من التعرض للغة وممارستها في ظروف لا منهجية كما هو الحال في تعلم الطفل لغته الأولى أو تعلم الأجنبي اللغة عن طريق الاستعمال والاحتكاك بالناطقين بها، أما التعلم فهو ما يحدث نتيجة لمجهود منظم كما في الدراسة المنهجية للغة ما."(3)

لا بدّ من الإشارة في البداية إلى أنَّ 'إبراهيم أنيس' لم يحاول تأصيل مسألة -إكتساب اللغة- في دراسات العرب القدماء، بإيراد نصوص تدلّ على تَنَبُّهِهِم لها، وعنايتهم بها.(4)

(1)- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:72

(2)- حلمي خليل، اللغة والطفل دراسة في ضوء علم اللغة النفسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1987، ص:56

(3)- محمود إسماعيل الصيني، اللسانيات التطبيقية في العالم العربي، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص:234

(4)- ينظر تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص:78-79 وينظر هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، دار الغصون، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص:71-76

لكنه تناول هذه المسألة في مواضع متعددة، في سياق حديثه عن الأصوات اللغوية، وعن نشأة الكلام، وعن اكتساب الدّلالة ونموها، وعن كيفية إثارة الأصوات للدّلالات اللغوية في الأذهان. فمراحل نمو الطفل اللغوي عنده تتوزَّع على ثلاث مراحل هي: مرحلة الصراخ، ثم المناغاة، ثم التقليد.(1)

وهو في هذا التوزيع "يسير مع ما ارتضاه عالم اللغة الدانماركي 'جسبرسن'*(Jesperson)، ولا يختلف عنه سوى في تسمية المرحلة الثالثة وتوزيعها على فترتين، ف'جسبرسن' يُسمِّيها مرحلة الكلام، ويقسمها إلى فترتين: اللغة الصغيرة واللغة المشتركة."(2) في حين 'إبراهيم أنيس' يُسمِّيها مرحلة التقليد، دون توزيع لها.(3)

وتتبع 'إبراهيم أنيس' كيفية تطور الأصوات في هذه المراحل، والظواهر اللغوية التي تحدث لتلك الأصوات، من إبدال، وقلب، وسقوط، وتنغيم، وبتر للمقاطع، وتكرار لمقاطع متماثلة، كما تناول محاولات الطفل المتكررة لإصلاح أخطائه في نُطق الأصوات بُغْيَةَ الوصول إلى النطق الصحيح.(4)

مما سبق يتضح "أن دراسة الدكتور 'أنيس' للاكتساب اللغوي للطفل في الجانب الصوتي لا تكاد تخرج عما ذكره 'جسبرسن'، بل يبدو تأثره الواضح بذلك."(5)

ويرفض 'إبراهيم أنيس' تلك النظرة التي تربط بين نشأة اللغة عند الإنسان وتطور مراحل نمو الطفل اللغوي، ويرى أن ذلك من باب الغُلُوّ، في قوله: "ومن الواضح أن بعض هؤلاء الباحثين قد غالى في

---

(1)- ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص:142-143

* Jespersen Otto(1860-1943)

(2)- عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:484 وينظر محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، الإسكندرية، مصر، ط2، 1963، ص:48-49

(3)- عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:484

(4)- ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص:142-160

(5)- عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:484

الاعتماد على دراسة مراحل نمو اللغة عند الطفل، وتناسى الفرق الشاسع بين ظروف الأطفال الآن حين يتعلمون لغة أبويهم، والظروف التي عاش فيها الإنسان الأول في أثناء نشأة الكلام،"[1] معللاً هذا بأن هناك فرقًا شاسعاً بينهما، فالطفل مُقلِّد لمن حوله في اكتساب لغته، في حين أنَّ الإنسان مخترعٌ للغته، ولكنه يستدرك قائلاً: إنه لا مانع من الاستئناس بالمراحل الأولى لنمو الطفل اللغوي في بحث نشأة اللغة.[2]

أمّا اكتساب اللغة عند الطفل في جانبه الدّلالي، فهو موضوع "قلما تنبَّه له اللسانيون العرب؛ حيث عُنيت أغلب دراساتهم في هذا الميدان بالجانب الصوتي، وصوغ الألفاظ والكلمات والجمل"[3]، فقد تناوله 'إبراهيم أنيس' بشيء من التفصيل، وكانت نقطة البدء في دراسته هذه أنَّ الطفل تصادفه عقبات كثيرة في احتوائه دلالة الألفاظ أكثر من تلك التي تقابله في الجانب الصوتي والنحوي،[4] ويبدأ فهم الطفل لمدلول الألفاظ قبل أن يقوم بتقليد نطق تلك الألفاظ، مما يعني أنَّ الفهم لدى الطفل سابقٌ لنطقه[5]، وهذا ما قال به 'جسبرسن'[6]. أمَّا بدء مرحلة الفهم الدّلالي لديه فتتم حينما يربط بين ما يسمعه وما يترتب عليه من أحداث، ويكون هذا في السنة الأولى من عمره، ويذكر 'إبراهيم أنيس' أن البداية الأولى لإدراك الطفل للدّلالات تتمُّ بصورة غير مكتملة، مما يعني أن خصوصية الدّلالة تُدرك لدى الأطفال قبل إدراكهم لعموميتها، فالكلمة التي يسمعها الطفل لأول مرة يتلقاها وكأنها عَلَمٌ من الأعلام، لايُطلق إلا على ذلك الشيء المحدد الذي ارتبط به في تلك التجربة، ثم لا تلبث في مرحلة لاحقة أن تُعَمَّم الدّلالة لديه، بحيث

---

(1)- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:29

(2)- ينظر المصدر نفسه، ص:29-30

(3)- عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:485

(4)- ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:94

(5)- ينظر المصدر نفسه، ص:94

(6)- ينظر محمود السعران، اللغة والمجتمع، ص:29

يُطلق اسم الشيء على كلِّ ما يشبهه، كأن يُطلق لفظ أم أو أب على كل امرأة أو رجل يشابهانهما في الملبس أو الهيئة، وحتى يصل إلى الدّلالة الصحيحة فإنه يلاقي مشقة دون ذلك[1] كما ذكر الدكتور 'إبراهيم أنيس' أن إدراك المحسوسات لدى الطفل أسبق من إدراكه للمعنويات في قوله: "يجمع الباحثون في نشأة الدلالة على أنها بدأت بالمحسوسات، ثم تطورت إلى الدلالات المجردة بتطور العقل الإنساني ورقيه."[2]

ويذكر المصاعب التي يواجهها الطفل في اكتساب دلالة الألفاظ، ومنها: الألفاظ ذات الدّلالات المتقابلة أو المتضادة، والألفاظ التي تدل على أكثر من معنى 'المشترك اللفظي'، والكلمات متشابهة الأصوات، والكلمات التي تختلف دلالتها باختلاف السياق، ويذكر في هذا الصدد أن انتقال الدّلالة من مجال 'الحقيقة' إلى مجال 'المجاز' يتقبله الطفل دون غرابة أو دهشة، وبخاصة تلك المجازات التي يسهل تفسيرها، وتتضح علاقة المجاز فيها.[3] ويؤكد أهمية التجارب السابقة للأطفال، وارتباطها الوثيق بدلالات الأشياء، في قوله: "على قدر إختلاف تلك التجارب تختلف الدلالات في أذهانهم.[4] وأعطى مثالا عن إختلاف دلالة الكلب عند طفل كان عنده كلب في صغره يلاطفه ويحبه، ودلالة نفس الحيوان عند طفل آخر سبق وأن تعرض لعضة منه.

وهكذا يتضح أنَّ 'إبراهيم أنيس' أوقف دراسته للنمو اللغوي للطفل على جانبين هما: الجانب الصوتي، والدّلالي، وهما جانبان مهمان دون شك، في حين أن الجوانب التركيبية والصرفية، وتكوين

(1)- ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:91-94
(2)- المصدر نفسه، ص:161
(3)- ينظر المصدر نفسه، ص:94-98
(4)- المصدر نفسه ، ص:98

الجمل والعبارات، لم تنل منه نفس الإهتمام، ثم أنه لم يحاول تأصيل مسألة –إكتساب اللغة– في دراسات القدماء، بإيراد نصوصاً تدلّ على تَنَبُّهِهِم لها، وعنايتهم بها، بل تبنى نظرة 'جسبرسن' فقط.

4 نشأة اللغة: لم يحظ موضوع أو بحث لغوي في تاريخ الفكر الإنساني؛ ببعد النظر والتأمل والتدقيق مثل موضوع نشأة اللغة الإنسانية وأصلها. وعلى الرغم من كل ما قيل، لا يوجد قول موحد قديماً ولا حديثاً، لا عند العرب ولا عند الغرب.

فلقد "شغل القدماء بالبحث في نشوء اللغة"[1]، فعرض للموضوع ابن عباس[2](ت68هـ) ، كما عرض له في القرن الرابع أبو علي الفارسي[3](ت377هـ)، وابن جني[4](ت392هـ)، وابن فارس[5](ت395هـ) وغيرهم، وفي القرن العاشر السيوطي[6] (ت911هـ).

(1)– محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص:117

(2)– كان ابن عباس يقول:"علّمه الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارَفُها الناس من: دابة، وأرض، وسهل، وجبل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها." أمّا معنى التوقيف فهو أن منشأ اللغة إنما هو سماويّ وليس أرضياً ، أي أن الله سبحانه وتعالى قد علّم آدم –عليه السلام– اللغة قبل أن يُنزله الأرض ثم أنزله ، فعلّم آدم ذريته، وهكذا حتى انتشرت في الأرض، فمنشأ اللغة إذن من الله تعالى، وهي بهذا وقف على بني البشر، ينظر ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص:13

(3)– جوز أبو علي الفارسي الاصطلاح في نشأة اللغة، ينظر ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 41/1

(4)– يعرض 'ابن جني' لآراء علماء عصره في مسألة نشأة اللغة، فيصرح في بدء حديثه في 'باب القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح' أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف، ينظر ابن جني، الخصائص، 40/1 ثم في آخر الباب يقول: "أنني إذ تأمّلت حال هذه اللغة الشريفة، الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة ... فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفًا من الله سبحانه، وأنها وحي."، ينظر ابن جني، الخصائص، 47/1، وذكر 'إبراهيم أنيس' حيرة 'ابن جني' لعدم استطاعته ترجيح أحد الرأيين على الآخر ويصفه بقوله: "نراه حائراً متردداً لا يكاد يستقر على أمر."، ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:18

(5)– أما 'ابن فارس' فيقول إن لغة العرب توقيف، ودليله على ذلك قول الله عز وجل:(**وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ**) [البقرة: 31]، ينظر ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص:13

(6)– يذكر السيوطي أن معظم الصحابة والتابعين يذهبون مذهب اللغة توفيق من الله عز وجل، ينظر السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 27/1

ولعل علماء السلف لاحظوا قلة الجدوى هذا المبحث وهذا ما يؤكده هذا القول:"هذا موضع محوج إلى فضل تأمل."[1]

1-4 رأي 'إبراهيم أنيس' في نشأة اللغة: عرض 'إبراهيم أنيس' لنظريات نشأة اللغة، ونقد على القدماء أخذهم بالتوقيف والاصطلاح، وناقشهم في حججهم التي استندوا إليها.[2] فرأى أن القائلين "بالتوفيق يعتمدون في أكثر أدلتهم على النصوص النقلية، ويفسرونها على حسب أهوائهم ليستنبطوا منها ما يؤيد آراءهم،"[3] أما رأي أصحاب الاصطلاح فهي مجرد افتراضات لا طائل منها[4]، واستنتج 'إبراهيم أنيس' أن "علماء العرب لم يهتدوا إلى رأي يجمعون عليه، أو يرجحونه بصدد النشأة اللغوية."[5]

فقد حاول 'إبراهيم أنيس' أن يفهم الآية الكريمة: ﴿**وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ**﴾ [البقرة:31] فهماً جديداً، يساير الدرس اللساني الحديث، فذهب إلى أن الإنسان كان ينطق بطريقة مبهمة؛ لا يهدف من ورائها هدفًا معينًا، ثم تصادف أن ارتبطت هذه الأصوات بأشياء معينة فصارت 'أعلاماً' عليها. ثم يتطور العَلَمُ شيئاً فشيئاً إلى كلمة عامة، ويقول:"ولذا نرجح أن معظم الكلمات قد أخذت مدلولها بطريق المصادفة، أي أنها كانت أصواتاً مبهمة لا هدف منها سوى اللعب والمتعة، ثم تصادف أن نطق بها في أثناء حدث من الأحداث، فارتبطت به ارتباط العملية،

---

(1)- ابن جني، الخصائص، 40/1

(2)- ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:13-20

(3)- المصدر نفسه، ص:17

(4)- ينظر المصدر نفسه، ص:19-20

(5)- المصدر نفسه، ص:20

وتدرج العلم من معناه الخاص إلى معنى عام، فإذا فسرت الأسماء في الآية السابقة بمعنى الأعلام،ساير هذا التفسير أحدث ما ينادي به اللغويون في عصرنا الحاضر."(1)

ثم تناول 'إبراهيم أنيس' نظريات المحدثين*، فبدأ بنظرية محاكاة الأصوات الطبيعية، فبسطها ثم دافع عنها وعن حججها، وضعّف المطاعن الموجهة إليها، وهذا مما يدل عن ميله إليها أكثر من غيرها؛ لأن النظريات قديمها وحديثها مجرد افتراضات –حسبه–،(2) إلا أن أقرب هذه الافتراضات هي تلك التي أيدها، وهذا ما يدعم ما ذهب إليه 'الخليل'** في هذا الصدد وما ذهب إليه 'ابن جني'."(3) لكنه لم يشر لابن جني الذي كان "معجباً بهذه النظرية حتى إنه تحدث عنها في غير موضع من كتابه، وأفرد بابا سماه 'باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني' شرح فيه عدة ظواهر لغوية مما يرى فيها أن اللفظة صورة من أصوات الطبيعة، قال في بعضه "قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجُنْدُب استطالة ومدّا فقالوا: صَرَّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر. وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على

---

(1)– إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:37

* منها نظرية Bow Wow: والتي تذهب بأن الألفاظ الأولى كانت تقليداً لأصوات طبيعية، ونظرية Pooh Pooh: والتي تقول بأن اللغة الإنسانية بدأت في صورة شهقات، صدرت عن الإنسان في شكل غريزي، ونظرية Ding Dong: والتي تذهب إلى أن هناك صلة وثيقة بين ما ينطق به المرء من أصوات، وبين ما يدور في خلده من أفكار، ونظرية He Ho Yo : وملخصها أن النطق الإنساني نشأ أولا في صورة جماعية، حيث يجد الإنسان فيها لونا من المتعة والتلذذ أثناء قيامه بعمل شاق، ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:20–27

(2)– ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:27

** أوّل من نبّه إلى هذه الفكرة هو الخليل؛ ويرى أن اللغة نشأت من التأثير والمحاكاة لأصوات الطبيعة من حيوانٍ (كالصهيل والعواء والنزيب)، ومن نباتٍ (كالحفيف)، ومن أشياء أخرى في الطبيعة، ثم توسّعت وتطورت شيئا فشيئا نحو التكامل والرقي. يقول الدكتور مهدي المخزومي :"وأستطيع أن أقول مطمئناً أنه هو–الخليل– صاحب هذا الرأي بين علماء العربية، لأني لم أقف لغيره ممن سبقه على كلام فيه، ولست أزعم أن للخليل في هذا نظريةً تامة التكوين، لكني أزعم أنها كانت ماثلةً في ذهنه فكرةً لم يتمّ لها النضج بعد." ينظر مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، دار الرائد العربي، 1960، ص:86

(3)– محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص:495

الفَعَلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة نحو النَقَزان، والغليان، والغثيان. فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال."(1)

لكنه ختم كلامه في نشأة اللغة بنظرية 'جسبرسين' التي "نطمئن إليها بعض الاطمئنان، لأنها تأخذ بكل النظريات السابقة مجتمعة، وتؤسس عناصرها على أسس علمية واضحة المعالم، وخاضعة للتجربة الحديثة، فالنظريات السابقة اعتمدت على طريقة استنباطية لأنها تبدأ بالفرض، ثم تُساق لهذا الفرض الأدلة والبراهين، أما نظرية هؤلاء المحدثين فتتبع الطريقة الاستقرائية فتستعرض الملاحظات والتجارب، ثم تتكون النتيجة أيا ما كانت هذه النتيجة."(2)

مع أن ما قاله 'إبراهيم أنيس' عن أصل الكلام "لا يعدو أن يكون صورة متخيلة، لا تقوم على براهين قاطعة من التاريخ أو الحفريات أو غيرها من وسائل المعرفة الإنسانية. وما أشبه هذا الذي يتصوره الدكتور 'أنيس' بما قاله 'جوزيف فندريس'* من قبل في هذا العرض."(3) والفرق بين رأي 'إبراهيم أنيس' ورأي 'فندريس'؛ "هو أن الأول قد تصور العملية في نطاق فردي، وتجريدي، على حين ربط الثاني عناصرها ربطًا دقيقاً، حين تصور أن الذي تحكم في اللغة إنما هو: تطور مخ الإنسان، وتطور الجهاز النطقي، وتطور الحياة الاجتماعية. وهو فرض أقرب إلى الصواب والتقبل، غير أنه كسابقه لا يعدو أن يكون تصوراً شخصياً."(4)

---

(1)– عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص:88 وينظر ابن جني، الخصائص، 152/2

(2)– إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:28

(3)– عبد الصابور شاهين، في علم اللغة العام، ص:79–80، ينظر فندريس، اللغة، ص:35–36

(4)– المرجع نفسه، ص:81، ينظر فندريس، اللغة، ص:37–39

4-2 الصلة بين اللفظ ودلالته: تنبَّه علماء اللغة القدماء للمناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله، وممن صرحَّ بهذه الظاهرة 'عبّاد بن سليمان الصَّيْمري'(1)؛ فقد ذهب "إلى أنّ بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع، قال: 'وإلاّ لكان تخصيص الاسم المعيّن بالمسمى المُعيّن ترجيحاً من غير مُرجِّح.'"(2)

وقد "أثر 'عباد' في طائفة من اللغويين ظلّت تدين بهذه المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله، وربما تكلفَّ بعضهم في إظهار هذه المناسبة حتى خرجوا على طبيعة العربية نفسها ليقولوا كلمتهم في هذا الموضوع في لغات أعجمية لا نعرف على وجه التحديد مدى إجادتهم لها."(3) ويذكر السيوطي(4)؛ أن بعض من يرى رأي عباد 'سئل ما مسمى'أذغاغ'؟ وهو بالفارسية الحجر، فقال:أجد فيه يُبساً شديداً، وأراه الحجر."(5)

على أنّ 'ابن جني' يظل رائد اللغويين القدامى الذين لاحظوا هذه الظاهرة وقرروها، فهو يقول: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فبابٌ عظيم واسع، ونهجٌ مُتلئبٌ –مستقيم– عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سَمْتِ الأحداث المعبَّر بها عنها فَيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدِّره، وأضعافُ ما نستشعره ... ومن ذلك القَدّ طولاً، والقَطّ عرضاً،

---

(1)– عبّاد بن سليمان الصَّيْمري: أحد رجال الاعتزال في عصر المأمون.

(2)– السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص:47

(3)– صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص:150

(4)– السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (849–911هـ) عالم موسوعي مصري، لم يترك موضوعا من موضوعات المعرفة إلا ألفَّ فيه، وقد بلغ عدد مصنّفاته قرابة ثلاثمائة على الأقل، من أشهرها 'الإتقان في علوم القرآن'، 'بُغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنُّحاة'، و'المزهر في علوم اللغة وأنواعها'. و'تاريخ الخلفاء'، وقد تُرجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية عام 1881.

(5)– السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص:47

وذلك أن الطاء حصر للصوت وأسرعُ قطعاً له من الدال، فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض لقربه وسرعته، والدال المماطلة لما طال من الأثر، وهو قطعُهُ طولاً."(1)

أما 'إبراهيم أنيس "فقد تعرض "للاختلاف في معالجة هذه الصلة بين الطبيعيين والعرفيين في التراث اليوناني والتراث العربي، ولما نجده في هذا الأخير من اهتمام كثير من اللغويين العرب بالربط بين الألفاظ ومدلولاتها ربطًا وثيقاً، رغم أن معظمهم لا يأخذ بالرأي القائل بوجود صلة طبيعية أو ذاتية بين الألفاظ ومدلولاتها، وينتهي هذا الفصل بتتبع بعض جوانب النقاش الذي دار بين المحدثين في هذه المسألة."(2)

5 أنواع الدلالة:

للدلالة عدة أنواع، منها:

5-1 الدلالة الصوتية: تتميز دلالة أصوات اللغة العربية بدقة المخرج، ومقابلة بعض أصوات اللفظين واختلافهما في صوت واحد يؤدي إلى الاتفاق في المعنى العام للفظين، وافتراقهما في دقائق دلالة اللفظ، وقد نبه 'ابن جني' إلى هذا في 'باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني' بقوله: "خَضِمَ وقَضِمَ، فالخضم لأكل الرطب، كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقَضْم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس حَذْوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث."(3) وقد مثل 'ابن جني' للعديد من الألفاظ ليدلل على صحة كلامه.(4)

---

(1)- ابن جني، الخصائص، 2/158-159

(2)- محمد غاليم، عن البحث الدّلالي العربي، ص:113، أنظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:62-74

(3)- ابن جني، الخصائص، 2/157-158

(4)- أنظر المصدر نفسه، 2/157-165

5-2 الدلالة الصرفية: للصيغة اللغوية وبنيتها أهمية كبيرة في دلالة الألفاظ، ولقد خصص 'ابن جني' باب سماه 'باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية' وقال فيه:"اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتدّ مراعى مُؤْثَر؛ إلا أن في القوة والضعف على ثلاث مراتب: فأقواهنّ الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية..."(1)

5-3 الدلالة النحوية: ويقصد بها ما تكسبه الجملة من دلالات عن طريق القواعد النحوية القاضية بترتيب الألفاظ وفق المعنى المطلوب، فعند تغيّر ترتيب الألفاظ عن مكانها فيجب أن تعمل القرائن لكي لا تتغير المعاني، وإلا اختلف المعنى.

وقد عرض 'ابن جني' بابا 'في نقض المراتب إذا عرض هناك عارض'، بيّن فيه امتناع العرب من تقديم الفاعل على المفعول به، نحو ضرب غلامُه زيدا، وأنّ هذا التقديم لم يمتنع من حيث كان الفاعل ليس رتبته التقديم، وإنما امتنع لقرينة انضمت إليه، وهي إضافة الفاعل إلى ضمير المفعول، وفساد تقدم المضمر على مظهره لفظا ومعنى. فلهذا وجب عند تصحيح المسألة تأخير الفاعل، فيصبح ضرب زيدا غلامه.(2)

وعليه قول الله عز وجل:﴿ **وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ [البقرة: 124]

فمسألة ترتيب الجملة العربية "يحكمها الإعراب تارة وتارة أخرى المعنى، أو ما أملته شروط الجملة."(3)

---

(1)- ابن جني، الخصائص، 98/3

(2)- ينظر المصدر نفسه، 293/1-294

(3)- عبد المنعم طوعي بشناتي، دلالة الألفاظ دراسة تحليلية وتطبيقية لمفهوم وأنواع دلالة الألفاظ، جامعة الجنان، لبنان، ص:30

5-4 الدلالة المعجمية: هي الدلالة التي "وضعها الأسلاف للألفاظ المختلفة، وتكفلت بيانها قواميس اللغة حسب ما ارتضته الجماعة واصطلحت عليه، وتستعمل في الحياة اليومية بعد تعلّمها بالتلقين والسماع، والقراءة والاطلاع على آثار السابقين الأدبية شعراً ونثراً ويتطلب هذا التعلم زمنا ليس بالقصير قبل أن يسيطر المرء على لغة أبويه."(1)

5-5 أنواع الدلالة حسب 'إبراهيم أنيس':

يقول 'نعمان بوقرة': "لعلي لا أكون مبالغا إذا قلت بأنه اعتمد بشكل كلي كتاب 'بلومفيلد' (Bloomfield) الموسوم بـ:'اللغة' (Language)"(2) ودليله على ذلك إيثار 'إبراهيم أنيس' لرأي 'بلومفيلد' على رأي 'سابير' (Sapir) في مسألة تحليل الكلام إلى عناصر أو وحدات ذات دلالة، ف'سابير' يقسم الكلام إلى مجموعات صوتية منها ما ينطبق على الكلمة، ومنها ما ينطبق على جزء من كلمة، ومنها ما ينطبق على كلمتين أو أكثر، أما 'بلومفيلد' "في تحديده للكلمة بقوله:"أصغر صيغة حرة"، ربما أراد أن يتفادى اعتبار مثل أداة التعريف والباء الحرة من الكلمات."(3) وللإشارة أن 'إبراهيم أنيس' لم يشر لكتاب 'بلومفيلد' اللغة إلا خمس مرات؛ في الصفحات التالية:43، 56، 124، 150، 161. وهو نفس عدد المرات التي أشار فيها لكتاب 'فندريس' (Vendryes) الموسوم بـ'اللغة' الذي ذكره في الصفحات التالية ص:40، 79، 139، 144، 158، فكان يهمش له دون ذكر الكاتب، عكس كتاب بلومفيلد الذي كان يقرنه بكاتبه.

(1)- عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ص:196

(2)- نعمان بوقرة، الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية دراسة وصفية تأصيلية في ضوء التلقي العربي للمناهج اللسانية الحديثة، ص:40

(3)- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:43

أما عن "أهم محطة في كتابه –دلالة الألفاظ– فتقسيم الدلالة إلى صوتية وصرفية ومعجمية واجتماعية، وإبرازه للفروق الكائنة بينها."(1) فلقد أشار الدكتور 'إبراهيم أنيس' إلى أن الدّلالة ليست نوعاً واحداً، بل هي أنواع عديدة، فهناك دلالة الصوت التي تُسْتمدُّ من طبيعة الأصوات، ولعلَّ من أبرز مظاهر هذه الدّلالة ظاهرتي النبر والتنغيم، وهناك دلالة بنية الكلمة المفردة 'الدّلالة الصرفية'، ودلالة التركيب في الجملة 'الدّلالة النحوية'، التي تَحدّث بواسطة العلاقات النحوية بين الكلمات، ودلالة الكلمة المفردة 'الدّلالة المعجمية أو الاجتماعية'، وهذا النوع من الدّلالة ينظر إليه 'أنيس' على أنه موطن عناية الدرس الدّلالي، وهو الهدف الأساس في كل كلام.(2)

وقد يكون للعرف أو المجتمع دخلا في دلالة الألفاظ التي تغيّر مدلولها، كما نجد في المجتمع ألفاظا نعدّها من العاميّة، ويمكن ردّها إلى الفصحى.

لعل هذا ما سبب عدم التفريق بين الدّلالة الاجتماعية والمعجمية عنده، بل يجعلهما دلالةً واحدة، بحيث إذا أُطلقت الدّلالة المعجمية قُصد بها الدّلالة الاجتماعية، وهذه حقيقةٌ لا تُلمس من كلامه فحسب، بل صرَّح بها تصريحاً في قوله: "فلا غرابة إذن ألا يفرق بعض اللغويين بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية، وهذا هو ما ارتضيناه هنا... فكما ذكرنا الدلالة المعجمية لا نعني بها سوى الدلالة الاجتماعية،"(3) ولم يكتف بهذا نظرياً، "وإنما ترجمها إلى واقع، حيث جمع في كتابه 'دلالة الألفاظ' بين مباحث علم الدّلالة ومباحث المعجم."(4)

---

(1)– نعمان بوقرة، الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية دراسة وصفية تأصيلية في ضوء التلقي العربي للمناهج اللسانية الحديثة، ص:40

(2)– ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:44–51

(3)– المصدر نفسه، ص:51

(4)– عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:370

إنَّ هذه النظرة لا يمكن تخطئتها؛ لأنها تُعَبِّر عن رُؤية لغوية لعدد من اللسانيين[1] الذين يرون أن مباحث المعجم تُمَثِّل جانباً من جوانب علم الدّلالة، فكلاهما يبحث في المعنى على وجه من الوجوه، إلا أنَّ هذا على خلاف ما عليه بعض اللغويين المعاصرين، وهو موقف 'تمام حسان' الذي يُفَرِّع المعنى الدلالي أو يُشقِّقه، على حدِّ تعبيره، إلى ثلاثة جوانب: المعنى الوظيفي، والمعنى المعجمي، والمعنى الاجتماعي،[2] وهو موقف 'كمال بشر' أيضاً.[3]

مما سبق نجد أن 'إبراهيم أنيس' ضيق قليلاً من دراسة المعنى، فجعله مقتصراً على مستوى الكلمة المفردة المثبتة في المعجم، وعلى عكسه فالمعنى في نظر أغلب اللسانيين العرب هو المحصِّلة النهائية للتحليل التدريجي لمستويات الحدث اللغوي.[4]

5-6 __الدلالة المركزية والدلالة الهامشية:__

خصص 'إبراهيم أنيس' فصلا كاملا للدلالة المركزية والدلالة الهامشية[5] لأن للفظة الواحدة دلالة عامة وهي التي يشترك في معرفتها معظم الناس ويقدمها المعجم أيضاً، ودلالة ثانوية؛ "تنبت من تجربة الفرد الذاتية فيلتفت إلى ما في للفظة من معان ويستخدم إحداها، وتسمى الدلالة العامة المشتركة الدلالة المركزية، والدلالة الثانية تسمى الدلالة الهامشية."[6] ويمكن

(1)- يوافق 'إبراهيم أنيس' في هذا الطرح 'محمد أحمد أبو الفرج' في كتابه المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، 1966، ص:17

(2)- ينظر تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص:116-126، وينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص:28-29

(3)- ينظر ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال محمد بشر، ص:6-7 من مقدمة المترجم.

(4)- ينظر عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:382

(5)- ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، الفصل السادس: المركز والهامش في الدلالة، ص:106-121

(6)- عبد القادر أبو شريفة/حسين لافي/داود غطاشة، علم الدلالة والمعجم العربي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1989، ص:59

تشبيهها بالدوائر التي تنبثق عن إلقاء حجر في ماء؛ فالدائرة الأولى–نقطة المركز– هي التي يلتقي عليها الناس، ثم تتسع تلك الدوائر وتصبح في أذهان القلة من الناس وقد تضمنت ظلالا من المعاني لا يشاركهم فيها غيرهم.(1)

ومن الملاحظ أن الدلالة المركزية تجمع بين الناس، بينما تفرقهم الدلالة الهامشية، فمثلا الأصل في القانون الوضوح، ولكنك تجد المحامي حين يدافع عن موكله يفسر القانون بطريقة ذكية فيجعل الجناية جنحة، وينقذ موكله من العقوبة الشديدة، فالقتل العمد يعد جناية يعاقب عليها القانون بالقتل، ولكن المحامي القدير قد يجد في ملف القضية ما يثبت أن القتل العمد جاء بصورة من الصور تجعله جنحة بدلا من الجناية، وحينها تنزل عقوبته إلى السجن.(2)

ومن طرائف ما يروى في هذا الباب أن الخليفة 'المعتضد'(3) طلب من وزيره كتابة رد على رسالة 'خماريه'. وكان الخليفة قد تزوج بابنته 'قطر الندى'، فكلف الوزير كاتبا يقوم بهذه المهمة، وبعد أيام جاء بالرسالة وفيها: 'وأما عن الوديعة فهي بمنزلة شيء انتقل من يمينك إلى شمالك..' وحين قرأها الوزير. قال:ما أقبح هذا تفاءلت لامرأة زُفت إلى صاحبها بالوديعة. والوديعة مستردة.(4) فالكاتب رأى في الوديعة حسن الاهتمام، ورأى الوزير فيها قابلية الاسترداد بالموت أو الطلاق...

(1)– ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:106

(2)– ينظر المصدر نفسه، ص:112–113

(3)–المُعْتَضِد بالله (242–289هـ) الخليفة العباسي السادس عشر، حكم في الفترة ما بين (279–289هـ)

(4)– ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:119

6 **النظريات الدلالية**:

ذكر اللسانيون العرب –نقلاً عن الأوروبيين– أن هناك نظرياتٍ عديدةً للمعنى اللغوي برزت منذ نشأة هذا العلم، ولعلَّ من أهم تلك النظريات: نظرية الحقول الدّلالية، ونظرية السياق[1].

6–1– نظرية الحقول الدلالية: الحقل الدّلالي –كما عرفه 'أولمان'– "قطاعٌ متكامل من المادة اللغوية يُعَبِّر عن مجال معين من الخبرة."[2] ويعود الفضل في اكتشاف هذه النظرية للمدرسة الألمانية، وعلى وجه الخصوص للعلامة الألماني ترايرTrier'، الذي يُعَدُّ مؤسسها ومُطبقها العملي على بعض مجالات اللغة الألمانية.[3]

تسير هذه النظرية وفقاً لمبادئ المنهج الوصفي في دراسة المعنى، وإن كان 'إبراهيم أنيس' لا يرى مانعاً من جمع الألفاظ التي تنتمي إلى مجال واحد، ثم تُدرس في ضوء نُموّ دلالتها، أو انكماشها على مرور الأيام[4]، وهذا يعني أن "تُحَلَّل بواسطة استخدام المنهج التأريخي، وليس في ذلك تعارض بين المنهجين؛ لأن المنهج التأريخي يمكن أن يعتمد على المنهج الوصفي، وذلك بأن تُوصف الظاهرة المدروسة في فترة محددة، ثم يقوم الباحث بتتبُّع ما

(1)– هناك نظريات دلالية أخرى قام 'أحمد مختار عمر' بشرحها في كتابه 'علم الدلالة'، ص:53–146، وينظر أيضا منقور عبد الجليل، 'علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي'، ص:81–105، اكتفى البحث بالنظريتين السابقتين فقط؛ لكون 'إبراهيم أنيس' في مصنفه لم يتطرق إلى أية نظرية من النظريات الدلالية بالتفصيل، وبسبب وجود لمحات لهما عند القدماء.

(2)– ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص:79

(3)– ينظر المرجع نفسه، ص:82

(4)– إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:8

طرأ على تلك الظاهرة خلال الفترات الزمنية المتعاقبة من تغيير وتبدُّل، أمَّا العكس–إعتماد الدراسة الوصفية على الدراسة التأريخية– فغير مقبول في الدراسات اللغوية الحديثة."(1)

وقد أشار كثير من اللسانيين العرب إلى سَبْق علماء العربية القدماء لتطبيق هذه النظرية في مؤلفاتهم اللغوية، والمعجمية على وجه الخصوص، على النحو الذي يُلمس في تلك الرسائل الصغيرة التي أُفردت لحقل دلالي واحد، مثل رسائل المطر، والسحاب، والإبل، والغنم، والخيل، والحشرات، والوحوش، والنبات، والنخل، واللبن، .. كما تتمثل في تلك المعاجم الموضوعية التي اشتملت على حقول دلالية متعددة، مثل: 'الغريب المصنف' لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت244هـ)، و'الألفاظ الكتابية' للهمذاني (ت320هـ)، و'فقه اللغة' للثعالبي (ت429هـ)، و'المخصص' لابن سيده (ت458هـ)..(2)

وعلى الرغم من هذه الأسبقية واعتراف اللسانيين بها، فلم تسلم من ذكر بعض المُلاحظات –المآخذ– عليها، في ضوء الموازنة بينها وبين المحاولات الغربية الحديثة، والمتمثلة في عدم إتِّباع منهج معيَّن في جمع الكلمات، وافتقاد المنطقية في تصنيف الموضوعات وتبويبها، وعدم ذكر العلاقات بين الكلمات داخل الموضوع الواحد، وأوجه الخلاف والشبه بينها، وقصورها في حصر المفردات.(3)

(1)– ينظر عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:384

(2)– ينظر حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، مصر، 1/123–134، 1/206–213، وينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص:108–109 وينظر أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2002، ص:22–41، وينظر أيضا أحمد عزوز، جذور نظرية الحقول الدلالية في التراث اللغوي، التراث العربي، العدد:85، السنة:21، دمشق، سوريا، جانفي، 2002، ص:75–76

(3)– ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص:110

لكن تقييم تلك الأعمال بعيداً عن المناخ السائد في تلك الفترة، والظروف التي واكبت نشأة هذا النوع من التأليف، "فيه الكثير من التجنّي وعدم الإنصاف في الحكم. صحيحٌ أن هذه المآخذ تنطبق بشيء من التجوُّز على أعمال اللغويين القدماء في الحقول الدّلالية، ولكننا لانعدم عذراً يُلتمس لهم، فحصْر المفردات اللغوية ذات المجال الدّلالي الواحد أو المجالات المتعددة أمرٌ لا يقوم به فردٌ، بل هو من عمل الجماعة، وأماَّ ذكْر العلاقات بين الكلمات داخل الموضوع الواحد، وبيان أوجه الشبه والخلاف بينها، فذلك موكولٌ بالخالفين بعد الجامعين، فإن كان من مأخذ في هذا الشأن فهو مُوجَّهٌ لِلاَّحقين في المقام الأول وليس للسابقين."(1)

لم يشر 'إبراهيم أنيس لهذا الأمر ولا إلى أسبقية اللغويين العرب القدماء لطرق هذا الموضوع، لأن تلك الأعمال سبقت مثيلاتها من الأعمال الأوروبية بعدة قرون، ولا إلى المآخذ التي سجلت عليهم، رغم أهمية هذه النظرية؛ التي تكشف عن العلاقات التي تربط بين الألفاظ الواردة في الحقل الدّلالي المحدد والمصطلح العام الذي يجمعها، وما ينتج عن ذلك من بيانٍ لأوجه الشبه والخلاف بينها.

6-2- <u>نظرية السياق</u>: هل عرفت الدراسات العربية القديمة هذه النظرية أيضا؟ والجواب "مُتفق عليه بين اللسانيين العرب، وهو أن علماء العربية عرفوا هذه النظرية منذ فترة مُبكرة جداً، مفسِّرين وأصوليين وبلاغيين،"(2) فلقد عرفوا وظيفة السياق ودلالته، واهتم علماء القرآن والأصوليون بشقيّ

(1)- ينظر عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:385

(2)- المرجع نفسه، ص:389

السياق في فهم دلالة النصوص الشرعية. وربط 'عبد القاهر الجرجاني'[1] فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي والتركيب الذي قيلت فيه، وذلك عند حديثه عن نظرية النظم، وربط الكلام بمقام استعماله.

وارتبطت هذه النظرية الدّلالية عند الغرب برائد المدرسة الإنجليزية 'فيرث'(Firth)، الذي تأثر فيها بعالم الأنثروبولوجيا 'مالينوفسكي'[2] (Malinowski)، ولم تقف هذه النظرية عند الحدود التي رسمها لها 'فيرث'، بل تطورت على يد تلامذته من بعد، الذين يُطلق عليهم 'الفيرثيون الجدد' من أمثال 'جون ليونز' (Lyons)، و'هاليداي' (Halliday)،... وتقوم فكرة نظرية السياق على أن الكلمة لا يتحدد معناها بوصفها وحدةً مُنعزلةً، بل بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية الكبرى، إضافةً إلى اعتبارات تجريدية أخرى تواكب الحدَث الكلامي، والسياق في نظر هؤلاء إمَّا أن يكون لغويًا، وهو ما يُعرف بالسياق اللغوي أو السياق الداخلي، وإمَّا أن يكون مقامياً، وهو ما يُعرف بسياق الحال، أو الموقف، أو المقام، أو السياق الخارجي.[3]

وتهتم نظرية السياق بالجانب الاجتماعي للمعنى، بل إنه لَيُعَدُّ في رأي أصحاب هذه النظرية "شرطاً لاكتمال المعنى الدّلالي الأكبر."[4]

---

(1)-عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت471هـ) بلاغي عربي، وقد ذهب بعض الباحثين إلى القول إنه مؤسس علم البيان العربي، أشهر آثاره:'أسرار البلاغة'، و'دلائل الإعجاز'.

(2)- برونيسلاف كاسير مالينوفسكي Bronislaw Kasper Malinowski (1884-1942م) عالم أنثروبولوجي إنجليزي، بولندي المولد. يُعد مؤسس الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وأحد أبرز علماء الأنثروبولوجيا في القرن العشرين.

(3)- ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص:68-69

(4)- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص:342

تحمَّس لهذه النظرية كثيرٌ من اللسانيين العرب، "وخاصةً الذين تتلمذوا في بريطانيا على صاحب هذه النظرية، وفي مقدمتهم 'إبراهيم أنيس'."(1) لكنه لم يوظف هذه النظرية في مصنفه محل الدراسة، بل لم يشر إلى أية نظرية دلالية أخرى بالتفصيل.

ومن جهة أخرى هناك من يَعُدُّ التفسير بالسياق من أخطر عيوب المعاجم العربية،(2) بالمقابل يرى 'إبراهيم أنيس' أن هذا النوع من التفسير المعجمي من أجلِّ وأعظم أنواع التفسير في الدّلالة على المراد(3). وأياً ما كان الأمر فإن هذه النظرية كباقي النظريات اللغوية لها ما لها وعليها ما عليها، لكنها تظلُّ حتى الآن الوسيلة الأنجع في تفسير المعنى.(4)

7 التطور الدلالي:

التطور اللغوي ظاهرةٌ عامةٌ تصيب كافة مستويات الدرس اللساني، على تفاوت بينها في السرعة والوضوح، والتطور لا يعني سوى مجرد التغير ليس إلا.(5)

وللتطور الدّلالي خواصٌّ يتصف بها، ولعَّل من أهمها أنه بطيء السير، فتغيُّر معنى كلمة من الكلمات لا يحدث فجأةً، بل يتدرج في التغيُّر حتى يصل إلى مرحلة قد لا تمتُّ بصلة في المعنى للمرحلة السابقة، كما أنه يحدث تلقائياً دون أن يكون للإنسان يدٌ فيه، وهو غالباً ما يكون مُقيداً بالزمان والمكان، فيقتصر أثره على بيئة محددة، وزمن خاصّ، وآخر هذه الخواصّ أن

---

(1)- ينظر عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:388

(2)-محمد كامل حسين، حاجتنا إلى معجم مصفى، بحوث ومحاضرات الدورة 34 لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1967-1968، ص:423

(3)-إبراهيم أنيس، معلقاً على الرأي السابق، بحوث ومحاضرات الدورة 34 لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1967-1968، ص:427

(4)- ينظر عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:389

(5)- ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:122

هذا التطور في دلالة الكلمة يرتبط في الغالب بعلاقة بين المدلولين، كأن تكون علاقة المشابهة أو المجاورة المكانية.

<u>7-1 ظاهرة التطور</u>:

ويستعرض 'إبراهيم أنيس' طائفة من الألفاظ الشائعة التي تطورت دلالتها تطورا بينا، من أصل قديم ودخلت العامية، منها:

1- بايخ التي انحدرت من فعل عربي فصيح، اقتصر استخدامه على النار والغضب، فيقال: باخ الرجل أي سكن غضبه، وباخت النار: سكنت وفترت.

2- البغددة استعمال قديم، يقال تبغدد الرجل أي انتسب إلى بغداد وأهلها، أي أصبح متحضرا راقيا في سلوكه.

3- الشنب: في الاستعمال القديم تدل على الأسنان ونصاعتها. وهي تدل الآن على الشارب...(1)

ويرى 'إبراهيم أنيس' أن التطور الدلالي حصل نتيجة أسباب يردها إلى عاملين أساسين لكل منهما عناصره ومقوماته، وهما:

7-1-1 **<u>الاستعمال</u>:** تستخدم الألفاظ عبر الأجيال، ونتيجة استخدامها، يختار بعض الناس المعاني الهامشية للألفاظ، ويبقى معظم الناس يشتركون في استعمالها على معناها المركزي، فإذا ورثتها الأجيال الناشئة، واتخذتها أيضا للتعامل والتبادل لم ترثها على حالها الأولى، بل ترثها مع بعض الانحراف في الدلالة، ومع توالي الأيام يتضخم الانحراف وتصبح الدلالة الهامشية شائعة، ويبدو للجيل الوارث أن للكلمة معنيين أو

(1)- ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:124-127

دلالتين مع أن الرابط بينهما ضعيف.(1) ومثال ذلك كلمة الغروب في الأبيات التالية للخليل بن أحمد:

"يا وَيْحَ قَلْبِي من دَوَاعِي الهَوى   إِذْ رَحَل الجِيرَانُ عِنْد الغُرُوبِ

أَتْبَعْتُهـــم طَرْفي وقد أَزْمَعُــوا   ودَمْــعُ عينيّ كفَيْضِ الغُرُوبِ

كَـانُـوا وفِيهِــم طفْــــلَةٌ حُرَّةٌ   تفتَرُّ عن مِثْلِ أَقَاحِي الغُرُوبِ"

فالغروب الأول: غروب الشمس، والثاني جمع غَرْب: وهو الدَّلْو العظيمة المملوءة، والثالث جمع غرب: وهي الوِهَاد المنخفضة."(2)

ويفسر 'إبراهيم أنيس' ظاهرة الطفرة الدلالية هذه بسوء فهم المعنى أصلا؛ "إذ قد يكون اللفظ قليل الشيوع أو يقتصر استعماله على أساليب معينة، ولا يقع في تجارب كثيرة، فتصاب دلالته بشيء من الغموض، ويصبح أكثر تعرضا إلى الإنحراف في الدلالة من الألفاظ الأخرى."(3)

ويضرب لذلك مثلا آخر من عالم الأطفال، فالطفل حين يلعب مع زملائه قد يحتاج إلى اسم لجزء من أجزاء اللعبة فلا يستطيع الذهاب ليسأل عن اسم ذلك الجزء، وإنما يطلق اسما مولدا حسب فهمه، وقياسا على لفظة أخرى أو بناء على عمل ذلك الجزء فيسمى الفرملة بالوقافة، ومثل هذا يحدث مع الجماعات.(4)

---

(1)- ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:134-135

(2)- السيوطي، المزهر، 376/1، وينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:136

(3)- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:136

(4)- ينظر المصدر نفسه، ص:137

بالاضافة إلى سوء الفهم الناتج عن الاستعمال اللغوي الذي يترتب عليه مدلولات جديدة، فان بعض الألفاظ تتغير صورتها تماما، مثل كلمة قماش التي تدل في معجم 'الفيروز أبادي'[(1)] على "أراذل الناس أو ماوقع على الأرض من فتات الأشياء"[(2)]، غير أن 'الجوهري'[(3)] يذكر أيضا أن من معاني القماش "متاع البيت"[(4)]. ويبدو أن معنى قماش على هذا الوجه قد اندثر وحل محله معنى آخر هو النسيج، ربما بسبب تداخل هذه اللفظة مع لفظة فارسية هي كماش.[(5)]

7-1-2 <u>الحاجة</u>: بما أن اللغة أداة تعبير عن أفكار الناس وحاجاتهم؛ وهذه الأفكار والحاجات في تغير مستمر، فقد أدت الحاجة إلى ابتكار مصطلحات كثيرة تتسع لتشمل المعاني الجديدة، أو تنتقل من معنى قديم إلى معنى حديث، مما جعل دلالة الألفاظ تتغير، "وقد يصل الشيوع بالدلالة الجديدة حداً تنسى معه الدلالة القديمة نسياناً تاماً، فلا يبقى لها أي أثر في أذهان الناس، فمن منا الآن إذا سمع كلمة 'السيارة' أو 'القاطرة' يخطر في ذهنه صورة القافلة في الصحراء، أو الناقة الأولى التي تسير القافلة على هديها؟"[(6)]

---

(1)- الفيروز أبادي: أبو الطاهر مجد الدين (729هـ-817هـ) ولد في موضع قريب من مدينة شيراز. أعظم آثاره 'القاموس المحيط'، ومن أهم آثاره الأخرى: 'نزهة الأذهان في تاريخ إصبهان'، و'البُلغة في تاريخ أئمة اللغة'.

(2)- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط:8، 2005، ص:603

(3)- الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت393هـ) أشهر آثاره معجم الصحاح، وقيل أنه مات في محاولة طيران باتخاذه جناحين من خشب.

(4)- الجوهري، الصحاح، 1016/3

(5)- ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:138-139

(6)- المصدر نفسه، ص:147

2-7 الحقيقة والمجاز:

"كثر حديث القدماء عما يسمى الحقيقة والمجاز، فوصفوا الحقيقة بأنها الدلالة الأصلية للفظ من الألفاظ، وأن المسئول عنها هو الواضع الأول للغة، كما وصفوا المجاز بأنه ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة، وجعلوا كلا من الحقيقة والمجاز أقساماً منها اللغوي ومنها الشرعي ومنها العرفي خاصاً أو عاماً."(1)

ويذكر "'ابن الأثير'(2) أن فريقاً من العلماء كانوا يرون أن الكلام كله حقيقة، وأن آخرين كانوا يزعمون أن كله مجاز ولا حقيقة فيه، ثم يبرهن في حديث مسهب على فساد هذين المذهبين، وينتصر للرأي الذي ساد بين الدارسين من جمهور العلماء من أن اللفظ قد يستعمل استعمالا حقيقياً وقد يستعمل استعمالا مجازيا.

ويلخص 'السيوطي' تلك المذاهب المختلفة فينسب 'لابن فارس' القول بأن أكثر الكلام حقيقة، وينسب 'لابن جني' رأياً آخر مجمله أن الكلام أكثره مجاز، ثم ينتهي برأي 'إسحاق الأسفراييني'(3) وهو من ينكر المجاز ويأباه."(4)

ويأخذ 'إبراهيم أنيس' على القدماء، في هذه المسألة اهتمامهم بالواضع الأول لأية لفظة –الشمس مثلا– وهل استخدمت بالمعنى الذي نعرفه الآن؟ وقد تكون في الأصل لفظة مجازية ثم صارت بكثرة الاستعمال حقيقة، والبحث في هذه المسألة من باب الغيبيات الذي تتجاوزه الدراسات اللغوية المعاصرة،

---

(1)– إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:127

(2)– ابن الأثير: ضياء الدين (558هـ–637هـ) عمل في خدمة السلطان 'صلاح الدين الأيوبي'، أشهر آثاره كتاب 'المَثَل السائر في أدب الكاتب والشاعر'.

(3)– الأَسْفَراييني: تاج الدين محمد (ت684هـ) نحوي عربي، من آثاره 'ضوء المصباح'، و'فاتحة الإعراب بإعراب الفاتحة'، و'لُباب الإعراب'.

(4)– إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:127، ينظر السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 1/355–368

ويأخذ عليهم أيضا تجاهلهم أثر اللفظ في الفرد حين يسمع اللفظ أو يقرؤه، فهو الذي يستطيع الحكم على الحقيقة والمجاز،[1] فالحقيقة هي استعمال شائع مألوف. أما المجاز فهو انحراف عن هذا الشيوع، وقد يسمع الفرد اللفظ فلا يرى فيه مجازا، ويسمعه آخر فيعجب به، ومن خلال هذه النظرة الفردية للألفاظ يستطيع الباحث تبين الحقيقة أو المجاز في بيئة معينة عند جيل من الناس، وسيجد قدرا كبيرا من الاشتراك بينهم في الحقيقة أو المجاز، ولا يكون الحكم صحيحا على الحقيقة والمجاز في الألفاظ إلا إذا اقتصر على بيئة معينة وجيل خاص، فالمجاز القديم مصيره إلى الحقيقة، والحقيقة القديمة قد يكون مصيرها إلى الزوال والاندثار، وتبقى الألفاظ إذا قدر لها البقاء تنتقل من مجال إلى آخر جيلا بعد جيل، وذلك هو التطور الدلالي. فكثير من الدلالات التي كانت سائدة في الجاهلية قد أصابها البلى.. ولم تعد صالحة للاستعمال، أي أن أسمى درجات الجدة والطرافة في الاستعمال هو ما يسمى بالمجاز، ثم تتقلص تلك الجدة مع الزمن ويؤول أمرها إلى الألفة والذيوع، وتصبح ما نسميه بالحقيقة التي قد ينتهي أمرها إلى الاندثار والزوال بتطور الحياة الاجتماعية للإنسان.[2]

7-3 عوامل التطور الدلالي:

هناك عوامل –أسباب– تكمن خلف التغير في المعنى، وهي بصفة عامة، أسباب لغويةٌ، واجتماعيةٌ، وثقافيةٌ، ونفسيةٌ، وتأريخيةٌ. وجمعها 'إبراهيم أنيس' في عنصرين هما: الاستعمال وأوضح عناصره: سوء الفهم المرتبط بالقياس الخاطئ، والابتذال الذي يصيب بعض الألفاظ لأسباب سياسية أو اجتماعية. وثانياً الحاجة المرتبطة بضرورة التجديد المقصود في التعبير بسبب الدافع الحضاري عموماً، فيكون اللجوء إلى المجاز أو إلى الألفاظ الأجنبية.[3]

(1)– ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:128

(2)– ينظر المصدر نفسه، ص:130–132

(3)– ينظر المصدر نفسه، ص:134–151

7-4 نتائج التطور الدلالي:

أمَّا عن نتائج هذا التطور في دلالة الألفاظ يؤدي إلى نشأة ظواهر لغوية متعددة، منها: المشترك اللفظي، والترادف، والأضداد.

7-4-1 المشترك اللفظي: تعني هذه الظاهرة أن يكون للكلمة الواحدة عدّة معانٍ على سبيل الحقيقة لا المجاز، لأن "الأصل في الألفاظ أن يختص كل لفظ بمعنى معين،"[(1)] وتعريفه عند "أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدالُّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالةً على السواء عند أهل تلك اللغة."[(2)]

لقد وقف القدماء من المشترك اللفظي موقفاً متبايناً، لكنهم يكادون يتفقون على إثبات وجوده، يقول 'سيبويه': "اعلم أنَّ من كلامهم ... اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين."[(3)] أما 'ابن درستويه'[(4)] فهو ممن يُنكر وقوع المشترك اللفظي في اللغة الواحدة، يقول في ذلك: "لا يكون فَعَلَ أو أَفْعَلَ بمعنى واحد، كما لم يكونا على بناء واحد، إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين، فأمَّا من لغة واحدة فمُحالٌ أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين."[(5)] ويوافق 'إبراهيم أنيس' هذا الرأي في قوله:" وقد كان 'ابن درستويه' محقاً حين أنكر معظم الألفاظ تلك التي عُدَّت من المشترك اللفظي."[(6)]

---

(1)- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:210

(2)- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 369/1

(3)- سيبويه، الكتاب، 24/1

(4)- ابن دُرُسْتَوَيْهِ: عبد الله بن جعفر (258هـ-347هـ) أخذ الأدب عن 'ابن قتيبة' و'المبرّد' وغيرهما ببغداد. من آثاره "أخبار النحويين'، و'نقض كتاب العين'، و'الكتاب'، و'غريب الحديث'، و'التوسط بين الأخفش وثعلب في تفسير القرآن'.

(5)- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، 384/1

(6)- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:214

أما موقف 'إبراهيم أنيس' فيميل إلى إثبات وجوده في العربية دون مُغالاة أو إنكار، فليس هو كما ذكره بعض القدماء من كثرة وروده في هذه اللغة، وإنما هي قليلةٌ نادرةٌ، ويشترط في المشترك اللفظي ألا يكون هناك صلةٌ بين المعاني المتعددة لتلك اللفظة، بل يلزم اختلاف المعنى بينهما اختلافاً واضحاً.(1)

أما عن المنهج الأفضل في دراسة ظاهرة المشترك اللفظي؛ ففيه خلاف بين اللسانيين العرب، فمن يرى أن المنهج التأريخي هو الأفضل فربما "تطبيق هذا المنهج على هذه الظاهرة سَيُوَسِّع علينا دائرة الألفاظ المشتركة، مما سيتبعه فوضى واضطراب لا حدود لهما، ولعَّل نقطة الخلاف بين القدماء والمعاصرين تكمن في هذه الرؤية، فالمعاصرون اشترطوا لذلك الوحدة في الزمان وفي المكان، وفي النطق، وتباين المعنيين تبايناً تاماً، وهذا ما يدعو إليه المنهج الوصفي."(2)

وحسب 'إبراهيم أنيس' فإن من يثبت المشترك اللفظي من القدماء؛ فقد نظر إليه نظرةً وصفيةً، أمَّا من ينكره فقد نظر إليه نظرةً تأريخية(3)، مما يعني أن المنهج الوصفي الأمثل لدراسة هذه الظاهرة.

وممن درسوا المشترك اللفظي عند 'ابراهيم أنيس' تحديداً أذكر 'أحمد مختار عمر' ويختم كلامه عليه بقوله:" إنه مزج بين المنهجين الوصفي والتاريخي في علاج هذه الظاهرة، وكان

(1)- ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:214

(2)- عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:396

(3)- ينظر إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص: 166

الأولى أن يقتصر على أحدهما."(1) مما يدل كون هذين المنهجين صالحان للتطبيق على دراسة هذه الظاهرة.

7-4-2 <u>الترادف</u>: وهو خلاف المشترك، حيث يعني دلالة كلمات مختلفة مُنفردة على المسمى الواحد، أو المعنى الواحد وهو "ألفاظ متحدة المعنى، وقابلة للتبادل فيما بينها في أيِّ سياق."(2)

وقد انقسم اللغويون القدماء حياله إلى طائفتين: طائفة تُثبته، وأخرى تنكره. ومن أقدم النصوص التي أثبتت هذه الظاهرة ما ذكره 'سيبويه' "من أنَّ من كلامهم.. اختلاف اللفظين والمعنى واحد، نحو: ذهب وانطلق."(3)

وممن ينكرون الترادف في اللغة العربية، ويأتي على رأس هؤلاء 'ابن الأعرابي' (ت231هـ)، و'أبو هلال العسكري' (ت بعد 254هـ)، و'ثعلب' (ت291هـ)، و'ابن دريد' (ت321هـ)، و'الأنباري' (ت328هـ)، و'ابن درستويه' (ت347هـ)، و'أبو علي الفارسي' (ت377هـ)، و'ابن فارس' (ت395هـ) ..

قال 'أبو علي الفارسي': "كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة ومنهم 'ابن خالويه'*، فقال 'ابن خالويه': أحفظ للسيف خمسين اسماً، فتبسم أبوعلي وقال: ما أحفظ له إلا إسما واحداً وهو السيف. قال 'ابن خالويه'، فأين المهند والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه صفات."(4)

---

(1)- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص:179

(2)- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص:97

(3)- سيبويه، الكتاب، 24/1

* الحسين بن أحمد بن خالوّيه (ت370هـ) بحلب، من آثاره: 'شرح مقصورة ابن دُرَيْد'، و'إعراب ثلاثين سورة من القرآن العزيز'، و'ليس في كلام العرب'.

(4)- السيوطي، المزهر، 405/1

يُقِّر 'إبراهيم أنيس' بوجود الترادف في اللغة العربية، ولكن دون مبالغة في ألفاظه، ويعُدّهُ حقيقةً واقعةً لا مجال لإنكارها.(1) ويرجع –إبراهيم أنيس– السبب في كثرة المترادفات التي ظنها القدماء كذلك إلى تجاهلهم للتطور الدّلالي الذي حدث في تلك الكلمات المترادفة، وخلطهم بين عصور اللغة، واشترط لحدوث الترادف شروطاً هي: الاتفاق التام والاتحاد الكامل في المعنى بين الكلمتين المترادفتين، والاتحاد في البيئة اللغوية، وفي العصر، وألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ الآخر، يقول في هذا الشأن: "وهم لحرصهم –القدماء– على تجميع الألفاظ المترادفة قد تجاهلوا تطور الدلالة فيها، وخلطوا بين عصور اللغة. ولذا جمعوا بين لفظ عرفت له دلالة جاهلية قديمة وآخر اشتهر بدلالة إسلامية حديثة، وجعلوا من اللفظين صنوين وقرينين."(2)

وبهذا فَرَّق 'إبراهيم أنيس' بين النظرة الوصفية والتاريخية في دراسة الترادف، ويسير على طريقة اللسانيين المحدثين في النظرة إلى هذه الظاهرة نظرةً وصفيةً، ولعل هذا هو سبب اختلاف رؤية المحدثين للترادف عما هي عليه عند القدماء، وما تبع ذلك من إخراج كثير من الألفاظ التي نظر إليها القدماء على أنها من المترادفات.

ويفسر 'إبراهيم أنيس' موقف المنكرين للترادف والمثبتين له؛ "فيقول إن المنكرين للترادف قد نظروا إليه من الزاوية التاريخية، حيث إن هذه الكلمات في القديم كانت لها معان مختلفة ومن ثم لا ترادف بالمعنى الحقيقي، أما المثبتون له فقد نظروا إليه من الناحية الوصفية الخاصة بفترة معينة."(3)

---

(1)– ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:211

(2)– المصدر نفسه، ص:219

(3)– ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال محمد بشر، ص:108 من هامش المترجم

بالإضافة إلى "ما عبر عنه بعض القدماء بقولهم فقدان الوصفية حين كان للسيف اسم واحد وله خمسون وصفا، لكل وصف دلالته المتميزة: كالهندي الذي عرف بأنه سيف حاد رقيق في صلبه مرونة، وكان يصنع في بلاد الهند، واليماني الذي كان يصنع في بلاد اليمن...وهكذا."[1]

7-4-3 التضاد: هناك ألفاظ تتسم بميزة مزدوجة تستعمل على وجهين متضادين من ذلك 'الصريم'؛ يقال الليل صريم، والنهار صريم لأن الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم من الليل...[2] وبعبارة أخرى "أن يُطلق اللفظ على المعنى وضده، كلفظ 'الجون' الذي يطلق على الأبيض والأسود؛ و'الجلل' المستعمل في الجليل والهين."[3] ويُعَدُّ التضاد نوعاً من المشترك اللفظي[4] بسبب"صلة الضدية، وهي صلة وثيقة بين الدلالات. فلما نذكر الأبيض إلا ذكرنا معه الأسود،..."[5]

وقف القدماء من التضاد موقفين: أحدهما مثبتٌ له، والآخر مُنْكِر، "فقد ألف فيها الأصمعي (ت213هـ)، وابن السكيت (ت244هـ) وأبو حاتم السجستاني (ت255هـ)، ثم جاء بعدهم ابن الأنباري (ت328هـ) وجمع أقوالهم في كتابه المشهور بالأضداد."[6] أمَّا المُنكرون فيتقدمهم ابن درستويه (ت347هـ)، وإن كان يعترف بمجيء الشيء النادر منه.[7]

---

(1)- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:212
(2)- ينظر ابن الأنباري، الأضداد في اللغة، تحقيق: محمد عبد القادر، سعيد الرافعي، المطبعة الحسينية، مصر
(3)- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، نهضة مصر، مصر، ط3، 2004، ص:148
(4)- ينظر علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص:148، وينظر ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال محمد بشر، ص:118 من هامش المترجم
(5)- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:214
(6)- المصدر نفسه، ص:215
(7)- ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص:194

يؤكد 'إبراهيم أنيس' قلة ورود الألفاظ المتضادة في العربية، وأنها لا تتجاوز العشرين كلمةً في كلّ اللغة، وأنَّ مصيره إلى الانقراض من اللغة بعامل اشتهار المعنى الواحد من المعنيين مع مرور الزمن.[1]

مما سبق نلحظ كثرة الترادف بالقياس إلى قلة المشرك اللفظي، الذي يجب أن ينظر إلى أمثلته على أساس العلاقة بين معاني اللفظ الواحد، فإذا كان المعنيان متباينين كنا بصدد مشترك لفظي "وإذا اتضح أن أحد المعنيين هو الأصل، وأن الآخر مجاز له، فلا يصح أن يعد مثل هذا من المشترك اللفظي في حقيقة أمره."[2]

5-7 أعراض التطور الدلالي:

اللغة كالكائن الحي ينمو ويؤثر ويتأثر، وهي تنمو وتستعمل وتنتقل من جيل إلى آخر لتعبر عن أفكارهم وحياتهم، وهي في انتقالها تؤثر وتتأثر، فتموت ألفاظ وتحيا أخرى، وتضيق ألفاظ وتتسع أخرى بدلالاتها.. وهذه صفات للغات الحية ودليل على حيويتها، فالاستعمال يعرضها لمظاهر حصرها 'إبراهيم أنيس' في النقاط التالية:

1-5-7 **تخصيص الدلالة:** توضع اللفظة للدلالة على شيء أو فعل يتعارف الناس عليه، فحين نقول: 'كتاب' تتولد في أذهاننا صورة معينة تأخذ شكل كتاب، ومع ذلك فهي ما زالت عامة إذ يمكن أن يكون الكتاب كتاب الطالب أو المكتبة أو الكتاب المصور أو القرآن الكريم...الخ، فإذا أردنا تحديد دلالة الكتاب أو تخصيصها نقول كتاب الطالب، فان أردنا التخصيص أكثر قلنا: كتاب أحمد للغة العربية. ويمكن إدخال صفات وإضافات تخصص دلالة الكتاب تخصيصا تاما.

---

(1)- ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:215

(2)- المصدر نفسه، ص:213

وكما أن الكتاب قد تخصصت دلالته بهذه الطريقة، فانه يمكن تخصيص الألفاظ بطرق أخرى دونما إضافات، وذلك أن يتعارف الناس على دلالة معينة للفظة ومع مرور الزمن تصبح دلالة اللفظة واضحة محددة، فمثلا 'العيش' تدل على الحياة وأسبابها ولكنها في مصر تدل على الخبز الذي هو من أسباب الحياة..، وكلمة حريم كانت تدل على كل محرم، وأصبحت تدل على النساء...(1)

7-5-2 **تعميم الدلالة:** بما أن بعض الألفاظ يتخصص بدلالات معينة، فإن بعضها تتسع دلالته، وأكثر مظاهره في لغة الأطفال؛ لقلة ثروتهم اللغوية يطلقون اسم الشيء على كل ما يشبهه لأدنى مشابهة، فقد يسمي كل طائر دجاجة.(2)

وكما أن بعض الصفات تخصصت في المظهر الأول من مظاهر تطور الدلالة، نجد أن بعض الأعلام قد عمت دلالتها وتوسعت لتدل على الصفة بعامة، ومنها الأسماء المقترنة بشهرة مثل 'حاتم' ونقصد الكريم، و'نيرون' الذي خرب روما يستعمل للدلالة على الجنون والظلم.. و'عرقوب' للدلالة على المراوغ قليل الوفاء..(3)

7-5-3 **انحطاط الدلالة:**

تفقد بعض الألفاظ شيئا من رونقها وهيبتها في ذهن الناس، لكثرة دورانها وشيوعها ولأسباب سياسية واجتماعية ونفسية، فأصبحت الألقاب: 'باشا'، 'بك'، 'أفندي' ذات قدر ضئيل بعد أن كانت

(1)- ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:154

(2)- ينظر المصدر نفسه، ص:154-155

(3)- ينظر المصدر نفسه، ص: 155

مرموقة. ومن الألقاب التاريخية التي أصابها الابتذال كلمة حاجب التي كانت تدل على مقام رئيس الوزراء في الدولة الأندلسية، ولكنها تدل الآن على البواب.(1)

ومن أشهر الألفاظ التي كانت تدل على معنى سام ثم انحدرت لتدل على صفة رذيلة هي كلمة طول في طول اليد؛ إذ كانت تدل على السخاء والكرم، "فعن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–:"أَسْرَعُكُنّ لَحَاقاً بِي، أَطْوَلُكُنّ يَدًا."(2)

وهذا التعبير كما هو معروف لنا جميعا يستعمل الآن على الألسنة وفي لهجات الخطاب بمعنى السرقة.(3)

7–5–4 **رقي الدلالة**: وكما يصيب الألفاظ انحطاط، فإنه يصيبها رقي في الدلالة أيضا، ولكنه أقل حدوثا وشيوعا من الانحطاط، ومن ذلك كلمة 'رسول' التي كانت تدل على أي شخص يحمل رسالة أو أي شخص موفد من قبل الحاكم، ثم أخذت تتخصص وترتقي لتدل على الرسول صاحب الرسالة السماوية، وكلمة 'السفرة'، كانت تعني طعام المسافر، وهي تعني الآن الطعام الفاخر الذي يعرض على طاولة فخمة.(4)

7–5–5 **تغير مجال الاستعمال:**

سبق التعرض إلى أن بعض الألفاظ تتخصص دلالتها بعد عموم، وبعضها تتوسع دلالتها بعد تخصص، وبعضها تنحط دلالتها بعد سمو ورقي، وبعضها ترتقي بعد أن كانت وضيعة، وبقي العرض لألفاظ تخرج دلالتها عن المألوف والواقع إلى شيء مجازي، فاليد جزء من الإنسان ولكننا

---

(1)– ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 157

(2)– صحيح مسلم، دار طيبة، الرياض، ط1، 2006، 1147/2، رقم الحديث:2452

(3)– ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 157

(4)– ينظر المصدر نفسه، ص: 158

نقول يد الباب ويد الإبريق، والرِجل جزء من الإنسان ولكننا نقول رجل الطاولة ورجل الكرسي.. "وتلك عملية تصويرية يلجأ إليها الأدباء، والموهوبون من أهل الفن؛ لتجلية الصورة الذهنية وصقلها أمام قرائهم."[1]

وجانب آخر من تغير مجال الاستعمال بالإضافة إلى المجاز هو توليد المعاني للمشابهة، فـ'الرطانة' كانت تدل على الإبل وحركتها وأصواتها، وهي الآن تدل على الكلام الأعجمي أو غير المفهوم.[2] والقلق مأخوذ من الحركة والاضطراب، ومن هنا جاء الانزعاج، وهو الآن مصطلح نفسي يدل على حالة من عدم الاستواء.. [3]

وختم 'إبراهيم أنيس' تصنيفه لأعراض التطور الدلالي "بالنقل المتعمد الذي تتطلبه مستحدثات الحياة من منشآت ومخترعات جديدة كوسائل النقل–السيارة، القاطرة، القطار– من مجالها القديم إلى مجال حديث دعت إليه الحضارة ومستلزماتها."[4]

8 دلالة الألفاظ في المعجم:

يمكن عدّ الفصل الأخير 'كنوز الألفاظ العربية'، صورة تاريخية عن تطور المعاجم العربية القديمة منذ مساهمات اللغويين الأوائل، حتى كتاب 'العين' وما تبعه من معاجم، ويوضح –إبراهيم أنيس– الطرق التي اتبعتها بعض هذه المعاجم في تبويب المادة وتصنيفها، كما يُعلق على دلالة الألفاظ فيها، بإبداء ملاحظات وأمثلة لعرض بعض مواطن القصور فيها، كعدم تحريها الشرح الدقيق، وكاعتماد أصحابها بعضهم على بعض، وهو قصور يستنتج منه حاجتنا إلى معجم عربي حديث

(1)– إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 160
(2)– ينظر المصدر نفسه، ص: 162–163
(3)– ينظر المصدر نفسه، ص: 164
(4)– المصدر نفسه، ص: 167

تقتبس ألفاظه من النصوص، وفيه تراعى كل الدراسات الحديثة التي يلحظها الدارسون في المعاجم الأوروبية.(1)

يقول :"إن كثيراً من الألفاظ في المعاجم قد أهمل شرحها إهمالاً شنيعاً، فجاءت دلالتها غامضة أو مبتورة، وبعدت بهذا عن الدقة التي هي من أهم صفات المعجم الجيد،"(2) ويضيف "أن الرجوع إلى المعاجم القديمة لا يجدي كثيراً في بحث دلالة الألفاظ وتطور الدلالة. ومن واجب الباحث في دلالة اللفظ العربي الرجوع إلى النصوص القديمة في الأدب العربي والاهتداء بهديها، ودراسة الدلالة على ضوئها."(3)

لكن هذه الانتقادات الشديدة للقدماء "لا مبرر لها فلا يمكن أن نحاسب هذه المعاجم وننقدها بمقاييس اليوم، لأن ذلك ظلم لها ولمؤلفيها، مع أننا لا ننكر الآن هذه العيوب بعد مضي أكثر من أربعة عشر قرناً على تأليفها. لأنها سنة التطور هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المعاجم كانت وما زالت وعاء لحفظ لغتنا وأدبنا وحضارتنا ومعارفنا مع مرور الأزمنة والعصور."(4)

9 مشكلة الترجمة:

يتحدث 'إبراهيم أنيس' عن جهود القدماء والمحدثين في مجال 'الترجمة'، ويورد عناصر من مواقف العرب القدماء من ذلك. ومن صعوبات الترجمة التي يذكرها، اختلاف هندسة الجمل في اللغات، وجمال الألفاظ وموسيقاها، ثم "المشكلة الكبرى في الترجمة، وهي التي تتصل بدلالة الكلمات وحدود معانيها بين لغة وأخرى."(5) وهي المشكلة التي تزداد عسراً حينما يتعلق الأمر بترجمة النصوص الأدبية،

(1)- ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:248-251
(2)- المصدر نفسه، ص:249
(3)- المصدر نفسه، ص:251
(4)- نادية توهامي، إبراهيم أنيس وآراؤه اللغوية من خلال كتبه، ص:229
(5)- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:172

والنصوص الدينية المقدسة التي يقدم بشأنها المؤلف مثال الترجمة السبعينية للعهد القديم وما تبعها من ترجمات، ومثال الترجمات القرآنية إلى اللاتينية والفرنسية والإنجليزية. وهي الترجمات التي تعددت واختلفت في ألفاظها باختلاف تجارب المترجمين مع الألفاظ وما يحيط بها من ظلال المعاني والدلالات. وهو أمر أكدته بعض آراء القدماء في البلاغة القرآنية، وبينت صعوبة ترجمة النص القرآني لما تمتاز به لغته العربية من خصائص أسلوبية لا تكاد تشبهها فيها لغة أخرى.(1)

10 **حوصلة الفصل الثالث**:

1- أوقف 'إبراهيم أنيس' دراسته للنمو اللغوي للطفل على جانبين هما: الجانب الصوتي، والدّلالي، وهما جانبان مهمان دون شك، في حين أن الجوانب التركيبية والصرفية، وتكوين الجمل والعبارات، لم تنل منه نفس الإهتمام.

2- لم يحاول 'إبراهيم أنيس' تأصيل مسألة -إكتساب اللغة- في دراسات القدماء، بإيراد نصوص تدلّ على تَنَبُّهِهِم لها، وعنايتهم بها، بل تبنى نظرة 'جسبرسن' بالكامل.

3- أشار 'إبراهيم أنيس' إلى أن الدّلالة ليست نوعاً واحداً، بل هي أنواع عديدة، فهناك دلالة الصوت التي تُسْتمدُّ من طبيعة الأصوات، ولعلَّ ظاهرتي النبر والتنغيم من أبرز مظاهر هذه الدّلالة، وهناك دلالة بنية الكلمة المفردة 'الدّلالة الصرفية'، ودلالة التركيب في الجملة 'الدّلالة النحوية'، التي تَحدّث بواسطة العلاقات النحوية بين الكلمات، ودلالة الكلمة المفردة 'الدّلالة المعجمية أو الاجتماعية'، وهذا النوع من الدّلالة ينظر إليه على أنه موطن عناية الدرس الدّلالي، وهو الهدف الأساس في كل كلام.

(1)- ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:178-186

4- لم يفرق -إبراهيم أنيس- بين المعنى على مستوى المعجم، والمعنى على مستوى الدّلالة، فالدّلالة المعجمية هي دلالة الكلمة داخل المعجم، أمَّا الدلالة الاجتماعية فهي دلالة الكلمة في الاستعمال.

5- يؤدي تطبيق المنهج الوصفي في تناول ظواهر التطور الدّلالي إلى تضييق مجالها، واستبعاد كثير ما أورده القدماء على أنه يقع ضمن هذه الظواهر.

6- ربما الجديد في الدرس الدّلالي عند 'إبراهيم أنيس' بصفة عامة هو وضع أسماء ومصطلحات لمباحث علم الدّلالة وصياغة المُنَجز الدّلالي لدراسات القدماء في قالب علمي، وتبويب مُنظّم، مع الاستفادة من دراسات الغربيين في هذا الجانب اللغوي، وتطبيقه على اللغة العربية. وتلك أمور تُعَدُّ تتمة لذلك البناء السابق الذي أقامه الأولون .

7- التوجه الحداثي في هذا المصنف واضح في نشأة اللغة وفي اكتسابها لدى الصغار؛ بإتباعه النظريات الغربية، وعدم ذكره تأصيل الفكرة عند علماء العربية القدماء.

الخاتمــــــة

إنّ آخر العمل في هذا البحث تلخيصٌ نتائج تمس الفكر اللساني العربي الحديث عموماً، وفكر 'إبراهيم أنيس' تحديداً من خلال مصنفيه –الأصوات اللغوية، دلالة الألفاظ– وهي:

- ✓ المغالاة في الوقوف في صف اللسانيات أو ضدها سيؤدي إلى التعصب لا محالة، لأن من كان ضدها حتى لأسباب منطقية حينا لكنها ليست قرآنا يتلى؛ لأنه يمكن مناقشتها ونقدها وتقديم الحجة أحيانا ضدها. أما من كان مع وجود اللسانيات فلا يمكن إغفال أن هذه النماذج المقدمة محكومة بمنطق النسبية العلمية واللسانية التي يبقى كل شيء فيها تجاوزاً، وهذا يُحتم القبول بالاختلاف طالما أن الآلة الواصفة متجددة أبداً.

- ✓ يمكن إجمال اتجاهات البحث اللساني العربي الحديث في قطبين مختلفين، الأول اتجاه تراثي يحاول إعادة إنتاج الموروث اللغوي العربي، بصيغته القديمة نفسها، والثاني حداثي يحاول أن يتبنّى المسار اللساني الغربي بكل تفصيلاته، ويعلن القطيعة مع الاتجاه الأول. ويتوسط الاتجاهين اتجاه توفيقي وسطي، يحاول التوفيق بين المتنافرين

- ✓ هدف لسانيات التراث التعريف بالتراث اللغوي العربي القديم وإعطاؤه المكانة التي يستحقها مع التأكيد على أهمية النظريات اللسانية الحديثة والدعوة إلى الأخذ بها، لبيان أن مقولات الأقدمين هي نفسها ما جاء به المحدثون؛ أي أن البحث اللساني المعاصر تكرار لما سبق أن بُحث فيه وأُلِّف فيه.

- ✓ التراث اللغوي العربي نسق فكري محدد بزمان ومكان ومرتبط بالعصر الذي ظهر فيه، وليس ماهيتين أو أكثر في الوقت نفسه، لأنه نتاج مرحلة من مراحل الفكر الإنساني التي تفاعلت مع مراحل أخرى.

- ✓ وقفت اللسانيات الوصفية العربية عند حدود النقد الموجه للنحو العربي ولم تقدم بديلاً عنه، وهذا النقد لا يعدو أن يكون إسقاطاً للنقد الذي وجهه اللسانيون الغربيون للنحو التقليدي الغربي.

- ✓ تمكنت اللسانيات التوليدية العربية من تقديم جملة من الاقتراحات الجديدة المتعلقة بطبيعة البنيات العربية صوتاً وصرفاً وتركيباً ودلالةً ومعجماً، لكنها ما زالت في بداية الطريق.

- ✓ تمكنت اللسانيات الوظيفية العربية من وضع اللبنات الأولى لنحو عربي علمي يستمد مصادره وأسسه النظرية والمنهجية من أحدث النماذج اللسانية متجاوزة مرحلة النقد الموجه للنحو العربي القديم.

- ✓ استعمل 'إبراهيم أنيس' في مصنفه 'الأصوات اللغوية' مصطلحات تراثية، وهذا ما سبب غموض المصطلحات، فاعتماده على مصطلحات تراثية لا تتوافق مع المصطلح الأجنبي مثل استعماله مصطلحات الساكن 'Consonne' المتحرك 'Voyelle'. ومما يؤكد توجه 'إبراهيم أنيس' التراثي عدم ذكره مخرجا للحروف 'و، ا، ي' لأن علماء العربية القدماء في دراستهم لها خلطوا أحياناً بين الصوت والرمز الكتابي. وسلك 'إبراهيم أنيس' نفس طريق القدماء –تقريبا– في تصنيفه للأصوات.

- ✓ إن الوصف الصوتي الذي ذكره القدماء يتفق في معظمه مع نتائج البحوث الصوتية الحديثة التي توصل إليها 'إبراهيم أنيس'، ومن ثَمَّ فإن دراسته في هذا الجانب تمثَّلت بشكل رئيس في البرهنة على صحة دراسة القدماء للأصوات، وإثبات ذلك بالطرق العلمية؛ وهذا ما يؤكد التوجه التراثي في فكر 'إبراهيم أنيس'.

- ✓ يُعد 'الأصوات اللغوية' مصدراً رئيساً لا يُستغنى عنه، صحيح أن عنصر الإحاطة لم يتحقق لهذه الدراسة، ولكن عذره في هذا أنها الأولى من نوعها، وطبيعي أن تفتقر مثل هذه الأعمال الأولى لطابع الشمول والاستقصاء.

- ✓ إن مباحث 'الأصوات اللغوية' للدكتور 'إبراهيم أنيس' تميل إلى الفوناتيك أكثر من الفونولوجيا لأنها تناولت ظاهرة الصوت، اعتمد فيها على آراء علماء الطبيعة وعلماء التشريح، فعرض أعضاء جهاز النطق، وأعضاء جهاز السمع، وبين خصائص الهواء الذي تنتقل خلاله الأصوات، وحدّد مخارج الأصوات وصفاتها، ثم عالج ظواهر الصوت، كالجهر، والهمس، وشدة الصوت ورخاوته، والأصوات الساكنة، وأصوات اللين، وأشباه أصوات اللين، وطول الصوت، والمقطع الصوتي، والنبر، وموسيقى الكلام 'التنغيم'، وغير ذلك. وبذلك يكون الكتاب قد استوعب كل جوانب الدراسة الفوناتيكية، وليس الفونولوجية للكلام.

- ✓ إن كان علماء العربية القدامى قد عُنُوا بدراسة الفونيمات الرئيسة –الصوامت والصوائت– عنايةً بالغةً، فإن دراستهم للفونيمات الثانوية –النبر والتنغيم– لم تكن في مستوى الدراسة السابقة، وهم

معذورون في هذا؛ لان الإحاطة في العلم ممتنعة، ولذا فإن دراسة 'إبراهيم أنيس' لهذه الفونيمات تُعدُّ إضافة جديدة، وهنا يتضح الجانب الحداثي والتجديدي في جوانبه النظرية الذي يُسَجَّل له؛ وإليه يرجع الفضل، وتُنسب الأسبقية.

- ✓ لم يعتمد 'إبراهيم أنيس' بشكل كلي في مصنفه 'دلالة الألفاظ' على كتاب 'بلومفيلد' اللغة، وإنا رجح رأيه في مسألة تحليل الكلام إلى وحدات دالة على رأي 'سابير'، وعدد مرات توظيفه لكتاب بلومفيلد يساوي عدد مرات توظيفه لكتاب فندريس.

- ✓ أشار الدكتور 'إبراهيم أنيس' إلى أن الدّلالة ليست نوعاً واحداً، بل هي أنواع عديدة، فهناك دلالة الصوت التي تُسْتمدُّ من طبيعة الأصوات، ولعلَّ من أبرز مظاهر هذه الدّلالة ظاهرتي النبر والتنغيم، وهناك دلالة بنية الكلمة المفردة 'الدّلالة الصرفية'، ودلالة التركيب في الجملة 'الدّلالة النحوية'، التي تَحدّث بواسطة العلاقات النحوية بين الكلمات، ودلالة الكلمة المفردة 'الدّلالة المعجمية أو الاجتماعية'، وهذا النوع من الدّلالة ينظر إليه أنيس على أنه موطن عناية الدرس الدّلالي، وهو الهدف الأساس في كل كلام، وبهذا يكون 'إبراهيم أنيس' قد ضيق في دراسة المعنى؛ فجعله مقتصراً على مستوى الكلمة المفردة المثبتة في المعجم، وعلى عكسه فالمعنى في نظر أغلب اللسانيين العرب هو المحصِّلة النهائية للتحليل التدريجي لمستويات الحدث اللغوي.

- ✓ لم يشر 'إبراهيم أنيس لأسبقية اللغويين العرب القدماء لطرق الحقول الدلالية، لأن تلك الأعمال سبقت مثيلاتها من الأعمال الأوروبية بعدة قرون، رغم أهمية هذه النظرية؛ التي تكشف عن العلاقات التي تربط بين الألفاظ الواردة في الحقل الدّلالي المحدد والمصطلح العام الذي يجمعها، وما ينتج عن ذلك من بيانٍ لأوجه الشبه والخلاف بينها. بل إغفاله للنظريات الدلالية ككل، ولم يشر إلى أية نظرية بالتفصيل في مصنفه 'دلالة الألفاظ'.

- ✓ يُفرِّق 'إبراهيم أنيس' بين النظرة الوصفية والتاريخية في دراسة الترادف، ويسير على طريقة اللسانيين المحدثين في النظرة إلى هذه الظاهرة نظرةً وصفيةً، ولعل هذا هو سبب اختلاف رؤية المحدثين للترادف عما هي عليه عند القدماء، وما تبع ذلك من إخراج كثير من الألفاظ التي نظر إليها القدماء على أنها من المترادفات.

- ✓ حصر 'إبراهيم أنيس' دراسته للنمو اللغوي للطفل على جانبين هما: الجانب الصوتي، والدّلالي، وهما جانبان مهمان دون شك، في حين أن الجوانب التركيبية والصرفية، وتكوين الجمل والعبارات، لم تنل منه نفس الإهتمام، ولم يحاول تأصيل هذه المسألة –إكتساب اللغة– في دراسات القدماء، بإيراد نصوص تدلّ على تَنَبُّهِهِم لها، وعنايتهم بها.

- ✓ التوجه التراثي في كتاب 'الأصوات اللغوية' يطغى عن التوجه الحداثي التجديدي، لكن في كتاب 'دلالة الألفاظ' يتراجع هذا التوجه التراثي ويحل مكانه توجه حداثي تجديدي.

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر والمراجع العربية
2- المراجع المترجمة
3- المراجع الأجنبية
4- الرسائل الجامعية
5- الدوريات والمجلات
6- المواقع الإلكترونية

* المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم، إجازة وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2009

** المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط1، 2006

1- المصادر والمراجع العربية:

1- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، د.ط، د.ت

2- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ، المكتبة الانجلو مصرية، ط4، 1971

3- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط5، 1979

4- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984

5- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط3، 1965

6- إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف ، مصر، د.ط، د.ت

7- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1952

8- ابن الأنباري–محمد بن القاسم بن بشار–، الأضداد في اللغة، تحقيق: محمد عبد القادر، سعيد الرافعي، المطبعة الحسينية، مصر

9- ابن جني –أبو الفتح عثمان–، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر

10- ابن جني–أبو الفتح عثمان–، سر صناعة الإعراب، تحقيق:حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1993

11- ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، مطبعة المؤيد، القاهرة، مصر، د.ط، 1332ه

12- ابن فارس –أبو الحسين أحمد- ، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه أحمد حسن بسج، دار الكتب العربية، لبنان، ط1، 1997

13- ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سوريا، د.ط، 1979

14- ابن منظور- جمال الدين أبو الفضل-، لسان العرب، تحقيق:عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003

15- أحمد عبد العزيز دراج، الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ط، 2003

16- أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د.ط، 2002

17- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985

18- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط3، 2008

19- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط6، 1988

20- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د.ط، 1997

21- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998

22- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط4، 2008

23- إيميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1982

24- تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط4، 2000

25- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1994

26- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، د.ط، 1990

27- التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2008

28- الثعالبي- عبد الملك بن محمد -، فقه اللغة وأسرار العربية، تح: مصطفى السقا وآخران، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ط3، 1954

29- الجوهري-إسماعيل بن حماد-، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1984

30- جمعان بن عبد الكريم، التطور الإبستمولوجي للخطاب اللساني غموض الأولويات، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2010

31- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009

32- حافظ إسماعيلي علوي/ وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، العربية للعلوم ناشرون/منشورات الاختلاف/دار الأمان، لبنان/الجزائر/الرباط، ط1، 2009

33- حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث في مجالي مفهوم اللغة والدراسات النحوية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د.ط، 1994

34- حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، مصر، د.ط، د.ت

35- حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1988

36- حلمي خليل، اللغة والطفل دراسة في ضوء علم اللغة النفسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1987

37- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، ط1، 1988

38- خليل أحمد العطية، في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق، د.ط، 1983

39- خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006

40- داود عبده، دراسات في علم أصوات العربية، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010

41- الرازي –أبو حاتم محمد بن إدريس–، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تعليق: حسيني بن فيض الله الهمذاني اليعبر الحرازي، دار الكتاب العربي بمصر، القاهرة، ط2،1957

42- رابح بوحوش، البنية اللغوية لبردة البويصري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1993

43- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي بالقاهرة/دار الرافعي بالرياض، د.ط، 1981

44- رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1999

45- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1997

46- ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1972

47- سعد مصلوح، دراسات نقدية في اللسانيات المعاصرة، عالم الكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1989

48- سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2004

49- سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2008

50- سيبويه-أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر-، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988

51- السيوطي -عبد الرحمن جلال الدين-، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط3، د.ت

52- الشريف الجرجاني، التعريفات، مؤسسة الحسني، الدار البيضاء، ط1، 2006

53- شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2004

54- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة العربية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط16، 2004

55- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000

56- الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، المطبعة العربية، تونس، ط3، 1992

57- عبد الرحمن أحمد البوريني، اللغة العربية أصل اللغات كلها، دار الحسن للتوزيع والنشر، عمان، ط1، 1997

58- عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2007

59- عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر (1932-1985)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013

60- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط5، 2006

61- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986

62- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، د.ط، 1984

63- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1986

64- عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2010

65- عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط6، 1993

66- عبد العزيز أحمد علام/عبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1، 2009

67- عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ط3، 1989

68- عبد القادر أبو شريفة/حسين لافي/داود غطاشة، علم الدلالة والمعجم العربي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1989

69- عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985

70- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق، ضمن ندوة أعمال: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1991

71- عبد القادر محمد مايو، الوجيز في فقه اللغة العربية، دار القلم العربي، سوريا، ط1، 1998

72- عبد الله الجهاد، نهاد الموسى والمنهج المعاصر نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث نموذجا، آفاق اللسانيات دراسات مراجعات شهادات تكريما للأستاذ الدكتور نهاد الموسى، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2011

73- عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت

74- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، 1979

75- علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط9، 2004

76- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، نهضة مصر، مصر، ط3، 2004

77- عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، دار المعارف، الجزائر،2001

78- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2004

79- الفرابي –أبو نصر– ، إحصاء العلوم، قدم له وشرحه وبوبه علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1996

80- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005

81- كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط9، 1986

82- مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1987

83- محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، 1966

84- محمد أمنزوي، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى دراسة صوتية إحصائية، دار وليلي للطباعة والنشر، مراكش، المغرب، ط1، 2000

85- محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة العربية، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط4، د.ت

86- محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، العربية للعلوم ناشرون/منشورات الاختلاف/دار الأمان، لبنان/الجزائر/الرباط، ط1، 2010

87- محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية أفول اللسانيات النسبية ، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2001

88- محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1980

89- محمد غاليم، عن البحث الدّلالي العربي، ضمن ندوة أعمال: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1،1991

90- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، ط3، 1984

91- محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت

92- محمد محمد حسين، مقالات في الأدب واللغة، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط2، 1988

93- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004

94- محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، 2004

95- محمد مهدي علام، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما المجمعيون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، د.ط، 1966

96- محمود إسماعيل الصيني، اللسانيات التطبيقية في العالم العربي، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1991

97- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت،

98- محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، الإسكندرية، مصر، ط2، 1963

99- مصطفى حركات، اللسانيات العامة و قضايا العربية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1998

100- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة تاريخها طبيعتها موضوعها مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2010

101- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، منشورات كلية الآداب عين الشق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1998

102- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية حفريات النشأة والتكوين، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006

103- منذر عياشي، قضايا لسانية وحضارية، دار طلاس، دمشق، سوريا، ط1، 1991

104- منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د.ط، 2001

105- منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1992

106- مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، دار الرائد العربي، 1960

107- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1986

108- نعمان بوقرة، الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية دراسة وصفية تأصيلية في ضوء التلقي العربي للمناهج اللسانية الحديثة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011

109- نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث/ جدارا للكتاب العالمي، إربد/عمان، ط1، 2009

110- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، د ط، 2003

111- نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 1980

112- نوري جعفر، اللغة والفكر، مكتبة التومي، الرباط، المغرب، 1971

113- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، دار الغصون، بيروت، لبنان، ط1، 1988

114- هشام خالدي، صناعة المصطلح الصوتي في اللّسان العربيّ الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012

115- يوسف خياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، بيروت، لبنان

2- **المراجع المترجمة:**

1- برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه وعلق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1994

2-جوزيف فندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي/محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، 1950

3- جيفيري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة:محمد زياد كبة، النشر والمطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، د.ط، 1996

4- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، د.ط، 1975

5- فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة:صالح القرمادي/محمد الشاوش/محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، د.ط، 1985

6- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1998

7- نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005

8- هنري فليش، العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي، ترجمة: عبد الصابور شاهين، مكتبة الشباب، مصر، ط2، 1997

3- **<u>المراجع الأجنبية</u>:**

1- George Mounin, histoire de linguistique des origines au XXe siècle, Presses Universitaires de France, France, 1972
2- Jean Dubois et autre, Dictionnaire de linguistique Larousse, Paris ,France , 1988

4- الرسائل الجامعية:

4-1- رسائل الدكتوراه:

1- ظاهر كاظم عبد الرزاق، الجملة العربية في ضوء الدراسات اللسانية، إشراف مجيد عبد الحليم الماشطة/نوري حساني علوان، جامعة البصرة، العراق،2011

4-2- رسائل الماجستير:

1- نادية توهامي، إبراهيم أنيس وآراؤه اللغوية من خلال كتبه –من أسرار اللغة دلالة الألفاظ الأصوات اللغوية–، إشراف سامي عبد الله أحمد الكناني، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2005

5- الدوريات والمجلات:

1- أحمد عزوز، نشأة الدراسة الدلالية العربية وتطورها، التراث العربي، العددان:81-82، السنة:21، دمشق، سوريا، 2001

2- أحمد عزوز، جذور نظرية الحقول الدلالية في التراث اللغوي، التراث العربي، العدد:85، السنة:21، دمشق، سوريا، جانفي 2002

3- اسحق رحماني، دراسة فسيولوجية الأصوات عند ابن سينا من خلال كتابه "أسباب حدوث الحروف"، مجلة اللغة العربية وآدابها، ع:10، جامعة شيراز/ سمانة قلاوند

4- جعفر دك الباب، الصوامت والصوائت في العربية، مجلة اللسان العربي، ع:19/1، 1982

5- حمزة بن قبلان المزيني، مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 53، 1997

6- ر.هـ.روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، مجلة عالم المعرفة رقم 227، ترجمة أحمد عوض، الكويت، نوفمبر 1997

7- رشيد عبد الرحمن العبيدي، الألسنية المعاصرة والعربية، مجلة الذخائر، العدد1، 2000

8- عبد الرحمن الحاج صالح، أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي، مجلة الممارسات اللغوية، تيزي وزو، الجزائر، العدد2، 2011

9- عليان بن محمد الحازمي، الأصوات العربية بين الخليل وسيبويه، بحوث كلية اللغة العربية، العدد:2، السنة الثانية، جامعة أم القرى، السعودية، 1404-1405هـ

10- كونغ إلجو الكوري، نظرية علم اللسانيات الحديث وتطبيقها على أصوات العربية، اللسان العربي، العدد: 35، 1991

11- مازن الوعر، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، مجلة التراث العربي، دمشق، سوريا، العدد:48، السنة12، 1413هـ

12- محمد بوعمامة، التراث اللغوي بين سندان الأصالة ومطرقة المعاصرة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة، الجزائر، العددان 2-3، 2008

13- محمد بوعمامة، الصوت والدلالة دراسة في ضوء التراث وعلم اللغوي الحديث، التراث العربي، العدد:85، السنة:21، دمشق، سوريا، 2002

14- محمد ياسر سليمان، التراث اللغوي العربي والدراسات اللغوية الحديثة، مجلة اللسان العربي، المجلد21، 1982-1983

15- المهدي بوروبة، أثر مصطلحات الخليل الصوتية ومنهجه في دراسات معاصريه، مجلة الأثر، العدد:5، ورقلة، الجزائر، مارس 2006

16- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978

6-المواقع الإلكترونية:

1-أحمد تمام، إبراهيم أنيس ...رائد الدراسات اللغوية، إسلام أون لاين، الموقع الإلكتروني:
http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/09/article08.shtml

2-حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية نحو مقاربة إبستمولوجية، مجلة اللسانيات واللغة العربية، عنابة، الجزائر، العدد2، ديسمبر 2006، الموقع الالكتروني:
http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=28111

3-حافظ إسماعيلي علوي، اللغة العربية وعوائق التحديث اللساني، الموقع الإلكتروني:
http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/Adad43partie9.htm

4- حيدر علي حلو الخرسان، جامعة ذي قار، كلية التربية، الضغط اللغوي وأثره في الدلالة، مجلة كلية الآداب، العدد:103، الموقع الالكتروني:
www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=40734

5-مجموعة مؤلفين، إبراهيم أنيس والدرس اللغوي من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المكتبة الشاملة، الموقع الالكتروني: http://www.shamela.ws

6- مصطفى غلفان، أفق اللسانيات العربية، حاوره محمد الداهي، الموقع الالكتروني:
http://aslimnet.free.fr/div/2005/ghelfane.htm

7- عبد السلام المسدي، علم اللغة أم اللسانيات، جريدة الرياض، السعودية، العدد: 13457، الموقع الالكتروني: http://www.alriyadh.com/2005/04/28/article60162.html

8- يوسف منصر، الخطاب اللساني المغاربي اتجاهاته ومضامينه، التواصل، عدد 18جوان 2007، الموقع الإلكتروني: http://www.aljabriabed.net/n96_08mansar.htm

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث: 'دلالة الألفاظ' دراسة وصفية تحليلية

ملحق: حياة إبراهيم أنيس

ملحق: حياة 'إبراهيم أنيس'

1- حياة 'إبراهيم أنيس'
2- نتاجه العلمي
3- 'إبراهيم أنيس' التقني والحاسوبي
4- 'إبراهيم أنيس' الشاعر
5- تأريخ 'الألفاظ اللغوية'



1-حياة إبراهيم أنيس: (1)

ولد المرحوم الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس في الحادي والعشرين من شهر سبتمبر سنة ستٍ وتسعمئة وألف (1906م) بحي الدرب الأحمر بالقاهرة. ومرت حياته التعليمية في مسارها الطبيعي حيث؛ وبعد إتمام المدرسة الابتدائية ثم الحصول على الشهادة الثانوية من تجهيزية دار العلوم، التحق بدار العلوم العليا حتى حصل على دبلوم العلوم سنة ثلاثين وتسعمئة وألف (1930م)، وكان له إبان هذه الفترة نشاط أدبي؛ حيث كان ينظم القصائد الشعرية، ويكتب المسرحيات التاريخية والاجتماعية، وكان يهوى التمثيل أيضا، ويذكر الدكتور 'مهدي علام' أن إبراهيم أنيس كان رئيسًا لجمعية التمثيل بدار العلوم، وأنه كتب تمثيلية بقلمه بعنوان 'الشيخ المتصابي'، قام بدور البطولة فيها. ثم التحق بالخدمة في الحكومة سنة ثلاث وثلاثين وتسعمئة وألف (1933م)، وفي نفس السنة ابتعث إلى لندن للدراسة ، بعد فوزه في المسابقة التي عقدتها وزارة المعارف لاختيار أعضاء البعثة الدراسية.(2)

حصل من جامعة لندن على البكالوريوس في اللغة العبرية والآرامية والسريانية سنة تسع وثلاثين وتسعمئة

---

(1)- تم الحصول على المعلومات الواردة في هذه الملحق من ملف المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس بكلية دار العلوم، نقلا عن إبراهيم الدسوقي، إبراهيم أنيس والدرس اللغوي من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الموقع الالكتروني: http://www.shamela.ws، 1/9

(2)- أحمد تمام، إبراهيم أنيس ...رائد الدراسات اللغوية، ص:2، الموقع الإلكتروني:
http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/09/article08.shtml

وألف (1939م)، وحصل على الدكتوراه في المقارنات السامية سنة إحدى وأربعين وتسعمئة وألف (1941م) برسالة عن الخصائص النحوية للعربية المنطوقة في مصر، وفي أثناء دراسته أظهر بعض النشاط الاجتماعي فانتخب رئيسا للنادي المصري بلندن سنة 1938م.

وعندما عاد من بعثته إلى مصر في السنة نفسها، وعيِّن مدرسًا بدار العلوم في فيفري سنة ثنتين وأربعين وتسعمئة وألف (1942م). وأخذ –رحمه الله– يترقّى في الدرجات العلمية . فعيّن أستاذًا مساعدًا في شهر جوان سنة سبع وأربعين وتسعمئة وألف (1947م)، ثم عين أستاذًا لكرسي الدراسات السامية والشرقية في جويلية سنة ثنتين وخمسين وتسعمئة وألف (1952م). اختير عميدًا لدار العلوم في نوفمبر سنة خمس وخمسين وتسعمئة وألف (1955م) (1) لفت إبراهيم أنيس الأنظار إليه بدارساته وبحوثه الجديدة في علم اللغة، فاختير خبيرًا بمجمع اللغة العربية سنة (1958م) في لجنتي اللهجات والأصول، ثم نال عضوية المجمع سنة (1961م) (2) مع تسعة آخرين انضموا إلى المجمع حين عدل في قانونه وزيد عدد أعضائه فاختير عضواً باللجنتين.

قد ساهم مساهمة فعالة في أعمال لجنة الأصول ولجنة اللهجات، ولجنة المعجم الكبير وغيرها، وكتب بحوثًا راقية ودراسات بالغة الأهمية في مجلة المجمع، ثم عُهد إليه بالإشراف على المجلة منذ العدد الثاني والعشرين، الصادر في سنة (1967م)، خلفًا للأستاذ "زكي المهندس" عضو المجمع البارز.

ولم يرتبط عمله بالجامعات الجديدة في العالم العربي إلا زمنًا محدودًا بالجامعة الأردنية وزيارة واحدة قصيرة لجامعة الكويت. وأحيل للتقاعد لبلوغه السن القانونية في سبتمبر سنة ست وستين وتسعمئة

(1)– تاريخ التعيين عميدًا لدار العلوم 1955/11/27م

(2)– تاريخ الموافقة على اختياره عضوًا عاملاً بمجمع اللغة العربية 1961/7/11م

وألف (1966). وانتقل إلى رحاب ربه إثر حادث أليم سنة ثمانٍ وسبعين وتسعمئة وألف (1978) بعد هذه الرحلة الطويلة في حادث أليم.[1]

2-نتاجه العلمي:

درس إبراهيم أنيس علوم اللغة العربية على شيوخ دار العلوم وأعلامها، وكانوا من ذوي العلم والإتقان، فتمرس بالعربية وتزود من معينها الصافي- تساعده سليقة فطرية وشغف بلغة العرب- ثم درس في لندن؛ حيث رأى مناهج جديدة، وقرأ بحوثًا لعلماء في لغاتهم القديمة والحديثة، واطلع على محاولاتهم في تفسير الظواهر اللغوية على هُدىً من نظائرها في اللغات المختلفة، فأضاف ذلك علمًا إلى علمه، وأنضجت هذه الدراسات تفكيره وأثْرَت منهجه، دون أن تطغى هذه المناهج الجديدة على عقله أو تجعله ينقل حاكيًا مرددا دون فهم وبصيرة، وإنما كان يأخذ ويختار عن بينة واقتناع.[2]

عاش -رحمه الله- حياته معطاءً، دؤوبًا، متعدد الاهتمامات. ويعكس هذا التعدد ما نشره من أبحاث وكتب في مواطن نشرٍ شتى داخل مصر وخارجها. ويكفي للتدليل على هذا التعدد أن نشير إلى إجمالي ما نشر له في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وحده؛ فقد بلغت واحدًا وأربعين بحثًا تراوحت بين:[3]

---

(1)- أحمد تمام، إبراهيم أنيس ...رائد الدراسات اللغوية، ص:4

(2)- المرجع نفسه، ص:3

(3)- استمد البحث معلومات هذه الفقرة من كتاب: التراث المجمعي في خمسين عامًا، إبراهيم الترزي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ومجلات المجمع التي نشرت فيها هذه الأبحاث، نقلا عن إبراهيم الدسوقي، إبراهيم أنيس والدرس اللغوي من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص:2/9، من مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما المجمعيون، مهدي محمد علام، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 1966، ص:11

– الصرف: ثلاثة عشر بحثًا (13) دارت حول أبواب الثلاثي، وصيغ الاسم الثلاثي المجرد، وتطور البنية العربية، وتعدد الصيغ.

في اللغة العربية، والاشتقاق من أسماء الأعيان، واسم الآلة والأداة، وصيغة فعِّيل، وتوهم أصالة الحروف وتوهم زيادتها، والنحت، ودراسة بعض صيغ اللغة، وصيغة الجمع، والسِّر في جموع معينة، وأبواب الثلاثي في اللهجات.

– قضايا اللغة العامة: تسعة أبحاث (9) في: القياس اللغوي، وهل اللغة بدوية، ودور الكمبيوتر في البحث اللغوي، ومسطرة اللغوي، والإحصاء اللغوي، والارتجال في ألفاظ اللغة، واقتراح بعض الإصلاح في متن اللغة.

– الألفاظ: ستة أبحاث (6) في مفردات مثل: دفرسوار ، وعبري، والسماء، وأبيب، وملك وملاك وملائكة.

– الأصوات: خمسة أبحاث (5) جاءت حول وحي الأصوات في اللغة، وجهود علماء العرب في الدراسة الصوتية، وأصوات اللغة عند ابن سينا، وحروف تشبه الحركات، ولغة الضاد.

– الأساليب: بحثان (2) في: الرأي في قولهم "سافر محمد علي حسن" بالتسكين، وحنيفًا مسلمًا.

– الموسيقى: بحثان(2) أحدهما تحت عنوان: بين الكافية في الشعر العربي والقافية في الشعر الإنجليزي. والآخر: على هدي الفواصل القرآنية.

– المعاجم: بحثان (2) أحدهما: معاجم لألفاظ الأدب الجاهلي. والآخر : في التراث المعجمي .

– المصطلح: بحث واحد هو: المصطلح العلمي.

– النحو: بحث واحد: رأي في الإعراب بالحركات.

هذا إلى جانب ما نشره في مجلة كلية الآداب بالإسكندرية (الأصل والاشتقاق لحروف العلة 1944) وفي صحيفة كلية دار العلوم (نفي النفي تأكيد للنفي 1944م) وغيرها من مواطن النشر المختلفة.

أما الكتب فقد ظهر له سبعة كتب (7) تعد رائدةً، كلٌّ في مجاله، وهي:

1- الأصوات اللغوية.

2- في اللهجات العربية سنة 1946

3- موسيقى الشعر.

4- من أسرار اللغة سنة 1951

5- دلالة الألفاظ سنة 1958، الذي نال عنه جائزة الدولة التشجيعية للأدب(1)

6- محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة سنة 1959

7- اللغة بين القومية والعالمية سنة 1970

ومن أهم الرسائل التي أنجزت تحت إشرافه – رحمة الله:

1- دراسة لغوية في لهجات البدو في مصر، عبد العزيز مطر، ماجستير، 1960

2- الفارابي اللغوي دراسة معجمه ديوان الأدب، أحمد مختار عمر، ماجستير، 1962

3- الأصوات في قراءة أبي عمرو بن العلاء، عبد الصبور شاهين، ماجستير، 1962

4- مخطوطات التصويب اللغوي للزبيدي وابن مكي وابن الجوزي، عبد العزيز مطر، دكتوراه، 1964

5- دراسة صوتية في القراءات الشاذة، عبد الصبور شاهين، دكتوراه، 1965(2)

---

(1)- ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984، ص:4 من التصدير

(2)- إبراهيم الدسوقي، إبراهيم أنيس والدرس اللغوي من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 15/9

3- 'إبراهيم أنيس' التقني والحاسوبي:

وإذا أردنا تتبُّع تأريخ الدعوة لإنشاء معامل صوتية للغة العربية، فأول دعوة كانت للدكتور 'إبراهيم أنيس' تتمثل في ضرورة دراسة اللهجات الحديثة دراسة علمية صحيحة، وتسجيل نماذج منها تسجيلاً صوتياً لمعرفة ما تتصف به كل لهجة من خصائص[(1)].

وبصدد تسخير الآلات الحديثة والأجهزة المتطورة لخدمة الدرس الصوتي، وهو جانب تجديدي في البحث اللساني المعاصر، وهي دعوة 'إبراهيم أنيس' لإستخدام الكمبيوتر 'الحاسب الآلي' –كما يسميه– في الدراسات اللسانية. فقد كانت–كما يذكر– مجرد فكرة تداعب خياله منذ أظهرت التقنية هذا الجهاز، وسمع عن مجالات تطبيقه،...وقد نشر في هذا المقام مقالات عدّة تدعو إلى الحاسب الآلي في بحوث اللغة.[(2)] وكان يؤمن أن الحواجز التقليدية بين فروع المعرفة المختلفة ليست إلا حواجز وهمية في كثير من الأحيان، وأن العالم الحق لا يستطيع أن يغفل عن الاستفادة من إمكانات الفروع المختلفة؛ ولذلك كان يهتم بالرياضيات والإحصاء، ويحرص على الاستفادة منذ وقت مبكر من إمكانات (الكمبيوتر) في بحوثه اللغوية، ويكلف طلابه بعمل إحصاءات من القرآن الكريم ومن معجمات اللغة.[(3)]

تبدأ قصة الاتصال العلمي بين الحاسوب والبحث اللغوي العربي – كما يذكر الدكتور 'إبراهيم أنيس' حينما فاتحه الدكتور (الطبيب) محمد كامل حسين (1901–1977م) متسائلاً عن إمكانية الاستفادة من الكمبيوتر في البحوث اللغوية، فصادفت هذه الفكرة في نفسه قبولاً واستحساناً، خاصة أنها كانت تداعب خياله مُذْ نما إلى سمعه المجالات المتوافرة لتطبيقه في البحث العلمي.

---

(1)– ينظر إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1952، ص: 10

(2)– ينظر عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، ص:166

(3)– أحمد تمام، إبراهيم أنيس .. رائد الدراسات اللغوية، ص:4

ويضيف الدكتور 'أنيس' بأنه انتهز فرصة زيارته لجامعة الكويت سنة 1971م للعمل بها أُستاذاً زائراً، وهناك التقى بالدكتور علي 'حلمي موسى'، أستاذ الفيزياء النظرية في جامعة الكويت، وبسط له فكرة الاستعانة بالحاسوب في إحصاءات الحروف الأصلية لمواد اللغة العربية، بُغْية الوقوف على نسج الكلمة العربية، وقد رحب بهذه الفكرة واستحسنها، وبدأ بالتخطيط لها وتنفيذها في النصف الأول من عام 1971م، وكان من ثمرة ذلك صدور الدراسة الإحصائية للجذور الثلاثية وغير الثلاثية لمعجم الصحاح، للجوهري (324هـ) (1)

أما خطوات العمل في هذا الإحصاء فتوزعت على ثلاث مراحل: الأولى إدخال المواد اللغوية في ذاكرة الكمبيوتر، والثانية وضع برنامج له بإحدى لغات الكمبيوتر، والثالثة التنفيذ الفعلي لهذا البرنامج(2).

وجاءت نتائج هذه الدراسة في صورة جداول إحصائية لجذور اللغة، وحروفها، وتتابع أصواتها، وخصائص حروفها، مقرونةً بدراسة تحليلية موجزة عن التفسير اللغوي لما ورد بتلك الجداول. (3)وظلَّ الدكتور 'إبراهيم أنيس' يواظب أسبوعياً على التردد على مركز الحاسب الآلي بمعهد الإحصاء التابع لجامعة القاهرة،

---

(1)– صدرت هذه الدراسة الإحصائية – في كتابين اثنين– عن جامعة الكويت، سنتي 1971 و1972. ونظراً لأهمية هذا الاتجاه الإحصائي في البحث اللغوي فقد نفدت نسخ هذين الكتابين في وقت قياسي، مما أدى إلى طباعتهما مرة ثانية سنة 1973م، وضمهما في مجلد واحد. كما نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1978، وتعد الطبعة الثالثة لها.

(2)– ينظر علي حلمي موسى، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، جامعة الكويت، 1973، ص:9

(3)– لمزيد من التفاصيل حول نتائج هذه الجداول الإحصائية لمعجم الصحاح ينظر علي حلمي موسى، استخدام الحاسب الإلكتروني في اللغة العربية – تحليل محتويات نتائج معجم الصحاح، مجلة الثقافة المصرية، السنة 6، العدد 69، يونيو 1979م، ص52–54، إبراهيم أنيس، النظامة الإلكترونية تحصي جذور مفردات اللغة العربية، مجلة اللسان العربي، المجلد 10، الجزء1، 1973م، ص:207–211

بالرغم من مرضه الذي أصابه أواخر أيام حياته؛ تشوقاً لمعرفة نتائج الجداول اللغوية التي كانت مودعةً في جهاز الحاسب الآلي.[1]

واستقبل الباحثون والعلماء هذا العمل العلمي بقبول حسن، رغم وجود فئة حاولت أن تُشَكِّك وتُهَوِّن من جدوى هذه الدراسة، وفائدتها على الدرس اللغوي، ومما لاشك فيه أن اللغة العربية بعلومها المختلفة، كالأصوات، والبلاغة، والعروض والقافية، أفادت أيما فائدة من نتائج هذه الإحصائيات الدقيقة.*

4- إبراهيم أنيس الشاعر:

نظم قصيدة من ثلاثة وخمسين بيتاً، وهو في الثانية والعشرين من عمره في رثاء 'سعد زغلول' وجاء في تقديمها "قصيدة الأديب إبراهيم أفندي أنيس التي ألقيت في حفلة الطلبة الكبرى، وهذا مطلعها:

ولدت بين جوانحي الأوجاعـــا   وقصمت يا خطب الورى الاضلاعا
أشعلت نارًا في النفوس فلا نرى   إلا كـــــــئيباً والهـــــــاً ملتاعا"[2]

5-تأريخ 'الألفاظ اللغوية':

جاءت طبعة الكتاب الأولى من دون تأريخ، وتعددت الآراء في تأريخ هذه الطبعة، إذ ترددت بين سنتي 1945 و1955؛ فالدكتور 'حلمي خليل' يقول إن كتاب 'الأصوات اللغوية' هو أول كتاب للدكتور 'إبراهيم أنيس'، وإن طبعته الأولى كانت سنة 1948، أما كتابه الثاني 'في اللهجات العربية' الذي طُبع أول مرة سنة 1950.[3]

---

(1)- عبد العظيم أنيس، كلمة تأبين إبراهيم أنيس، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 210/40

* ينظر عبد الرحمن بن حسن العارف، توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية جهودٌ ونتائج، جامعة أم القرى، ص:49-50 ومنه استمد البحث أغلب معلومات هذه الفقرة

(2)- دموع الشعراء على الراحل الكريم فقيد الوطن وزعيم الشرق سعد زغلول باشا، مطبعة الأمانة مصر، الفجالة، مصر، 1928، ص:179-181

(3)- ينظر حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص:152

ويرى الدكتور 'مصطفى غلفان' أن كتاب 'الأصوات اللغوية' صدر لأول مرة سنة 1947،[1] أما الدكتور 'عبد الرحمن حسن العارف' فيرجح أنه صدر سنة 1946[2] وترى الدكتورة 'فاطمة الهاشمي بكوش' أن كتاب 'الأصوات اللغوية' هو أول كتاب ألفه الدكتور 'إبراهيم أنيس' لسببين:

الأول: الطبعة الأولى من كتاب 'في اللهجات العربية' جاءت خِلواً من حرف الجر، أي اللهجات العربية،[3] وفيها يشرح دواعي تأليفه، والمشكلات المنهجية التي إعترضته، أما الطبعة الثانية فجاءت بإثبات حرف الجر 'في' في العنوان، وفيها يقول: "ظهر هذا الكتاب منذ ست سنوات"، ويذكر في نهاية المقدمة تاريخا هو سبتمبر من سنة 1952، وبذلك فإن الطبعة الأولى من 'في اللهجات العربية' كانت سنة 1946.

الثاني: في هذه الطبعة الأولى من كتاب 'في اللهجات العربية' يشير 'إبراهيم أنيس' إلى كتابه 'الأصوات اللغوية' في مواضع مختلفة، هي الصفحات:15، 39، 44، 52، 69، 84، 94، 95، 105، 108، 121، 124، 125، 131، 134، 138، 169، 174، 177[4]

وبذلك تكون الطبعة الأولى من كتاب 'الأصوات اللغوية' قد صدرت قبل الطبعة الأولى من كتاب 'في اللهجات العربية'، إما في السنة نفسها '1946' أو قبل ذلك، وإذا كان 'إبراهيم أنيس' بدأ نشاطه في التأليف بعد عودته من الدراسة، أي في سنة 1941، فإن تأريخ صدور هذه الطبعة يتردد بين سنتي 1941 و1946.

---

(1)– مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية حفريات النشأة والتكوين، ص:161

(2)– عبد الرحمن حسن العارف، ص:83–84 الهامش

(3)– ينظر إبراهيم أنيس، اللهجات العربية، دار الفكر العربي، الغلاف

(4)– ينظر المصدر نفسه، ط2

وما يعزز هذا الطرح أيضاً، بالنظر في مقدمة الطبعة الرابعة لكتاب 'الأصوات اللغوية' التي صدرت عام 1971، نجد الدكتور 'إبراهيم أنيس' يذكر أن كتابه هذا ظهر لأول مرة منذ أكثر من ربع قرن[1]، وبعملية حسابية يتضح أنه صدر قبل عام 1947.

(1)– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المكتبة الانجلو مصرية، ط4، 1971، المقدمة